

مذاهب وشخصيات

# النيران الذهبية

بين العرب والفرس

بمقتضى  
الدكتور أحمد محمد الحسنى



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة :

إذا كان العالم الحديث يتصل بمضه ببعض انصالا يختلف في القوة والضعف ، ويتباين في السلام والحرب ، وفي المودة والمدا ، ويتفاوت في التأثير والتأثر ، فقد كان العالم القديم شبيها في هذا بالعالم الحديث ، على ما بين العالمين من فوارق في وسائل الاتصال وطبيعتها وسرعتها وقوتها ، وما ينجم عنها من تبادل التأثير والتأثر .

والحق أن التاريخ في هذا يمد نفسه ، فالزلة المطلقة ضرب من الحال بين الشعوب التي تتجاور في الموقع ، أو تتقارب في المكان ، فتشترك مصالحها ، وتتفق في سياستها أو تختلف ، وتقوم علاقتها على السلم تارة ، وعلى الحرب تارة ، وتبادل التأثير والتأثر ، فيأخذ بعضها من بعض ، ويهبط بعضها بمضاً .

وليس من شك في أن انصال أمة بأمة لابد أن يُغَيِّبُ آثاراً شتى في النظم والمادات والمقائد والفن والأدب والثقافة ، تظهر معالمها في الضعيف الهالك أكثر مما تظهر في القوي الذي يحاكي ، لأن الناس مولعون بعجالة من يرونه أعلى منهم حضارةً وأوسع ثقافةً ، وأعظم معرفةً ، سواء أكان القلب السيامي له أم لهم .

وهذه دراسة لعلاقات العرب والفرس في الجاهلية والإسلام ، وما أثمرته من تبادل التأثير والتأثر في نظم السياسة والاجتماع والمقائد والمادات ، وما نجم عن هذا كله في الفنة والأدب والثقافة .

وقد قصدت إلى تقسيم الدراسة إلى قسمين : القسم الأول خاص بالمصر الجاهل والقسم الثاني مفسور على المصر الإسلامي ، لأن لكل من المصيرين وسائله

وضروب تأثير وتأثر ، ولأن الفرس والعرب كانوا في العصر الإسلامي أقوى سلالات وأكثر علاقات ، فكان تأثير الفرس في العرب حينئذ أوسع وأعمق مما كان في العصر الجاهلي ، وكانت آثار العرب في الفرس لا تقل عما نقلوه من الفرس إن لم تزد عليه شيئا وعمقا وسعة .

ولست أزعم لهذه الدراسة أنها قائمة على الاستيعاب أو الاستقصاء ، فإنها لا تتجاوز شق الطريق ، ونصب المعالم ، والتهديد للرواد ، وما زال كثير من موضوعات البحث جديرا بأن يرد يبحث مستقل مُفَصِّل ، لعله يكشف عن جديد ، ولعله يثير بعض ما رسيخ في الأذهان من أوهام وأغاليط كادت لسكرة ترددها تصل إلى مرتبة الحقائق المقررة التي ينقلها لاحق من سابق .

وأرجو أن أوفق إلى دراسات مشابهة تتناول سلالات العرب بنير الفرس من الأمم التي عاصرتهم فأعطتهم وأخذت منهم ، كالرومان والروم والحِمْيَر والمُصَنِّف ، فإن علائق العرب بهؤلاء كملاقتهم بالفرس ، تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام ، ثم يتجلى تأثير بعضها وتأثره قويا واضحا بعد الإسلام .

# الباب الأول

بين العرب والفرس في الجاهلية



## الفصل الأول

### صلات العرب بالفرس

#### أولاً - قبل إمارة الحيرة

١ - يحدث التاريخ صلة قديمة جداً بين العرب والفرس ، نشأت قبل أن تؤسس إمارة الحيرة بقرون ، يحدث أن العرب أدوا الجزية للملك قورش بختوراً ولبناناً في عام ( ٥٥٠ ق . م ) إذ استولى الفرس على أكثر الهلال الخصيب وانصلوا بالعرب ، واحتسكوا بهم احتكاكاً مباشراً .

٢ - ثم استعان قبيلز بالعرب في غزو مصر ( ٥٢٥ ق . م ) فدوه بالإبل ، وزودوا قواته بالماء ، وساعدوه مساعدة كبيرة ، لولاها ما استطاع أن يصل إلى مصر وبعد ذلك بثلاث قرن ساعدوا الفرس في حملتهم على اليونان ( ٤٩٢ ق . م )<sup>(١)</sup> .

٣ - وقد ذكر السكاتب اليوناني كيتوفند ( ٤٠١ ق . م ) أن كورة في شرق القرات كانت تسمى ( العربية )<sup>(٢)</sup> .

على أن البلاد الواقعة شرق القرات أسفل مصب نهر الخابور كانت تسمى بلاد العرب منذ عهد قراطجنة ( ٤٠١ ق . م )<sup>(٣)</sup> .

٤ - وفي أوائل القرن الثالث بعد الميلاد تنازعت إباد ومضر بعد انتصارهما على جرهم وإبلاؤها عن مكة ، فهزمت إباد ، وهاجرت إلى العراق ، وكان أكبر موطن لها عين أباغ . على أنها استوطنت أجزاء متفرقة من جنوبي الحيرة<sup>(٤)</sup> ، منها

---

(١) العرب قبل الإسلام جرجي زيدان ١٠١ قتلا من هيودوث . وتاريخ العرب ..

فيليب حق .

(٢) مجلة الجميع الفتوى ٣ - ٣٣١

(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية ٢٨ بارتوك .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٣ - ١٦٧

سنداد — نهر فيما بين الحيرة إلى الأبلّة — وكانوا ذوى منعة ، لا يعطون الأناوة  
أحدًا من الملوك ، وقد أغاروا على بلاد الفرس مرتين وانتهصروا<sup>(١)</sup> .

• — وفي عهد سابور الأول ابن أردشير ( ٢٤١ — ٢٧٣ م ) كان بين دجلة  
والفرات مدينة يقال لها العَصْر ، وكان ما أسكنها وما لك أرض الجزيرة هو السَّاطِرُونَ  
والرب تسميه الضَّيْرَن ، وكان معه من قبائل قضاة ونبي عبيد بن الأجرم عدد  
كبير ، اسقمان بهم في بسط نفوذهم حتى الشام . ثم إنه أغار على بعض سراد  
العراق<sup>(٢)</sup> ، وفي شعر عمرو بن إله من قضاة فخر بهذه الإغارة :

لَقِينَا بِمَجْمَعٍ مِنْ مِثْلَانٍ وَبِالْحَيْلِ الصَّلَادَةِ الْمَكُورِ  
فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنْ نَكَلَا وَتَقَلْنَا هَرَابًا شَهْرَ زُورِ  
دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِمَجْمَعِ الْجَزِيرَةِ كَالصَّامِرِ<sup>(٣)</sup>

وقد شخص سابور إلى حصن الضيّن فأمّره عامين ، وإلى هذا يشير الأعرابي  
بقوله :

أَلَمْ تَرَ لِلْعَصْرِ إِذْ أَعَايَهُ بَنُوعِي ، وَهَلْ خَالِدٌ مِنْ نَعِيمٍ ؟  
أَقَامَ بِهِ شَاهِبُورُ الْجُنُودِ دَحُولِينَ يَضْرِبُ فِيهِ الْقُدُمُ  
فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمَثَلُ سَحَاوَرِهِ لَمْ يَقُمْ  
فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِتْنَتَهُ أَنَا طُرُوقًا فَلَمْ يَنْقُمِ  
وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلَلُوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمُ  
فَوُتُو كَرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يَجْشِمُهُ مِنْ جَيْشِكُمْ<sup>(٤)</sup>

(١) شرح القصائد العشر للبكري ٢٧٣

(٢) تاريخ الطبري ٢ — ٦٢ ، وابن خلدون ٢ — ٢٤٩

(٣) تاريخ الطبري ٢ — ٦٢ والأغاني ٢ — ١٤١ ، الفريزدة : ج٣ هزبه وهو خادم  
بار الجبوس .

شهر زور . مدينة فارسية . هلاف : علاف بن حارون من قضاة نسب إليه الخيل اللاقية .  
الصلادقة : القوية الشديدة .

(٤) تاريخ الطبري ٢ — ٦١ وسيرة ابن هشام ١ — ٢٨ ومجمع البلدان ٣ — ٢٩١  
وديوان الأعشى ٤٢ . شاهبور الجنود : سابور الأول وكان يسمى لكثرة جنوده  
شاهبور الجنود .



ثم فتح سابور الحصن ، وقتل الضيرن ، ونسكل بمن كانوا معه من قضاة ، فقال عمرو بن إله ، وكان فيمن شاهدوا المركة :

ألم يَحْزُنْكَ والأنباء تَنْبِي بِمَا لَاقَتْ سَرَاةُ بَنِي الْعَبِيدِ  
ومصرع ضَيْرَنَ وبني أبيه وأحلاسِ الكُتَابِ من تَزِيدِ  
أناهم بِالْقِيُولِ مُجَلَّلَاتِ وبالأبطالِ سابورُ الجُنُودِ  
فهدم من أوليى الحصن سَخْرَاءَ كَأَن يُفْصَلَهُ زُبُرُ الْحَسَدِ (١)

ولقد فسح الأخباريون لخليالم الجبال ، فزعموا أن ابنة الضيرن عشقت سابور وعشقها ، وأنها هي التي دلته على حيلة لتقويض الحصن ، ثم غدر بها (٢) .

٦ — ثم انتهز العرب صفر من سابور الثاني ( ٣٠٩ - ٣٧٩ م ) فأغاروا على أطراف مملكته ، كما طمع فيها الترك والروم ، وكان العرب أقرب إلى فارس ، وأحوج إلى تناول شيء من خيرات الفرس ، لسوء حالهم ، وشظف عيشهم ، فسار جمعٌ عظيمٌ منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة حتى نُخِوم فارس ، وغلبوا أهلها على مواشهم وحروشهم ، وأكثروا الفساد في نكث البلاد ، وأطمأنوا هناك مدةً لا يحلهم أحد من الفرس . فلما كبر سابور انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وسارهم فأوقع بهؤلاء العرب ، وقتلهم تقتيلاً ، وأمرهم أسراً غنيماً ، ولم ينج منه إلا من هربوا .

ويقال إنه لم يكتف بذلك ، بل اجتاز البحر إلى بلاد العرب ، فَوَرَدَ الْخَطُّ والبحرين وقتل أهلها ، ثم ورد هَجَرَ فَأَرَوَى الْأَرْضَ بِدَمَاءٍ مِنْ هُنَاكَ مِنْ تَيْمٍ وَبَكْرٍ وعبد القيس ، حتى كان الحارب منهم يرى أنه لن ينجيه غار في جبل ولا جزيرة في بحر . ثم عطف على بلاد عبد القيس فأباد أهلها إلا من هرب ، ثم أتى الحِجَامة فأَسْرَفَ فِي التَّقْتِيلِ .

وهو في أثناء ذلك لم يمر بماء من مياه العرب إلا قَوَّرَهُ ، ولا يثر إلا طمسها .

(١) الطبري ٢ — ٦٢ والأغانى ٢ — ١١٢ ومعجم البلدان ٣ — ٢٩١ ونسب الشعر لجدى بن الدغاث .

(٢) الطبري ٢ — ٦٣ ومروح الذهب ١ — ٢٩٦ والأخبار الطوال للدينوري ٥٠

ثم اقترب من يثرب فقتل وأسر .

ومرَّجَ على بلاد بكر وتنلَّبَ فيها بين مملكة فارس والروم بالشام فقتل وسبي واقتم .

ثم أسكن الأسرى من العرب من بكر بن وائل كِرْمان ، ومن بني حنظلة الأهواز ، وأسكن عدداً عظيماً من أسرى العرب إقليم تَوُج . وكانت حملاته هذه نحو ٣٥٠ م .

وحاش ساور حياته فهما إلى قتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم ، ولهذا سماه العرب ذا الاكتاف <sup>(١)</sup> .

ولقد ثار العرب منه فيما بعد بانفضائهم إلى خصمه يوليان ملك الروم في الحرب التي قامت بينهما ( ٣٦١ - ٣٦٣ م ) حتى قالوا إن العرب كانوا في جيشه مائة وسبعين ألفاً <sup>(٢)</sup> .

٧ - وكأما يأتي هذا العداء المستحكم إلا أن يفزوا البحرين أردشير الثاني ( ٣٧٩ - ٣٨٥ ) ، فأتى ملك البحرين بنفسه في البحر <sup>(٣)</sup> .

ومن هذا ترى أن الفرص قد تمددت لأن يحثك العرب بالفرس من قديم وأن يخالطوهم ويساكنوهم ويحاربوهم قبل أن تؤسس إمارة الحيرة .

(١) تاريخ الطبري ٢ - ٦٦ - ٦٩ و ٣ - ٦٨ و مروج الذهب ١ - ١٢٢ - ١٢٤ وتاريخ ابن خلدون ٢ - ١٦٩ ودائرة المعارف الإسلامية مادة بكر .

(٢) الطبري ٣ - ٦٨ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢ - ١٦٩

## ثانياً - إمارة الحيرة

رأى الفرس أن الوسيلة المثلى للاطمئنان على الأمن في هذا الجانب من مملكتهم أن يساعدوا القبائل العربية النازلة على مقربة من حدودهم على تأسيس إمارة تقيم فزوات الدرب ، وتمحيز بين حدود الفرس وحدود الروم ، هي إمارة الحيرة .

١ - والحيرة مدينة قديمة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، على بحيرة النجف وعن كتب من البادية . ويظهر أن كلمة الحيرة سريانية ( حرتا ) ومعناها المسكر ، وقد ذكرت باسم ( إرنا ) على أنها مدينة بارثية ، في كتاب فلاووكوس<sup>(١)</sup> وفي كتاب ستيفانوس البزنطى<sup>(٢)</sup> .

وكانت المدينة مكونة من قصور محصنة ، حول ميدان واسع لم تكن له وسائل دفاع ، ولم يكن حول المدينة سور يحميها أو حصن يقبها . لهذا لما سار إليها خالد بن الوليد ( ٦٣٣ م ) ليفتحها تحصن أهلها بقصورهم ، فساق خالد قطائعهم وأغنائهم إلى زرعهم الذى لم يكونوا حصدوه ، فطلبوا المفاوضة على التسليم .

كان أهل الحيرة منذ القرن الثالث الميلادى ثلاثة أسنان :

تنوخ وهم البدو النازلون غربى الفرات<sup>(٣)</sup> ، والبياد وهم السكان الأصليون الذين سكنوا المدينة وبنوا فيها ، والأخلاف وهم النازلون بالحيرة من غير هؤلاء جميعاً ، وسموا بذلك لتحالفهم مع البياد .

وهؤلاء السكان كلهم من العرب .

٢ - ليس من المعلوم يقيناً متى بدأ تأسيس الإمارة ، أكان في عهد سابور الأول ابن أردشير ملك الفرس ( ٢٤١ - ٢٧٢ م ) إذ نصب على الحيرة عمرو بن عدى أم كان في عهد أبيه أردشير ( ٢٢٦ - ٢٤١ م ) ؟ .

Fragmenta. p. 409\* (١)

Ethnica. p. 276\* (٢)

(٣) هؤلاء من العرب الذين اجتمعوا من البحرين وتحالفوا على التناصر فصاروا يدا واحدة وضهم اسم تنوخ ( الطرى ١ - ٤٧٦ وابن الأثير ١ - ١٣٥ والأفانى ١١ - ١٥٥ ) .

وبظاهر أن الإمارة بدأت في عهد أردشير ، إذ تأمر على الحيرة مالك ابن قهم الأزدى ، ثم خافه ابنه جذيمة الأبرش ، ثم تولى بمد جذيمة ابن أخته عمرو بن قدي (٢٦٨ - ٢٨٩ م) وهو أول الأمراء الأخمينيين آل نصر ، وأول من يمدد أهل الحيرة من ملوك العرب بالأراق ، ثم توالى بمده الأمراء من الأخمينيين ، حتى هزمت إمارتهم نحو أرسنة قرون ، إلى أن افتتحها خالد بن الوليد سنة ٦٣٣ م<sup>(١)</sup> .

٣ - كان أمراء الحيرة أو ملوكها يخضعون للفرس خضوعاً اسمياً ، وكان الفرس بمفهومهم من الإذوة لقاء حمايتهم للحدود ممن يغير عليها ، وكفاء مساعدتهم لهم في حروبهم للروم .

على أنهم باغوا من القوة أحياناً إلى حد المساواة بينهم وبين الفرس والروم ، فحاربوا الفرس حيناً ، وحاربوا الروم أحياناً ، منتصرين للفرس وموالين لهم .

ومن أعظم ملوكهم النعمان بن امرئ القيس بن عمرو المروفي بالنعمان الأهوازي (حوال ٤٠٣ - ٤٣١ م) كانت عنده كتبتان يقرأ لإحداهما دؤسر وهي عربية ، ويقال للأخرى الشهباء ، وهي فارسية ، فكان ينزو بهما بلاد الشام ومن لم يخضع له من العرب<sup>(٢)</sup> .

كذلك غطت مكانة الحيرة في عهد المنذر الثالث الذهب بابن ماء السماء (حوال ٥١٤ - ٥٥٤ م) وهو الذي رفض أن يمتنق الزدكية كما اعتنقها ملك الفرس قباذ ، فزله قباذ ، وولى على الحيرة الحارث بن مر أمير كندة ، فلما مات قباذ وخلفه ابنه كسرى أنوشروان نكل بالزدكية وأنباعها ، وأغارته المنذر إلى إمارة الحيرة ، وكان هذا سبباً في حروب بينه وبين الحارث الكندي ، إلى أن قضى عليه وعلى بنيه .

ويبدو أن رفض المنذر للزدكية وانتصاره على الحارث الكندي ، وتخوف

(١) الطبري ٢ - ٣٧ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١٥٦ ، ومروج الذهب ١ - ١٢٦ ،

وتاريخ الإسلام للسياسي ٤٨ حسن إبراهيم

(٢) الطبري ٢ - ٧٣ .

كثير من العرب أن يحكمهم الحبش الذين استولوا في ذلك الوقت على اليمن ، يبدو أن هذا دفع القبائل العربية في نجد وشرق الجزيرة إلى أن تمان ولاها للنذر . ثم زاد من مكائده أنه حارب النساسنة والروم ، وانتصر عليهم مرات ، وكان من نتائج انتصاره أنه لما عقد الصلح بين الفرس والروم في عهد الإمبراطور جستنيان عام ٥٢٢م كان من شروطه أن يدفع الروم الملك الفرس والنذر غرما متساويا من المال .

٤ - كان آخر ملوك الحيرة الأقوياء النعمان الثالث بن المنذر ( ٥٨٥ - ٦١٣م أو ٦٠٢ م ) وهو أبو قابوس ، وصاحب الباقية القدياني ، وقتل عبيد ابن الأبرص وعدي بن زيد في إحدى الروايات ، وهو الذي مات في جيش كسرى . ( ٦١٣م ) وقد أقام كسرى إياس بن قبيصة خلفاً للنعمان على الحيرة ، ولم يكن من أهل بيت النعمان ، وأنترك معه في الحكم رجلا فارسيا اسمه النخبرجان . وكان من أثر ذلك ضمف الحكومة العربية في الحيرة ، ثم قيام حرب ذى قار بين الفرس والعرب ، وكان إياس ابن قبيصة وأولياؤه من العرب في صف الفرس ، لكن العرب انتصروا على الفرس وعلى إياس .

ثم انفرد ملك الحيرة آزاد بن باهيان الحمداني سبعة عشر عاما ، وجاء بعده المنذر بن النعمان ، فلم يكت إلا ثمانية أشهر ، وهو الذي يسميه العرب المنور ، إذ قدم خالد بن الوليد إلى الحيرة فافتتحها سنة ٦٣٣ م <sup>(١)</sup> بعد أن دامت نحو أربعمائة سنة وهي مدة طويلة في أعمار الدول .

• - على أن الحيرة لم تكن حلقة الاتصال بين العرب والفرس فحسب ، إذ كانت الحيرة وما جاورها مجما لأدبان شتى في الجاهلية ، يدل على ذلك أن المسلمين فتحوها وعلى شواطئ دجلة والفرات فرس يمتقنون الزرادشتية ، ونصارى يدينون بالمسيحية ، وأساس يتبعون المانوية <sup>(٢)</sup> ، وأتباع لديانات قديمة وثنية ، بقيت منهم آخر طائفة وهم الصابئة بمران حتى القرون الوسطى <sup>(٣)</sup> .

(١) الطبري ٢ - ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) ديانة نشأت من اتحاد دين زاوادشت بالأنكار المسيحية والمفدية

(٣) الفهرست ١٧ والمضارة الإسلامية ٧٣ قول كزيمر

## ثالثا - الفرس باليمن

لم يكن اتصال العرب بالفرس محصورا في نطاق الجوار والمخالطة والنزوات للتبادة والمصلحة التجارية ، من طريق الحيرة وحدها ، لأن التاريخ يبين من سلات أخرى .

١ - فقد قام أبو كرب أسعد الملقب بْبُنَيْع (حوالي ٣٨٥ - ٤٢٠ م) مع ابنه حسان بهجوم على شمال الجزيرة<sup>(١)</sup> ، أملا في بسط سلطانه على بلاد العرب كلها ، ورغبة في دهم نفوذه النجاري على طرق القوافل العربية ، لهذا عين ابنه على يثرب ، وعين على كنفه أحد أقاربه وهو حُجْر آكل المرار ، ثم تقدم إلى الحيرة واستولى عليها ، ثم توغل في فارس نفسها حوالي ٤٢٠ م أو ٤٢٥ م .

٢ - ولما تورطت اليمن في النزاع الناشب بين الفرس والروم (٥٠٦ - ٥٢٦ م) آزر الملك معد يكرب بزنطة على فارس ، بمعاربته النذر ملك الحيرة للوالى لفرس سنة ٥١٦ م .

اكن اليمن بعد ذلك انحازت إلى فارس ، لأن الروم حاولوا أن ينشروا المسيحية بها ، وخوفهم بالحبش ، فامتنق اليهودية ذو نواس آخر ملوك التبابعة ، ومقد معاهدة مع النذر الثالث ملك الحيرة وحليف الفرس .

٣ - فلما احتل الحبش بلاد اليمن سنة ٥٢٢ م لجأ سيف بن ذى يزن إلى الفرس ، ليستجد بهم ، وليس بين المؤرخين خلاف في هذا الاستنجد ، فهم متفقون على أنه استنجد بقمصر ، فلم يستجده ، لرغبته في أن تبقى اليمن خاضعة لأحلافه

(١) كان امرؤ القيس بن عمرو ملك الحيرة للوالى لفرس قد هجم على نجران ، وولى نقش النخلة (٣٢٨ م) اغارة إلى حمته ولقب نفسه بفاتح نجران وملك العرب ، وكان الفرس من هذه الحقبة السيطرة على القوافل العربية القوية بين الحيرة واليمن ، والسيطرة على طرق القوافل التجارية ، والفضاء على احتسار اليمن لهذه الطرق . وصدى لماؤسته اخوان هما الفرح بحسب وبازل باين ، وكانا قد اغتصبا الملك من شمر بهرمن ، واستمنا في مدعومتهم ببقية كعدة التي كانت قد هاجرت إلى شمال اليمن ، واستقرت هناك ، وطلت بعد هجرتها موالاة للوك اليمن وشبه تابعة لهم .

وبعد هجوم امرؤ القيس بنحو قرن زحف بهم على القفال وهي الحيرة .

الحبش ، فتكون طريقا إلى متاجر الروم ، وليناوى الفوذ الفارسي والمخارج  
الفارسية باليمن ، ولأن الدين المسيحي موحد بين بزنطة والحبشة .

فانجه سيف إلى كسرى أنوشروان ( ٥٣١ - ٥٧٨ م ) فأجده بجيش خلص  
اليمن من حكم الحبش وأخضعها لحاجة الفرس (١) .

ولقد ابتهج العرب بخلّاص اليمن ، فرفدت إلى سيف وفودهم نهشته بطردهم ،  
وسجل أبو العتات والدامية هذا الابتهاج بقوله :

لا يطلبُ النَّارُ إلَّا كَابِنَ ذِي بَزَن	في البحرِ حَيَّومٌ لِلْأَعْدَاءِ أَهْوَالَا
أَنِي هِرْدَلٌ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ	فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ النُّصْرَ الَّذِي سَالَا
ثُمَّ انْتَحَى نَحْوَ كَسْرَى بِمَدِّ عَاشِرَةٍ	مِنَ السَّنَنِ يُهَيِّنُ النَّفْسَ وَالْمَالَا
حَتَّى أَنِّي بَيْنِي الْأَحْرَارَ يَقْدُمُهُمْ	تَحَالُمُ فَوْقَ مَتْنِ الْأَرْضِ أَجْبَالَا
مَنْ مِثْلُ كَسْرَى شَهْنَشَاءِ الْمُلُوكِ لَهُ	أَوْ مِثْلُ وَهْرَزٍ يَوْمَ الْجُنَيْشِ إِذْ صَالَا
فَهُ دَرَمٌ مِنْ فَتِيحٍ صَبَّحُوا	مَا إِنْ رَأَيْتَ لَحْمَ فِي النَّاسِ أَشْبَالَا
يَبُوضُ مِرَازِبَةٌ غُلْبٌ أَسَاوِدَةٌ	أُسْدٌ تَرْبِبُ فِي الْقَيْضَاتِ أَشْبَالَا
أَرْسَلَتْ أَسْدًا عَلَى سُودِ الْكَلَابِ فَقَدْ	أَشْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ قُلَالَا
فَانْتَرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ النَّاجُ مُرْتَفِقًا	فِي رَأْسِ قَمْدَانٍ دَارًا مِنْكَ مِخْلَالَا
وَأَظَلَّ بِالْحَكِّ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ	وَأَسْجَلَ الْيَوْمَ فِي بُرْدِكَ إِسْبَالَا (٢)

وبنو الأحرار الذين عندهم أمية في شعرهم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن  
وأبناءؤهم إلى القرن الرابع الهجري كانوا يسمون بنى الأحرار بصنماء ، ويسمون

(١) الطبرى ٢ - ١١٥ - ١٢٤ وسيرة ابن هشام ١ - ٦٥ - ٧٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ - ٩٦ والأغانى ١٦ - وابن قتيبة ١٧٧ وطبقات الشعراء  
لابن سلام ١٠٢ وأخبار مكة للأزرقي ١ - ٩٣ والطبرى ٢ - ١٢٥ وفى الأغانى أن الشعر  
لأمية لا لأبيه .

سأل : عتف سأل . مرازية : جم مرزبان وأصل . مناه وزير الفرس والمراد أنهم ذوو رأى  
ومكانة . غلب : جم أغلب . وهو أقوى الشديد . أساوره : جم أسوار بضم الهززة وكسرهما  
وهو قائد الفرس أو فارسهم أو مجيد الرى بالسهم . تربب : تربى القبيضات جميع قبضة ومى  
لللكان المتن يانشر ويكون مأوى لساع . قلل : جمع قل وهو النهزم . عمدان : قمر  
عجيب الصنعة بن صنماء وطوره . شالت نعامتهم : هلكوا . أسبل : أرخ ثوبك مختلا .

الأبناء باليمن ، والأحامرة بالكوفة والأساورة بالبصرة ، والحضارمة بالجزيرة ،  
والجراجمة بالشام<sup>(١)</sup> .

وثمة قصيدتان أخريان في تهنئة سيف بالخلاص من حكم الحبش<sup>(٢)</sup> .

ولكن لماذا ابتهج العرب بالخلاص من الحبش إلى الفرس ؟

لا شك أن اليمنيين والعرب عامة كانوا متوربين من سوء الحكم الحبشي ،  
ومحاولة الحبش استعمار الحجاز وهدم البيت الحرام . ثم إنهم — وإن لم يكن استقلالهم  
تاماً في عهد الحكم الفارسي — كان النفوذ لهم والسلطان ، لأن سيف بن ذي يزن  
كان يحكم اليمن ، ويدفع الجزية لكسرى في كل عام<sup>(٣)</sup> . وما من شك في أن العرب  
كانوا يأنفون من أن يحكمهم الحبش ، وإنا لنبين ذلك في قول سيف لكسرى :  
« أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة ، فجنك لننصرني عليهم ، وتخرجهم عني ،  
ويكون ملك بلادى لك . فأت أحب إلينا منهم »<sup>(٤)</sup>

فهو يعبر عنهم بالفرسان ، ويؤثر أن يحكمهم الفرس على أن يحكمهم هؤلاء الزربان .  
وتبينه في قول أبي الصلت في قصيدته السابقة ( أرسلت أسداً على سود  
الكلاب ) وهو يعني بالأسد الفرس ، وبمعنى بالكلاب السود الحبش .

وقد نكل سيف بن ذي يزن بالحبش الباقين في بلاده ثم اقتالوه ، فوثب إلى  
الحكم رجل من الحبشة ، فأخذ يقتل ويفسد ، فأرسل كسرى جيشاً بقوده وهززه  
وأمره أن يقتل كل من باليمن من الحبش ، ففعل وأمره كسرى على اليمن ، فكان  
يتولى حكمها ، ويجي إلى كسرى مالها .

ولما مات ولي كسرى ابنه المرزبان ، ثم مات فول ابنه البنجان ، فأت هذا  
أيضاً قعين كسرى ابنه خَرَّخْمَرَة . ثم عزله وولى بعده باذان ، ولم يزل باذان على  
اليمن ، حتى بعث الله النبي عليه الصلاة والسلام<sup>(٥)</sup> .

(١) الأغاني ١٦ — ٧٣

(٢) سيرة ابن هشام ١ — ٧٠

(٣) الطبري ٢ — ١٧٦

(٤) الطبري ٢ — ١١٦

(٥) الطبري ٢ — ١٢٠ — ١٢١



## رابعاً - للتجارة

منذ زمن قديم اتصل العرب بالفرس اتصالاً تجارياً ، كانت له عدة وسائل .

١ - فقد كان الهنود حلفاء اتصال بين الهند والحبشة وشرق أفريقيا وبين شمال آسيا وشمال أفريقيا ، وكانت عمان الإقليم الشرقي لهذه التجارة .

٢ - فقامت حمير - التي خلفت سبأ - انتقلت السكك التجارية إلى مكة ، وعقدت مكة معاهدات تجارية مع الأمم المجاورة ، إذا أخذ بنو عبد مناف المعتمر للقرين ، وكانت إحدى هذه المعاهدات معاهدة أحدها نونل من ملك فارس فتورد العرب على العراق وعلى فارس ، وبهذه المعاهدات التي عقدها أبناء عبد مناف مع حكام الشام من روم وعرب ، ومع الفرس والحبش وحير خير الله قريناً ، وأصلح أحوالها ، وأقام عليها كثيراً من الخيرات ، فسمى الأربعة الذين عقدوا المعاهدات المحبرين<sup>(١)</sup> .

٣ - على أن العرب كانوا منذ زمن قديم يقدمون على الفرس بتجارهم وسلهم ويمتدرون من عندهم الحب والنمر والنياب وغيرها<sup>(٢)</sup> وكانوا إذا أجذبوا قصدوا العراق وفارس فيشترون النمر والشعر ، ثم يمدون إلى بلادهم ، خوفاً من القوة في سلطان دولة أجمية<sup>(٣)</sup> .

٤ - والذي يتابع طرق القوافل ومسالك التجارة يجد بينها طريقاً من أدب إلى جرة . وجرة مدينة على الخليج العربي - الفارسي - يرجع أنها أسست في القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان سكانها أصحاب نشاط تجاري ، وهي ممتازة الموقع ، لأنها تواجه الهند ، وتقع داخل خليج البحرين بأمن من الأمواج وعلى مقربة من واحات الحسا التي تمتد مفتاحاً لقلب الجزيرة العربية ، والراجح أن وضعها كان قريباً من المقيّم الحالية ، وما زال هذا الطريق مسلوفاً إلى يومنا هذا .

(١) الطبري ٢ - ١٨٠ وجميع الأمثال ٢ - ٦٦ والذواقر لثقال ١٩٩

(٢) الطبري ١ - ٢٩١

(٣) ابن الأثير ٢ - ٢٢٨

ثم يجد طريقاً آخر من جرة إلى بَطْر ، إذ كانت بعض السَّلح تحمل في قوارب إلى الخليج ، ثم تحمل في الفرات ، ثم ترسل إلى الشام براً عن طريق تدمر . وهناك طريق ثالث من جرة إلى الحِصَا واليمامة وغيرها من مناطق نجد<sup>(١)</sup> .

٥ — وكان الفرس يسمون متاجرم إلى أسواق العرب مثل مكّاه والمُشَقَّر ، ويسمونها كذلك إلى اليمن وقلب الجزيرة العربية . وإذا كانوا لا يستطيعون حيايتها استعانوا بعرب الحيرة على خفارة القوافل التجارية ، ولا سيما التجهة إلى سوق مكّاه لقاء جمل يقدمونه لأشراف القبائل الذين يحمون القوافل وكثيراً ما كان حاة القوافل يردون الجمل أن اعتدى أحد على القافلة ومجوزاً عن حايّتها .

ولقد كان الاعتماد على القافلة يشمل حرباً ، كما حدث في يوم السَّلَان ، إذا قامت حرب بين النعمان الثالث — أبي قابوس — بن النذر الرابع ( ٥٨٥ — ٦١٣ ) وبين بني عامر بن صعصعة ، لأن بني عامر اعتدوا على قافلة كسرى أبريز التجهة إلى مكّاه ، فغضب النعمان ، واعتنق أخاه لأمه ونزلة السكبي ، وجمع بني تميم والنق الجيشان بالسَّلَان ، واقتتل أحرقتال ، ثم انتصر المامريون على جيش النعمان<sup>(٢)</sup> .

وكذلك تخارب العرب والفرس في يوم الصَّفَّة ، لأن العرب اعتدوا على قافلة كسرى المرسلة إلى اليمن ، أو على قافلة أرسلها إلى كسرى عامله على اليمن ، واحتال كسرى وأموأه من العرب على التخليك بالمعتدين<sup>(٣)</sup> .

٦ — وقد امتازت مكّة — كما لها الآن — بأنها سوق عالمية ، ترد إليها التجار من بلاد ومن أقطاع شتى ، حتى أن بعض مؤرخي الأفرنج يرجعون أنه كان بها بيوت رومانية تشرف على الشؤون التجارية الروم ، وكان فيها حبش يهود مصالح قومهم التجارية<sup>(٤)</sup> .

ويؤكد لا مانس ما ذكره الوافدي من أن بعض الدول كبيزنطة وفارس ، كان لها ممثلون في مكّة نفسها<sup>(٥)</sup> . ومن هنا صارت مكّة مركز المصيرفة ، وسوقاً لتبادل ،

(١) الجغرافية التاريخية الإسلامية ١٢ مدح حوته .

(٢) ابن الأثير ١ — ٢٣٤ .

(٣) الطبري ٢ — ١٣٤ والأمان ١٦ — ٥٧ والمقد الفريد ٢ — ١٥٤ .

(٤) فجر الإسلام ١٥ عن Arabia Before Mohammed .

(٥) عصر ما قبل الإسلام ١٢١ مبروك تافع .

وتداول الناس فيها دراهم الفرس<sup>(١)</sup> وكان التجار يستطيعون أن يدفعون فيها أثمان السلع التي ترسل إلى بلاد بعيدة ويستطيعون أن يؤمنوا على متاجرم التي تجتاز طرقا محفوفة بالمخاطر ، لهذا سماها بعض المستشرقين بندقية بلاد العرب .

### خامساً — صلات آخر

انصل العرب بالفرس بوسائل أخرى ، كانت لها آثار ونتائج :

١ — فقد حكم الفرس البحرين وجر ، وما زال حكمهم قائماً إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدل على ذلك أنه بث إلى اتباع كسرى بهجر بدءهم إلى الإسلام ، فأبوا ، فوضع عليهم الجزية ديناراً على كل رجل<sup>(٢)</sup> .

وقد نقل الفرس إلى بحر طائفة من الفعلة لبناء حصن المشقر ، ومعهم ساء من ناحية السواد والأهواز ، فتناكروا وتوالدوا وساروا أكثر سكان مدينة هجر ، وتكلموا بالعربية ، وانتسبوا إلى عبد القيس .

فلما جاء الإسلام قالوا لعبد القيس : قد علمت عددنا وعدتنا وعظيم غنائنا فادخلونا فيكم ، وزوجونا . فرفضت عبد القيس ، أنفة من أن يدخلوهم فيهم ، ففترق القوم في العرب ، وبقيت في عبد القيس منهم بقية ، فانتسبوا إليهم فلم يردوهم من ذلك<sup>(٣)</sup> .

٢ — وكان الفرس يستخدمون بعض العرب في دواوينهم ، فكتب لقيط بن يَمَر الأبادي لكسرى وترجم له<sup>(٤)</sup> ، وكان عدى بن زيد من زاجرة كسرى أربوز ( ٥٩٠ — ٦٢٨ م ) ثم خافه ابنه زيد في وظيفته وكان زيد والدي يقرأ العربية والفارسية<sup>(٥)</sup> .

٣ — على أن العرب دخلوا إلى فارس ليمتلأوا ، كالحارث بن كندة الثقفي ،

(١) فتوح البلدان ٤٧١

(٢) المناقب للواقدي ٨٥ و ٨٨

(٣) الطبري ٢ — ٢٣١

(٤) الأغاني ٢ — ١٠١ ومجمع ما احتج به بكري ١ — ٧٥

(٥) الأغاني ٢ — ١٠١ — ١٠٦

رحل من الطائف إلى جُندَ يسابور وغيرها من فارس ، فتم الطب ، والعرف إلى  
الود ، ويدكرون أنه قابل كسرى ، ودار بينهما حديث طويل<sup>(١)</sup> كذلك رحل ابنه  
النضر إلى الحيرة وإلى فارس ، فأتى الفارسية وكاف بها ، وكان يقتنى بعض كتبها  
وبما ند الدعوة الإسلامية بها<sup>(٢)</sup> فإذا تملق الناس حول النبي عليه الصلاة والسلام  
ليسمعوا منه ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يامعشر قريش أحسن  
حديثاً من محمد ، فملم إلى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يمدحهم عن ملوك  
فارس ورستم وأسفندياذ ، والنضر هذا هو الذي قال : سأزل مثل ما أزل الله ،  
وفيه نزلت ثمانى آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : « إذا تلى عليه آياتنا  
قال أساطير الأولين » وبرى بعض المفسرين أنه المقصود في الآية الكريمة : « ومن  
الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بنير علم ، ويتخذها هزواً ،  
أولئك لهم عذاب موهين » .

ورحل الأعمى إلى فارس وقيل إنه مدح كسرى وعرف كلمات فارسية كثيرة  
استخدم بعضها في شعره ، وقد سجل رحلاته في قوله<sup>(٣)</sup> :

وطوفت لشعر آقافه نهمان وريحمن وأدرشلم  
أنبت النجاشي في أرضه وأرض النبط وأرض المعجم

وفي قوله :

قد سرت ما بين بانديا إلى عدن وطال في المعجم زحالي وآسيارى  
ووفد عبد الله بن جُدعان على كسرى<sup>(٤)</sup> .

(١) هيون الأنبا في طبقات الأطباء ١ — ١٠٩ — ١١٣ وأخبار الحكماء للذهبي ١١١

(٢) سيرة ابن هشام ١ — ٣٣٠ وعيون لأبياء ١ — ١١٣

(٣) معجم البلدان ٢ — ٥١ والديوان ٤١ — ١٢٩

(٤) الأغاني ٨ — ٤

## الفصل الثاني

### أثر الفرس في العقائد

من الطبيعي أن كانت للصلات التي أسلفناها آثار شتى في العرب ، نتناول ألوانا من الحياة ، لكن الذي يهتني في هذه الدراسة هو الآثار التي تتصل باللغة والأدب اتصالا مباشراً ، أو اتصالاً يمت إليهما بملافة غير مباشرة .

وقبل أن نتحدث عن تأثير الفرس في عقائد بعض العرب يجدر بنا أن نلم المامة بحجة بأصول دينهم الذي دانوا به .

كان الفرس انغماء بمبدون (مَثَرًا) إله الشمس ، و (أناهيتا) إلهة الحصب والأرض ، وآلهة أخرى .

فلما ظهر زرادشت<sup>(١)</sup> بدينه الجديد اعتبره قدماء الإيرانيين نبياً أوحى إليه (أهورا مازدا) وأمره أن يبلغ الناس رسالته .

أما الأصل الذي قامت عليه الزرادشتية فهو الاعتقاد بوجود قوة عليا هي قوة الخير والنور ، وتسمى (أهورامازدا) أي النور العظيم ، بجانب هذه القوة سيمة يتلون الفضائل السيمة العليا ، وهي : الحكمة والشجاعة والشفقة والعدل والإخلاص والأمانة والكرم ، وإذا كان الخير لا يتحقق إلا بمقاومة الشر وقهره فإن الزرادشتية تفترض وجود شخصية شريرة تسمى (أهريمان) أي قوة الشر والظلام ،

---

(١) يذكر ولد ديوانت أن الطاء مختلفون في موته بين القرن الثامن والسادس قبل الميلاد ( قصة الحضارة الفارسية ٣٨ ) ويرجح برسته أنه ولد حوالي ٥٧٠ قبل الميلاد ، ويعلم الدكتور أحمد نفري مترجم كتاب برسته أن الباحثين قد انتهوا إلى أنه عاش في القرن السادس ( انتصار الحضارة ٢٥٩ ) ثم يذكر برسته في موضع آخر أن فورس ( قتل ٥٢٩ قبل الميلاد ) أقام في عاصته التي أسسها لمبدأ الديانة الزرادشتية في الوقت الذي كان فيه زرادشت مازال حياً ( انتصار الحضارة ٢٦٤ ) وهذا يثبت وجود زرادشت في القرن السادس .

يماونها سبع من القوى الشيطانية الخبيثة المتمردة تمثل الرذائل الإنسانية وهي  
التفاق والخديعة والحياة والجبن والبخل وإزهاق الأرواح .

وبين قوى الخير والشر صراع دائم وحرب لا تنتقطع ، لأن كلا منهما تريد  
السيطرة على الإنسان .

لهذا دعا زرادشت إلى مجاهدة قوى الشر وصراعهما والغلب عليها تحت لواء من  
قوى الخير ، وبين لأتباعه أن السهون في مؤازرة قوى الخير إنما هو استسلام لقوى  
الشر ، فلي من يختار طريق الخير أن يخضع لأهورا رازداً إنه النور الأعلى الذي  
لا أول لوجوده ، ولا نقص يمتري ذاته خلق جميع الكائنات وعلى رأسها  
الإنسان .

وإذا كان ( أهورا مازدا ) قوة روحانية عليا منزهة عن أى نوع من النقص فإن  
العقل لا يستطيع أن يدرك حقيقتها ، ولا يستطيع الخيال أن يتصورها لهذا رمز  
زرادشت إلى هذه القوة النقية العليا التي لا تدركها الأبصار ، ولا تحيط بكمهها  
المقول ، برزين حدين تستطيع العقول إدراكهما ، ويستطيع أتباعه أن يفكروا  
فيهما فيتصوروا صفات ( أهورا مازدا ) على وجه التقريب .

هذان الرمان هما الشمس والنار .

فالشمس تمثل بعض صفات أهورا مازدا ، لأنها كائن مشرق مضيء فياض  
بأنوارات وهي قوة لا تقاوم نزعات الشر على الاقتراب منها والاندساس من قدرها  
وطهرها .

والنار عنصر أزل ، وقوة مطهرة مملكة .

لهذا يبدو أن الزرادشتية لا تدعو إلى عبادة النار بدعوى أنها كائن حي وإذاعة  
إلى تقديسها وتقديس الشمس لأنهما رمان عظيمان لا هورا مازدا .

وقد حمل زرادشت أتباعه واجب الاحتفاظ بالشملة النارية مضطربة ، وكان  
يجول في البلاد ليقيم مهابد النار ، ثم أسبغ الجوس على نار المبد قدسية عظيمة ،  
حتى كان كاهن النار يتلمذ عند اقترابه منها ، خشية أن يسل نفسه إليها فيلوثها .

وكانت زرادشت نعاليم خفية ، منها أنه كان يحض على العمل والجد ، ويسد أفضل وسيلة للتقرب إلى الخالق ونيل رضاه ، وطائفاً تحت أنبائه على استغلال الأرض والافتناع بخيراتها ، وبين لهم أن العمل والإنتاج وتشمير الأرض خير من صوم وصلاة في كسل وخمول . كذلك أمرهم باجتناّب الكذب ، والوفاء بالعهد : ولم يحل لهم ٥٠٠ قبل الميلاد حتى كانت الزرادشتية هي الدين الأول للإيرانيين اعتنقها ملوك الفرس ، وصرها داراً الأول ( ٥٢٢ - ٤٨٦ ق . م ) وجعلها الدين الرسمي للدولة <sup>(١)</sup> .

لسكن الناس المحرفوا فيها بعد من الزرار شنية ، فمبدوا النار ، وعدوها من آلهتهم وسموها ( آثر ) وجعلوها أبناء لاله الأعظم إله النور والضياء ، وجعلوا يقدّمون لشمس والنار ولأهوردا مازدا قرابين من الأزهار والخبز والفاكهة والحيوان وأحياناً من البشر <sup>(٢)</sup> :

ثم ظهر ( ماني ) بإيران سنة ٣٤٢ م في زمن سابور بن أردشبر ، وادعى النبوة وصدقه خلق كثير ، هم الذين سمو المانوية .

قام مذهب ماني على أن العالم يسيطر عليه النور منذاً الخير ، والظلام منشأ الشر فشكل ما هو خير وجبل ونافع كالنور مصدره ، وكل ما هو شر وفييج وضار كالظلام مصدره .

وقد فرض ماني على أتباعه عدة فروض ، منها الشك في الدين ، والنزواني في العمل ، وتلم العقل والسمعر ، ومنها الافتناع عن الكذب والبخل والقتل والزنا والسرقة والكف عن ذبح الحيوان حماية له من الألم .

ولم يجمع ماني نبوة زرادشت وبوذا والمسيح :

ومن الموازنة بين الزرادشتية والمانوية يتبين أن الزرادشتية كانت تشجع على التناسل والتسمير والتشمير والإنتاج وقاح الأرض ، أما المانوية فكانت تدعو إلى

(١) قصة الأدب الفارسي ٣٠ حامد عبد القادر وقصة الحضارة الفارسية ٣٩ ول ديورانت .

(٢) قصة الحضارة الفارسية ٤٨ ول ديورانت .

الخلول والكسل وترك الزواج والقتال وإيثار العزلة والرهبة ، حتى يفيض العالم  
وبسود النور إلى موطنه الأصلي ، وهذا هو معنى قول هرمز بن سابور : إن ما  
جاء ليدعو الناس إلى تدمير العالم<sup>(١)</sup>

لهذا كانت الديانتان متعارضتين وإن تراهى بينهما شبه الظاهري ، فكان  
زرادشت يظنون على المانوية كلمة ملاحدة .

ثم ظهر مزدك في عهد قبادز والد كسرى أنوشروان ( أوائل القرن السادس )  
فوافق زردشت في بعض ما دعا إليه ، وزاد ونقص ، لكنه حاول أن يفسف مذهبه  
المهدام ، وبصيفه بصيغة فيها خير المجتمع ، فزعم أنه ينهى عن التباغض والتقاتل ،  
وأن أكثر ما بين الناس من شغناء وبغضاء وسفك للدماء إنما سببه أسران : الأموال  
والنساء ، ولا سبيل إلى السلام والمحبة إلا بالتسوية بين الناس في الأموال والأموال  
والعبود والإماء والنساء ، وبهذه أحل مزدك الشيوع في النساء وفي الأموال ، وجعل  
الناس شركة فيها كالماء والنار والكلاء ونجم من ذلك كثرة أتباعه من السفلة والطغام ،  
وصاروا عشرات الألوف فظلم شأنه ، ونهه الملك قبادز ، فاشتدت البلايا على الناس ،  
وصار الرجل لا يعرف ولده ، والولد لا يعرف أباه<sup>(٢)</sup> .

وبتحدث ( نظام الملك ) في تفصيل عن المزدكية فيبين أن كبراء الدولة لا أفروا  
مزدك على شيوعية الأموال قل لهم : وكذلك الشأن في نساءكم ففى كالأموال بينكم ،  
فمن يرغب في امرأة فليجتمع بها ، فليس في ديننا فيرة ولا حية ، وبهذا لا تحيا النساء  
بغير نصيب من لذة الدنيا وشهواتها . ومن نظمه التي وضعها أنه لودما شخص عشرين  
رجلا إلى داره فليبه أن يقدم بالطعام والطرب ويبيع لهم مباشرة نسائه .

ثم يقوم نظام الملك إن كسرى أنوشروان ألج رجل الدين على مزدك وعلى والده  
قبادز ، وبين لهم وخامة هذا العمل وسوء عتباؤه على الملك وعلى الدولة ، وأوعز إليهم  
أن ينصحوه آباءه ، وأن ينظروا مزدك ، وأمر إلى كراء الدولة أن يقتل أبيه قداختل ،

(١) قصة الأدب الفارسي ٥١ .

(٢) الملل والنحل ٢٢٩/١ وصبح الأعشى ٢٩٧/١٣ والكمال لابن الأثير ٢٤٤/١  
التذية والإشراف للسمودي ٨٩ .



كاستمموا إلى نصحه ، وخلصوا قباذ ، ثم أعادوه بعد أن قتلوا مزدك وكثيراً من أتباعه<sup>(١)</sup> .

وربما كانت دعوى الشيوعية في فارس أهدم من مزدك هذا ، لأن الطبري يذكر أن مبتدع هذه الدعوى رجل منافق من أهل ( فسا ) يقال له زرادشت بن خروكان وثابته الناس على بدعته ، ثم دعا العامة إليها بعده رجل يقال مزدق<sup>(٢)</sup> وبهذا الرأي أخذ براون<sup>(٣)</sup> وكذلك ذكر ابن النديم أن اثنين دعوا إلى هذا المذهب كل منهما اسمه مزدك ، أحدهما قديم ، والآخر ظهر في أيام قباذ ، وقتله أنوشروان وقتل أتباعه<sup>(٤)</sup> .

وأما ما كان الأمر فقد قضى أنوشروان على مزدك وأتباعه بعد سنوات من ذبوع المذهب في الناس ، ولكن الطائفة لم تنقرض ، بل بقي عدد منهم يتبعهم أنوشروان بعد استوائه على العرش ( ٥٣١ م ) .

ومن المرجح أن بعضهم ظلوا متمسكين بآبائهم خفية حتى جاء الإسلام . فانتقلت بعض عقائدهم إلى بعض الفرق الهدامة التي ظهرت في الدولة الإسلامية .

وإذا قللنا الغالبية على الفرس إنهم عهدوا للنار وللشمس .

وكانت بيوت النار مثبتة في العراق وفارس ، حتى ليصعب إحصاؤها ، وظل بعضها في جهات شتى من العراق وفارس إلى ما بعد الفتح الإسلامي بثلاثة قرون<sup>(٥)</sup> . وكان لهذه العقيدة تأثير في العرب .

١ — فقد عرف بعضهم الجوسية ، ودان بها آخرون في بقاع شتى من الجزيرة ، فلما ظهر الإسلام دفنوا الجزيرة للرسول صلى الله عليه وسلم . ومنهم مجوس نجران<sup>(٦)</sup>

(١) سياسة نامه ٢٤٠ .

(٢) الطبري ٩١/٢ .

(٣) Literary History of Persia. p. 740

(٤) المهرست ٣٤٢ .

(٥) مروج الذهب للسعودي ١/٢١٨ ، ٤/٨٦ والسالك والمالك لابن حوقل ٨٩ و ١٨٩

والسالك والمالك للصاغري ٩٠٠ ، ٩١٨ .

(٦) فتوح البلدان للبلاذري ٢٥ .

ومجوس اليمن ومجوس هجر<sup>(١)</sup> وعمان<sup>(٢)</sup> والبحرين<sup>(٣)</sup> وكان بالقطيف وبالزارة وبالقنابة ودارين مجوس أيضاً<sup>(٤)</sup> ، وكان بتميم مجوس منهم زرارة بن مدس وابنه حاجب ، والأفرع بن حابس ، وأبو سود جد وكيع بن حسان وغيرهم<sup>(٥)</sup> . وكان سلمان الفارسي مجوسياً ثم أسلم<sup>(٦)</sup> على أن يعض العرب ما زالوا على المجوسية إلى عهد عمر بن الخطاب فقد ذكر له في خلافته قوم يبدون النار ، ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا أهل كتاب ، فقال ما أرى ما أصنع بهم ، فقال عبد الرحمن بن عوف : أشهد أن رسول الله قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب<sup>(٧)</sup> .

لذلك لا عجب في أن تزوج كثير من العرب مجوسيات أفرد لهم أبو الحسن الدائني كتاباً سماه ( كتاب فيمن تزوج مجوسية )<sup>(٨)</sup> . والراجح أن هذا الزواج لم يكن في الإسلام ، لأن الإسلام لا يبيح زواج المجوسية إذ أن المجوس مصدقون بنبوذة زرادشت ، مكذبون بسائر الأنبياء<sup>(٩)</sup> .

٢ - أما المزدكية فقد اعتنقها بعض العرب ، منهم مالك كنفدة الحارث بن عمرو بن حنجر ، وكان معاصراً لقباز بن فيروز نصير المزدكية ، وكان قباز قد دعا النضر بن ماء السماء وإلى الحيرة إلى الدخول معه في المزدكية فأبى ، فدعا الحارث فلبى فولاه الحيرة مكانه ، فلما تولى كسرى أنوشروان ( ٥٣١ م ) هزل الحارث ، وأعاد النضر<sup>(١٠)</sup> .

٣ - ولقد تجلى تقديس العرب للنار في مظاهر شتى ، فخلقوا بها ، إذ كانت نار

(١) فتوح البلدان ٧٥ ، ٧٨ والمراجع لأبي يوسف ٧٤ .

(٢) فتوح البلدان ٨٤ .

(٣) فتوح البلدان ٨٦ .

(٤) فتوح البلدان ٩٢ ، ٩٣ .

(٥) الكامل لابن الأثير ٢١٣/١ والمعارف لابن قتيبة ٢٠٥ وخطاب ١٠٠ صاعد ٤٣

والإعلاق النبوية لابن رسته ٢١٧/٢ .

(٦) أسد القنابة ٣٢٩/٢ .

(٧) المراجع لأبي يوسف ٧٤ والرسالة ٤٣٠ الثاني .

(٨) الفهرست ١٠٢ .

(٩) لفصل ١١٢/٢ .

(١٠) الأغاني ٦١/٨ وتاريخ الخلفاء ٢٩٩/١ .

الذين لها سدة ، وسموها الهولة والهولة ، وكان سادتها إذا أتى رجل هيبه الحلف بها بأن يطرح فيها الملح والكبريت ليستشيط وتنفض فيحول على الحالف لينكل إذا كان مذنباً ، وليجروا على الحلف إن كان بريئاً ، قال أوس بن حجر :

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف<sup>(١)</sup>  
وذكرها غيره من الشعراء كالأعشى<sup>(٢)</sup> وأفتون التغلبى<sup>(٣)</sup> ، ثم ذكرها الكيت في العصر الإسلامي في قوله<sup>(٤)</sup> :

كهولة ما أوقد المخلفون لدى الحالفين وما هوئنا  
ومن القسم بها قول الشاعر :

حلفت بالمح والرماد وبالسا ر أنسيم الحنفة  
حتى يظل الجواد منقراً ويغضب النبل غرة الدرة<sup>(٥)</sup>  
وقول الأعشى<sup>(٦)</sup> :

جلفت بالمح والرماد وبالشمري وباللات نعلم الحلقة .  
حتى يظل الهام منجداً - ويقرع النبل طرة الدرة .  
وأغاب الظن أن الشعر لشاعر واحد ، مع تذيير يسير في الرواية .  
وكانوا يتحالفون على النار ، وربما ذنوا منها حتى تكاد تحرقهم<sup>(٧)</sup> ، وكانوا يستمطرون بها ، بأن يقدوا في أذنان البقر السمك والأشتر - نوعان من النبات -

(١) ديوان أوس بن حجر ١٦ والبيان والتبيين ٧/٣ وأساس البلاغة مادة حول والميونات . ٤٧١/٤

(٢) الأغاني ٢٠ - ١٣٩

(٣) الفضليات ٢ - ٦٦

(٤) البيان والتبيين ٣ - ٨ وكأس البلاغة مادة حول .

(٥) البيان والتبيين ٣ - ٨ الحلقة : يسكون انلام وفتحها جاعة القوم ، والقسم هنا ممتناه لاسلم الحلقة . منفر : علق في التراب . النبل : السهام . الدرة : ضرب من الثروس من الجلد جمها درق . طرة : وجه .

(٦) الأغاني ٢٠ - ١٣٩ والبيان لها بديوان الأعشى .

(٧) الحيوان لأجاحظ ٤ - ١٥٠ ولجامع العرب لنعمير الكاتب . مخطوط .

ثم يصعدوا بها في جبل وعمر ، ويشعلوا فيها البيران ويضجوا بالدعاء والتضرع<sup>(١)</sup> .  
وفي شر أمية بن أبي الصلت تسجيل لهذا الاستمطار منه قوله :

سنة أزمة نخيل بالناس ترى للمضاء فيها صريرا  
إذ يسقون بالندى وكانوا قبل لا يكون شيئا فطيرا  
ويحرقون بأثر السهل الطود مهاربل خشية أن يبورا  
عاقدين النيران في شكر الأذاب هذا كما تهيج البحورا  
فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت إلى صير صيرا  
فراها الإله ترشم بالقطر وأمسى جنباهم محطورا  
سلخ ما ومثله فشر ما عائل ما وغالت البهورة<sup>(٢)</sup>

٤ — وبعض العرب عبدوا الشمس ، يسجدون لها إذا أشرقت ، وإذا توسعت السماء وإذا غربت ، ومن هؤلاء تميم وكثير من حمير<sup>(٣)</sup> قبل أن يهودا ، وقد ذكر القرآن الكريم أن ملكة سبا كانت تميد الشمس هي وقومها « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله<sup>(٤)</sup> » وفي الشعر ما يدل على ذلك فقد سماها عتبة بن الحارث اليربوعي آلهة :

تروحننا من اللهباء صرا وأعجبتنا الآلهة أن تئوبا<sup>(٥)</sup>

وكان النمل إذا سقطت سنة قذفها إلى الشمس قائلا : أبديني بها صنأ أحسن منها ، ولتجرفي ظلمي — مادها — إيانك — شعاعك — وزعموا أنه إن فعل ذلك ذلك أمن على أسفانه الموج . وإلى هذا يشير طرفة بقوله في وصف أسنان محبوبته :

(١) الحيوان ٤ — ١٥٠

(٢) ديوان أمية ٤٥ والحيوان ٤ — ١٥٠ تخيل الناس : تنزعهم المضاء . جمع عضاة . أعظم الشجر أو الخطأ وكل ذات شوكة . أقر . أقر . شكر الأذاب . حمم شكر وهو شعر الدمل . الصير . السحابة البيضاء أو السكبفة . عائل . قافح وكاب . غالت : أملككت .

(٣) العرب والامبراطورية العربية ٢٧ بروكلمان .

(٤) النمل ١٤

(٥) لسان العرب مادة أوب . إلباء . أم مكان . تروحننا . رجعتنا . أعجبتنا . سبلنا . تئوب : تنزوب .

صفته إِيَّاهُ الشمسُ الِاثْنَانِئَةُ أَيْفُ - لَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ - بِإِثْمِدٍ<sup>(١)</sup>

وقوله :

بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ بِرَدَا أَيْضُ مَصْقُولِ الْأَثَرِ<sup>(٢)</sup>

• - على أن العرب والفرس تشابهوا في غير تأثر ولا تأثير في بعض النظم المتصلة بالرأى ، فقد كان الفرس يبيعون الجمع بين الأختين<sup>(٣)</sup> لأن الزراد شعبة نبيعه<sup>(٤)</sup> وكان تعدد الزوجات مباحا ، أقره ثريمة زرادشت ، كما أباحت التسرى واتخاذ الخطايا والخليلات<sup>(٥)</sup> .

وكان الفرس ينشوقون إلى ولادة الذكور ، ويغالون في تقديرهم ، ويمدوهم ثروة اقتصادية لأبائهم ، وعدة حربية للوكم . أما البنات فمكافات ولادتهن تجلب القوّة والحمة ، لأن الفرس من تربيتهم إمدادهم لرجل آخر ينجي فائدتهن ، ومما قاله الفرس إن الرجال لا يهتمون إلى الله من أجل البنات ، وكذلك اللائسكة لا تعتبر البنات خيرا يجوز منهجه للبشر<sup>(٦)</sup> .

٦ - لكن العرب خالفوه في نظم أخرى ، منها أن الفرس كانوا يبيعون للرجل أن يتزوج بنته ، وأخته الشقيقة ، وغير الشقيقة<sup>(٧)</sup> ، وبيعون الأمهات لأن الزرادشتية يبيع ذلك<sup>(٨)</sup> .

وكان الحجاب شديدا على نساء الطبقة الراقية في فارس ، حتى كن لا يخرجن إلا في هودج مرفوعة عليها السدول ، وكان محظورا عليهن أن يخالطن الرجال في مجتمع

(١) ديوان طرفة ٣٥ آية الشمس : شعاعها . لم تكدم عليه : لم تمس بأسانها مطلقا يذهب تحزيرها ، كناية عن النعمة . أصف بأند : ذر على لثة أئمه وهو حجر السكل .

(٢) الديوان ٦٥ الأثر : تحزير الأستان .

(٣) صبح الأعشى ١٣ - ٢٩٥ .

(٤) قصة الحضارة الفارسية ٥٩ ول ديورانت وتاريخ الحضارة الإسلامية ٦٢ بارتولد .

(٥) ول ديورانت ٥٨ .

(٦) ول ديورانت ٦١ .

(٧) الأسرة والجنح ٤٧ على عبد الواحد وصبح الأعشى ١٣ - ٢٩٥ .

(٨) ول ديورانت ٥٩ وبارتولد ٦٢ .

عام أو خاص ، حتى لقد حيل بين التزوجات ورؤية آبائهن وإخوتهن ، أما الفقيرات فكان حرات في التنقل ، لأنهن مضطرات إلى العمل والسكد<sup>(١)</sup> .

أما الرب فقد حرّموا أنفسهم على أنواعاً من القربيات ، وجاء الإسلام فأقر هذا التحريم . وكانوا لا يتزوجون الأمهات والبنات والأخوات والنمات والمخالات<sup>(٢)</sup> ، وذعب ابن عباس إلى أنهم كانوا يتجافون عما حرّمه الله بعد إلا امرأة الأب ، والجمع بين الأخنتين<sup>(٣)</sup> . وتباعد أهل مكة في مناحمهم من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت فيرة ونفورا من المحبوسية ، ثم نزل القرآن الكريم بتوكيد سنيمهم وحسن اختيارهم<sup>(٤)</sup> .

ولم يكن الرب يمارسون ذلك التضييق في المحجاب ، أو ذلك التمتد في منزل النساء من المجتمع<sup>(٥)</sup> .

على أن فقه من الرب كانوا يخافون آباءهم على نساءهم ، بدليل قوله تعالى « ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف<sup>(٦)</sup> » . والآية الكريمة تمنى رجلا خلفوا آباءهم على أزواجهم<sup>(٧)</sup> . وقد سجل ذلك عمرو بن معد يكرب في قوله لزوجه التي خلف آباه عليها<sup>(٨)</sup> .

فأولاً إخواني وبنيّ منها ملأتُ لها بذي شُطْبٍ يعني  
لَمَصَلَكَةُ الأَجَامِ برأسِ طَرَفٍ أَحَبُّ إلى من أن نَنكِحَني  
ولما جاء الإسلام ففتح أربع زيجات من هذا كانت قائمة<sup>(٩)</sup> . والدليل على أن

(١) ول ديوانت ٦٠

(٢) المثال والنحل وبلوغ الأرب ٤٨ ص ٣١ والمحصن في أخبار النعمان ١١٢ ص ١ — ٩٩

(٣) تفسير الطبري ٤ — ٢١٧ — ٢١٩ وروح المعاني الألوحي ٤ — ٢٦١

(٤) معجم البلدان ٨ — ١٣٧

(٥) راجع المرأة في الشعر الجاهلي ونزل في النضر الجاهلي لفؤاد .

(٦) النساء ٢٢ .

(٧) تفسير الطبري ٤/٢١٧ .

(٨) لسان العرب مادة نكح .

(٩) الإصابة ٨/٥٤ والطرف ٣٧ ص ٥٠ والآفاق ١٧/١ و١٢٣/٣ واللؤلؤ والنحل ٣/٢٣٢

وأسدالبابة ٢ — ٢٣٨ والروض الأنتاب ١ — ١٤٦ والمجمر ٣٧٥ والكشاف ١ — ٩٩٧ والموسم

١ — ١٩٨ ومعجم البلدان ٨ — ١٣٧ .

الذين مارسوا ذلك كانوا قلة أن الإسلام لم يجد من هذا النوع غير هذه الزيجات ، وأن العرب كانوا يعقونه ، ويسمون المولود عليه المقتى ، ومن ثم قال الله تعالى « إنه كان فاحشةً ومَقًّا وصاءً حبيلاً » كأنه قال فاحشة في دين الله بالفح في القبح ، فيجح محقوت في الرواة<sup>(١)</sup> ، وكانوا يسمون من يحام أباه على أمرائه الضيَّزَن ، ويهمونه بأنه قارص يدين بالمجوسية ، قال أوس بن حجر في هجاء بعض العرب :

والفارسية فيكم غيرُ مُفَكَّرَةٍ فلكم لأبيه ضَجَزَنٌ سَلَفٌ<sup>(٢)</sup>

وقال المدلس يهجو عمرو بن هند ملك الحيرة ويلحق به نقيصة مدعاة هي أنه يشارل أمه ويلاعبها ، على عادة الفرس :

ملكٌ يَلَايِبُ أمه وقطينها رَخو الفاصل . . . كالبره<sup>(٣)</sup>

وقد بقيت ربيعة عن هذا النوع إلى عهد عمر ، لأن منظورة بن زيان كان قد زوج امرأة أبيه ، ولم تزل معه إلى خلافة عمر ، ففرق بينهما ، وقال منظور :

لعمرو أبي دينٍ يفرق بيننا وبينك فراراً إنه لعظيمُ  
وهجاء حُجْر بن معاوية بقوله :

أَيْشَسَ ما خلف الآباءَ بمدْمُ في الأمهاتِ عجانُ الكلابِ منظور  
قد كفت تفرها والشيخ حاضرها فالآن أنت بطول الفمز ممدور<sup>(٤)</sup>

وكان بعض العرب يجمعون بين الأخنتين ، ذكرهم أبو الحسن المدائني في كتابه ( كتاب فيهن جمع بين الأخنتين )<sup>(٥)</sup> . لكن أكثرهم أبغضوا هذا النوع كما أبغضوا سابقه ثم حرمه الإسلام<sup>(٦)</sup> ، على أن أنثرائه بقي إلى عهد عمر ، فقد فرق

(١) الكتاب ١ - ١٩٧ .

(٢) ديوان أوس ١٧ ولسان العرب ٢٧ - ١٢٢ والطائي الكبير لأن نذبة ١ - ٥٢١ .

(٣) ديوان للتلحس ٦ مخطوط .

(٤) الأغاني ١١ - ٥٣ .

(٥) معجم الألفاظ ١٤ - ١٣٣ والنهرست ١٠٣ .

(٦) اللال والتعل ٣ - ٢٣١ والهير ٢٢٧ ولسان النبون ١ - ٤٤ وروح المعاني

بين أخنتين عند رجل من جذام حلف أنه لا يعلم أن الإسلام حرم الجمع بين الأخنتين<sup>(١)</sup>.

وأما زواج البنات فلم يحدث بين العرب . وليس لدينا الإحادة واحدة تنسب إلى حاجب بن زرارة فقد قيل وأنه تزوج بنته دُخْتَنُوس ثم ندم<sup>(٢)</sup> . وقيل إن لقيط بن زرارة هو الذي تزوج بنته دُخْتَنُوس ، وهو الذي سماها بهذا الأسم الفارسي ، فلما قتل يوم شب جيلة وهي في عصمته قال :

يا ليت شعري هنك دُخْتَنُوس إذا أناها الخبر المروموس  
أتملقُ الرأس أم تَمِيسُ لا ، بل تَمِيسُ إنها مروس<sup>(٣)</sup>  
لكن هذا الإتهام في حاجة إلى نظر ، لأن كثيرا من النفاة يخالفون ما ذكره ابن قتيبة أنها بنت حاجب ، وبواقفون ابن الأنثري أنها بنت لقيط ، ويزعمون أنها كانت زوجا لابن عمها عمرو ، ثم تزوجها بعده معبد بن زرارة أو عميرة ابنه ، ولم يشيروا إلى زواج أبيها بها<sup>(٤)</sup>.

(١) لزوح الشام ليمر . ٢٢٧ .

(٢) الماروف لابن قتيبة ٢٠٥ والأهلاق الغيبة لابن رسة ٧ - ١١٧ والرهبة لأبي حاتم الرزاري

٦٠ مغلوط والمغرب الجواليقي ١٤٢ شرح شاذكر .

(٣) السكائل لابن الأنثري ١ - ٢١٣ .

(٤) الأغاني ١٠ - ٣٨ وناج المروس ٤ - ١٤٧ ومجمع الأمثال ٢ - ١٣ والفر

والفرعاء ٢٧١ .



## الفصل الثالث

### أثر الفرس في الحرب

كثيراً ما كان العرب والفرس يشنّون في حرب ، إذ يغير العرب على حدود الفرس ، فبرد الفرس غارتهم ، وقد يتمقبونهم إلى أطراف الصحراء أو إلى أمانها ، كما تبين في عوامل الانصال .

وقد عرف العرب الكتابب الفارسية . والأسلحة الفارسية ، قالهمان المروف بالأهود (٤٠٣ — ٤٣١م) كانت له كتيبتان إحداها مربية يقال لها دوسر ، والأخرى فارسية يقال لها الشهباء ، وكان نزو جها الشام ومن لم يدن له من العرب<sup>(١)</sup> .

ونجد في شعر الحارث بن حلزة ذكراً لكتيبة فارسية في قوله يمدد من اتصر قومه عليهم .

ثم حجراً أعتى ابن أم تطام وله فارسية خضراء<sup>(٢)</sup>

ونجدهم ينسبون إلى الفرس نوماً من الدروع ، جاء في فخرمرو بن امرئ القيس أنهم لا يرهبون الأسود ، ولا يخشون الأعداء لأنهم أبطال يمشون في دروعهم الفارسية في زهو واعتداد كأنهم غول من الإبل :

والله لا يزدهي كتيبتنا أسدُ عربين مَقِيلُها قَرْفُ  
إذا مشينا في الفارسي كما تمشي جمال مصاعب تطف

---

(١) الطبري ٢/٧٢ .

(٢) شرح المطفات الشعر ٢٨٣ . حجر : مخطوب على الضمير في بيت سابق كان حجر قد فزا امرأ القيس أبا المنذر بن ماء السماء في جمع من كندة كثير وكانت بكر بن وائل مع امرئ القيس تفرجت وردته وقتل جنوده .

فارسية خضراء : كتيبة خضراء من كثرة سلاحها ، والمراد بالحضرة السواد .

(٣) — التيارات المذهبية

نشى إلى الموت من حنائطنا مشياً ذريعاً وحكنا نصف<sup>(١)</sup>

وجاء في شعر دُرَيْد بن النُّعْمَة أنه نصح أخاه عارضاً وأصحابه ، وأنذرهم أن يأخذوا حذرهم من أعدائهم المهاجرين في دروع فارسية :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والنوم شهدي

فلت لهم ظنوا بألقى مُدَجِّج سرائهم في الفارسي المسرد<sup>(٢)</sup>

ولقد كانت هذه الحروب توحى إلى الشمرء والخطباء بالافتخار بالنصر وبمغزى الهم وبمث الزائم ، وبالتحذير من الذلة والاستهانة . وقد أسلفت طرفاً من هذا في عوامل الانصال .

وهذه لمحات أخرى تكشف عما كان للحرب من أثر في الأدب .

١ — في عهد كسرى غزت إياد سواد العراق ، واعتدت على ملوك آل نصر وعلى امرأة من شريفات المعجم ، فنزاهم كسرى ، لكن العرب انتصروا أول الأمر انتصاراً مبيناً ، حتى قالوا إن جاجم الفرس وأجسادهم كانت كالثقل العظيم . ولم يكن كسرى لهذه الهزيمة ، فبعث في آثارهم مالك بن حارثة ومعه أربعة آلاف من الأساورة ، فبقيتهم وافتتلوا قتالا شديداً حتى ظفر بهم وهزمهم ، واسترد منهم ما كانوا قد أصابوا من الأماجم يوم الفرات . وكان لتيط بن بمر الأبادي<sup>(٣)</sup> قد حذر قومه إياد بعد نصرهم بقصيدة طويلة منها :

يا قوم لا تأمنوا إن كنتم غيراً على نسائكم كسرى وما جمماً

هو الفناء الذي يجتث أسلكم فن رأى مثل ذا يوماً ومن سمّا

(١) «هزة أشعار العرب ٢٦٢ يزدهى . يستغف . غرف : المراد العبايات .

الفارسي : الذرع . مصاعب : غول . قطف : بطيئة المشى .

(٢) الأصمعيات ١١٢ ، وهزة أشعار العرب ٢٢٥ .

بنو السوداء : أصحاب أخيه . بداهة الذي يرثيه . ظنوا : أيقنوا . الفارسي المسرد : الذرع المثينة الفصح الضيقة الحان . ١

(٣) كان كاتباً ومترجماً عند كسرى . الأغاني ٣ — ١٠١ ، ومعجم ما استعجم ١ — ٥٧ .

وفد بذات لكم نُصْحِي بلا دخل فاستيقظوا إن خير الدلم ما نفعا<sup>(١)</sup>  
وحذرهم مرة أخرى بقوله :

سلام في الصحيفة من لقيط على مَنْ بالجزيرة من إباد  
فإن القيث آتيكم دَلِيماً فلا يَحْسِبُكُمْ سَوْقُ الدَّقَادِ  
أناكم منهم سَمْعُونُ أَلْفَا يُرْجُونُ السِّكَنَاءُ كالجراد<sup>(٢)</sup>

٢ - وتحارب العرب والفرس في يوم الصَّفَّةِ<sup>(٣)</sup> ، وسببه في إحدى الروايات  
أن باذان حامل كسرى إلى اليمن أرسل إلى كسرى عيراً تحمل نياياً ومسكا وعنبرا  
ومناطق محلاة ، وكان يخفها بنو الجُمَيْدِ المرادبون ، فلما كانت القافلة بيلاد بني  
حنظلة ابن ربوع من تميم أغار عليهم هؤلاء وغيرهم ، وقتلوا محائما ومن معهم من  
الفرس ، واقتسموها ، وهلم الفرس الذين بهجر ، فساروا إلى بني تميم ، وقتلوا قتالا  
شديدا أنهزم فيه الفرس ، فاشتد كسرى ، فانتقم من العرب بضرب أعناقهم قتيلا  
في الحصن السعي الشَّعْر .

وفي رواية أخرى أن العير كانت تحمل رماحاً أرسلها كسرى إلى اليمن ، وكان  
العرب يخفون متاجره بالتناوب ، كل في منطقته لقاء جبل ، ولكن هَوْدَةَ بن  
هل الحنفي تعمد بخفارة العير في المناطق كلها على أن يأخذ وحده الجمل ، فغضب  
بنو سعد من تميم ، وهاجموا العير واقتسموها ، وقتلوا الأساورة ، وأسروا هودّة  
حتى اقتدى نفسه . وفي هذا يقول شاعر بني سعد :

ومنا رئيس القوم ليلة أذْلَجُوا بهَوْدَةَ مقرون اليدن إلى النحر  
وردنا به نخل الليمامة حانياً عليه وثاق القد والعكق السمر

(١) الأغاني ٢٠/٢٣

(٢) المؤانبات والحجاب اللامدى ١٧٥ والأغاني ٣٠/٢٤ الغاد : صغار الغنم أو الغنم الصغيرة  
الأرجل النتيجة الشكل ، أى لا يهتمكم حرصكم على عبيدكم من ادواغ عن غنوسكم .

(٣) الطبرى ٢/١٣٤ ، والأغاني ١٦/٧٥ ، والمقدّم ٢/١٥٤

ويقول الجذاب التميمي :

وهن مَصَيَّنَ هُوذةً يوم حَجَرِيه فظل ينازع المَسَدَ المُنَارَا<sup>(١)</sup>

ثم سار هُوذة إلى كسرى ، فأرسل معه جيشاً ، ونزلوا المشرق من أرض البحرين  
وبعث إلى العرب ليمتاروا معاً معه ، وكانوا بنو سعد أكثر من جاء إليه ، فاحتال  
لثأر منهم بأن يدخلوا من باب المشرق رجلاً رجلاً ، وكلما دخل رجل ضربت عنقه .  
ثم كشف العرب الخديعة وثاروا ، فاضطر هُوذة والأساورة إلى الهرب ، فتهمم بنو  
سعد والرباب يقتلون من يلحقون به . وقد افتخر كاشف الحيلة بقوله .

الأهل أتى قومي على أنثاى أنى حيت ذمارى يوم باب الشَّقَرِ  
ضربت رجاج الباب بالسيف ضربة تفرج منها كل باب مُضَبَّر<sup>(٢)</sup>

وقد مدح الأعشى هُوذة بن على الحق بقصيدة طويلة ، أشار فيها إلى مسكرمة  
له يوم المشرق ، لأنه لما رأى ثورة القوم وأنهم قد أئذروا به ، كلم قائد الفرس في أن  
يمفو عن مائة من خيار بني تميم ، فوهمهم له يوم الفصح ، فاعتقهم :

سائل تميمًا به أيام سَفَفْتِهِمْ لسا رآهم أسارى كلهم ضَرَمَا  
فقال للملك أطلق منهم مائة رسلًا من القولِ غفوضًا وما رَمَا  
ففك عن مائة منهم ووثاقَهُمْ فاصبحوا كاهم من غلة خُلَمَا  
بهم تقرب يوم الفصح ضاحية رجو الإله بما أسدى وما صنما<sup>(٣)</sup>

٣ - أما أَسْبَرُ الوقائع بين الرب وانقرس ، وأكثرها شهرة وتأثيراً في  
الأدب فهي موقعة ذي قار<sup>(٤)</sup> .

(١) معجم شعراء الفرزباني ٤٧١ .

حجر : موضع اللوامة . المسد الفار . الجبال للتيته من ليف .

(٢) الطبري ١٣٤٢

مضرب : متين سبيك .

(٣) ديوان الأعشى ١٠١ والطبري ٢ - ١٣٤ . ضرع : ذليل . رصلا . لينا .

ضاحية . ضحا .

(٤) الطبري ١٥٢/٢ ، ومروج الذهب ١٣٤/١ والنتبه والأشراف ٢٠٨ ، والأغانى

٢٩/٢ و ١٣٢/٢٠ - ١٤٠ ، وديوان الأعشى ٢٥٩ .

ذلك أن كسرى غضب على النعمان ، وحبسه بساباط أو بخاقين حتى مات  
وقيل إنه ألقاه تحت الفيلة فداسته انتقاماً منه لقتل عدى بن زيد وقد سجل سلامة  
ما فعله ابن جنبل كسرى بالنعمان في قوله :

هو المدخلُ النعمانَ بيتاً سماؤه      صدورُ الفيول يديت مُسَرَّدَقِ  
وبعد مصاب الزن كان بسوسه      ومالٍ ممدٌ بمد مالٍ مُعَرَّقِ<sup>(١)</sup>

حق كثير من العرب ، وكان من مظاهر حنقهم أن جعلت بكر بن وائل تنفير  
على السواد ، فوجد قيس بن مسعود بن قيس بن خالد على كسرى ، وسأله أن يجعل  
له أجراً على أن يضمن له ألا تنفير بكر على سواد العراق ، فأعطاه الأبلّة وما والاها ،  
لكن البكرين أغاروا ، فغضب كسرى على بكر ، وسخط على قيس بن مسعود  
وحبسه ، وهباً جيشاً لقتال العرب ، فأندر قيس قومه بقصيدة منها :

إلا ليتني أروى سلاحي وبناي      أن يُخْبِرُ الأنبا بكر بن وائل<sup>(٢)</sup>

واستدعى كسرى إياس بن قبيصة الطائي - عامله على عين التمر وما والاها إلى  
الحيرة - فأتاه بصنائمه من الحرب الذين كانوا بالحيرة ، وجيش من العرب ثلاثة  
آلاف ، ومن الفرس الفين ، وجعل على الفرس قائدين هما الهامرز وخنابر بن ، وبث  
مع الجيش عمراً فيها متاجر إلى اليمن ، وقال : إذا فرغتم من مدوكم فسيروا بالعير  
إلى اليمن .

بلغ الخبر هانيء بن قبيصة الشيباني وقبيلة بكر ، فأنهوا إلى ذي قار . ولما التقى  
الزحفان خطب هانيء فقال : يا قوم مهلكٌ مقدورٌ خيرٌ من نجاتٍ مَرْدُورٍ وإن الحذر  
لا يدفع القدرة ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، النية ولا الدنية ، واستقبال الموت

(١) مسروق : مشدود أعلاه وأسفاه . مصاب الزن : إشارة إلى الأرض التي كان النعمان  
يحسبها والمطر يصيبها . مدد ، المراد القبايل الدالية التي كانت خاضعة له من نسل مد بن عدنان .  
معرق يضاق على عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بني نعيم ، وعلى الحارث بن عمرو ملك الشام  
لأنه أول من حرق العرب ودارهم ، فهم يدعون آل معرق ، وعلى امرئ القيس بن عمرو .  
(٢) هذه رواية الأعمش ، ورواية مجمع الصحراء ٢٢٥ ( لأن نعلم الأنبا ، والمعلم وائل )  
وهي بهذا لا إلقاء فيها .

خير من استبد بآره ، والظمن في الثئر أكرم من الظمن في الدبر ، يا قوم جدوا  
فما من الموت بد وتبارى العرب في الإقدام وفي التحميس على الاستبسال ، وروى  
من نحبهم شعر كقول عمرو بن جيلة اليشكري :

يا قوم لا تفرزكم هدى الخرق ولا وميض البيض في الشمس فترق  
من لم يقاتل منكم هذا العنق فجنبوه الراح واسقوه المرق<sup>(١)</sup>  
وقول حنظلة بن ثعلبة المجلى :

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا أجدر يوم أن تدلوا الفرسا  
وقول أزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن ثعلبة بن سيار :

من فر منكم فر من حربته وجاره وفر من نديمه  
أنا ابن سيار على شكيمة إن الشراك قد من أدبته  
وكاهم يجرى على قديمه من قارح الهجنة أو صميمه  
وكانت النعوة يحرش الرجال على الاستبسال ، ويأمن بطولهم بأناسه  
خاصية كقولهم :

إن تهزموا نمانق ونفرش النمارق  
أو تهزبوا نفارق فراق غير وابق

واسمات المرى ففعلوا أحزمة رواحل نساءهم ، حتى يقتسموا أنفهم على  
الثبات ، دقا من الحرار اللان لا يستطعن الفرار على رواحل تقطعت أحزمة  
رحالها .

ثم انجحت المركة من هزيمة الفرس ، واقتفى البكريون آثارها إلى السواد ،  
وغنموا وقسموا نساءهم ما في اليد من بز وطر والطف .

ولقد أشاد الشعراء بقبائل بكر وشوiban وهجلى بخاسة ، كقول الداهان  
ابن جندل :

(١) النقي . الجمع من الناس .

إن كنت ساقيةً يوماً على كرمٍ فاحق فوارس من ذهل بن شيباننا  
واسق فوارس حاموا عن ديارهم وقبلى مفارقةهم مسكا وريحانة  
وكقول الأعمشى :

فدى لى ذهل بن شيبان ناقى وراكبها يوم اللقاء وقلت  
م ضربوا بالخنوجِ حنوجِ قرأفرى مقدمة الهامرز حتى توك  
تأمت بنو الاحرار إذ صبرت لهم فوارس من شيبان غلبُ فقلت  
وأذلنهم قيس فقلت امه بيلُ لئن كان به النمل زك<sup>(١)</sup>

كانت هذه الواقعة لتمام أربعين سنة من مولد النبي صلى الله عليه وآله ، وقيل  
كانت بعد الهجرة ، وقيل كانت بعد غزوة بدر بأشهر .

ولما علم الرسول بالنصارى العرب قال : هذا يوم انقضت فيه العرب من المعجم  
وبى نصرها .

وقد لاحظ الاستاذ أحمد أمين أن العرب لما انتصروا على الفرس في موقعة  
ذى قار لم يتفنوا بنصرة الروبة عامة ، وإنما تفنوا بنصرة القبائل التي اشتركت في  
الحرب ، وهم الشيبانيون والمجلىون واليشكريون ، فلم تجعل في النناء روح عربية  
عامة ، لأن العرب لم يكونوا يدكون أنهم أمة ، وإنما كانوا يعتمدون على الحياة  
القبلية<sup>(٢)</sup> .

والحق أن الحياة القبلية كانت طاقية على شعور العرب بأنهم أمة ، لكن هذا  
لم يكن السبب الوحيد في أنهم لم يتفنوا بانتصارهم على الفرس غناء يدل على الشعور

(١) راكمها : يريد نفسه . يوم اللقاء : يوم لقاء الفرس حنوجاقر : حنوجى قار : من  
المواضع التي كانت بها المعركة قرب الكوفة . الهامرز : أحد قواد الفرس في ذلك اليوم  
وكانت شيبان على مينة بكر بازاء كتيبة الهامرز . بنو الاحرار : الفرس . تأمت : كفت غلب :  
جمع أغلب وهو المليفق ، ويوصف به الأسد . قيس : هو قيس بن مسعود . بيل : يذهب  
ويهلك . لئن كانت به النمل زلت : لئن كان أخطأ بمسيرة مع جيوش كبرى . والظاهر أن كبرى  
شك لى أمه فطلبه ، فحرب منه .

(٢) ضحى الاسلام ١/١٨ .

بالقومية ، ذلك أن بعض القهائل العربية كانوا يحاربون إخوتهم العرب نصرة  
لفرس ، وكان عددهم نحو ثلاثة آلاف كما يقول المؤرخون ، يترجمهم إياس بن قبيصة  
الطائي وصنائع الفرس الذين كانوا بالحيرة وما حولها ، فكيف يفتنى الشمره بروح  
عربية عامة ؟

لو أن العرب كلهم كانوا يحاربون الفرس لمكان الفخر القبلي دليلا على فقدان  
الشعور بأن العرب أمة ، ولو أن الشمره أشادوا بالعرب كلهم في موقعة ذي قار  
لكانوا كاذبين على الواقع ، لأنهم يعلمون أن الجيش الذي حاربهم ثلاثة أخماسه من  
العرب وخمسه من والفرس .



## الفصل الرابع

### أثر الفرس في الخيال الشعري

أثر اتصال العرب بالفرس في خيال الشعراء ، فجاءوا بصورة شتى من ملاحظتهم بالفرس .

فلقرش الأكر يشبه البقرة الوحشية التي ترمى في الأطلال مقهولة معامشة غفولة  
رجال من الفرس يشون مختالين في قلائصهم :

أمت خيلاء بمد سكاها مقفرة ما أن بها من أرم  
إلا من العين رعى بها كالفارسين مشوا في الكمم<sup>(١)</sup>  
والخساء نجه أخاها صخراً بالرمح ، ثم تشبه اختيائه في مشيته بخيلاء فهد من  
قواد الفرس .

مثل الرديني لم تفقد شببته كأنه تحت طي البرد أشوار<sup>(٢)</sup>  
وقد ذكر شارح الديوان أنها شبهت أخاها بسوار من الذهب أو الفضة في حسنه  
وضموره — وليكني أرى أن التشبيه بفائد الفرس أولى . والمجمل السمدى يشبه  
وجه حبيبته بالصحيفة ملامسة ولينا ، ويقول إنه ليس ضامرا ولا مكثرا ، وهو  
كالهرة النادرة التي أضاء بها المعجم صدر مجلس عزيزهم ، وقد اشتراها العزيز بثمان  
عال ، لأنها نادرة جهد الفواص في العثور عليها ، إذ جاء بها من أعماق البحر الهامج  
الماوج الواسع غواص دقيق العظام ، كأنه سهم في سرعته ونحوه ، وقد دهن جسمه  
بالزيت ليقيه ملوحة البحر .

وربك وجها كالصحيفة لا ظمأن محتاج ولا جهم  
كمقبة الدار احتضاه بها محراب عرش عزيزها المعجم  
أقل بها غما وجاء بها شغت العظام كأنه سهم

(١) المضطبات ٩/٢ ، أرم : أحد . الكمم . الغلالس .

(٢) ديوان الخنساء ٨٢ .

بليانه زيتُ وأخرجها من ذى غواربٍ رَسَطَه الخَمُّ<sup>(١)</sup>  
 والمثقبُ البَدَى يصف فاقته بمد إجهادها بأنها ضخمة المبكل تشبه دكة البواب  
 فأبق باطلى والمجد منها كدُكَّان الدَّرابنة المطين<sup>(٢)</sup>  
 رعنقة بن هبَّدة شبه نافته الصاية الضامرة بنمد السيف الفارس الحكم :  
 وقد انقطع الحرقُ العُوفَ به الردى رِبَض كجعفن الفارسى المَسْرَدُ<sup>(٣)</sup>  
 وخُفَّاف بن ندبة يصف الرقبة التى راقب بها أعداءه بالارتفاع الشاقى ويقول  
 إن جوارح الطير نبت فى أعاليها فتهدو كناصره فى بيت فارس على مرتفع :  
 ومراقبة طيرتُ عنها سماءها نمامها منها بضاح مُزَّاق  
 يبتُ عتاقُ الطير فى رقبتها كطُرة بيت الفارسى المُمَّاق<sup>(٤)</sup>  
 ربات . .

وقد شبه الحارس بن حليزة آثار الدبار بالمراق ، وهى الورق الفارسى الذى  
 كانوا يكتبون فيه :

لن الدبار عَفَوْنٌ بالحيس آياتها كهارق القرسي<sup>(٥)</sup>  
 وكذلك شبهها الهُتَمُ بن حُرَيْثُ الحنق :

لن طلل بروضات السُخَالِ تَابَدَ كالماربق البوالى<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) المفضليات ١١٣ مخطوع : هزبل . حم . كثير الخم . أغلى بها ثمناً أشترها بتمن  
 نل : تخت : دقيق . لبانه : صدره . غوارب . أمواج . الخم . السمك الكبير .  
 (٢) العرب لأمو البق ١٤٠ . ولسان العرب ١٨ — ١١ . والمفضليات ٢ — ٩٢ .  
 باطلى . وكوفي فى طلبه لقهو وانزل . جدعا . اجتماعها فى السير . الفكان . الحركة المنيبة  
 للجائوس عليها . المرابنة . جمع دربانة وهو الواب مثله اقل . والفكان والدربان كلمتان  
 فارسيان مبرتان . مطين — على بالطين .  
 (٣) شعراء الصرانية ٥٠٦ . الحرق . الحرقاء وهى الأرض الواسعة تنشق فيها الرياح .  
 عنس ناقة صلبة . الجمن . غمد السيف . الفارس . المرد السيف . السرور : المحكم ضم الطرفين .  
 (٤) الأصبهيات ١٣ . الرقبة . موضع الرابطة . الباعة . كل بناء على الجبل كالخلة .  
 الضاحى البارز لدمس . المزلق . الأملس لا تلبث عليه قدم . عتاق الطير . جوارحها . رقباتها .  
 أعاليها . الطرة . الناصبة . ربات . صرت ويثقة وطايمة وعينا .  
 (٥) المفضليات ١ — ١٣٠ الجيس . موضع . عفون . درس وبلن . آياتها . أعلامها .  
 (٦) معجم البلدان ٤ — ٣١٧ السُخَال . موضع .

وشبه أوس بن حجر ممدوحه فضله بالرزبان - حاكم اقليم من فارس -  
في قوله :

ليث عليه من البردي هبرية<sup>(١)</sup> كالرزيان<sup>(٢)</sup> قبائل بأوصال<sup>(٣)</sup>

---

(١) البردي - نبات ذو هبرية وزغب - هيان - منبخر الأوسا - أعضاء الجسم -

## الفصل الحادي عشر

### أثر الفرس في مفردات اللغة

كان من الطبيعي بعد هذا الاتصال أن يستعمل العرب كلمات فارسية ، ورد بعضها في الشعر . ولعل أكثرهم راء بهذه الكلمات واستخدما لها في شعره الأعشى ، لأنه كما قال عن نفسه :

وقد طفتُ للذال آفاته      هاتِ خمص فأوريشلم  
أنتِ النجاشي في أرضه      وأرض التبيط وأرض المعجم<sup>(١)</sup>  
وقال أيضاً :

قد سرت ما بين بانياء إلى عدن      وطال في المعجم زحالي ونسياري<sup>(٢)</sup>  
لهذا نجد في شعره كلمات فارسية ، وغير فارسية ، منها هذه الأسماء الفارسية نلازهار وغيرها ، ذكرها في وصفه لجلس من مجالس الشراب والآهوه :

ببابل لم تُنصر خِزات سُلالة      تحالط قنديدأ ومسكا مُختما  
يطوف بها ساق علينا مُتوّم      خفيف ذَيفُ ما يزال مُقدّما  
بكأسٍ وإبريقٍ كأن شرابه      إذا صبّ في المِصْحاقِ خالطَ بقما  
لنا جِلْسانٌ عندها وينفُجُ      وصيحتُبرُ والمرزجوش مُنمّما  
وأسٍ وخيرى ومرزُ وسوسن      إذا كان هِزَمَنٌ ورحتُ مُحشما  
وشاهنفرمُ والياشينُ وزرجسُ      يُصبّحنا في كل دَجَنٍ قنما  
ومُسْتَقُ سينينِ ورنّ وربطُ      يحاوبه صنح إذا ما ترغنا<sup>(٣)</sup>

(١) الديوان ٤١

(٢) الديوان ١٢٩ ، ومعجم البلدان ٢ — ١

(٣) الديوان ٢٩٣ . بابل : مدينة قديمة كانت تبعد عن بغداد نحو مائة كيلو ينسب العرب ملها البحر والبحر . السلافة : ما سال قبل الصر وهي أجود الخمر . القند يفتح القاف والقنديد =

ومنها كلمة مسمار الفارسية ، وردت في شعر الأعشى بألفظها الفارسي في قوله :  
وأصبحت لا أستطيع الكلام سوى أن أراجع مسمارها<sup>(١)</sup>  
وأصل الكلمة من المنسكوبية انتقلت إلى العرب من طريق الفرس . وقد نقل  
حديث من قيس بن أبي غرزة الصحابي الفخاري قال فيه : كنا نسمى السامرة  
فسماها النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن منه ، فقال يا مدثر الفجار<sup>(٢)</sup> .  
على أن الكلمة حُرِّبَت بكلمة سفسير<sup>(٣)</sup> . قال النابغة :  
وَفَارَقْتُ وَهِيَ لَمْ تَجْرَبْ وَبَاعَ لَهَا مِنْ الْفَصَائِصِ بِالنُّعَى سِفْسِيرُ<sup>(٤)</sup>  
وذكر ابن سلام أن الناس أصبحوا فرأوا على باب دار الندوة :  
أُمِّي قَرِيْشًا عَنِ الْمَجْدِ الْأَسَاطِيرِ وَرِشْوَةً مِثْلَ مَا تُرِشَى السِّفَاسِيرُ  
فأنكروا ذلك ، وقالوا ما كتبها إلا ابن الزبيري<sup>(٥)</sup> .  
ومن هذه الكلمات الفارسية البستان ، فارسي معرب ، قال الأعشى في المدح :  
يَهْبُ الْعِلَّةُ الْجَرَايِرُ كَالْبِسْتَانِ كَتْمَحُو لَدَرْدَقِ أَطْفَالِ<sup>(٦)</sup>  
ومن هذه الكلمات الفارسية القرنفل والزنجبيل في قول قيس بن الخطيم :

== بكسر هاء على نصب السكر فارسي معرب . عتم مسعود بالطين ونحوه . متوم : مفرط بلؤلؤنين .  
ذليف : مسرع . مقدم : يقدم الكئوس . المصطاة : قدح من فضة يضرب به . اليم : شجر كبير  
ورقه كورق النوز وساقه أحمر يصطبغ بطيخه . المرزحوش والسان والينصع والسينير والاس  
والخبري والياسين والدوسن ولورو والتاهفرم كلها أنواع من الورد والزاجين فارسية معربة .  
منتم : مزخرف . المنز : من عيد من أعياد النصارى . مختم : سكران شديد السكر . دجن  
غم ومطر . المستقة واللون واليربط : أنواع من آلات الطرب ، كلها فارسية معربة . الصنج .  
دوائر من النحاس تثبت في أطراف الأصابع ويضرب بها على نغمات الموسيقى معرب .  
(١) ديوان الأعشى ٣٩٩ .

(٢) العرب قجوالق ٢٠١ والإصابة ٥ — ٢٦٢ وسند أحمد ٤ — ٦ — ٢٨٠ .

(٣) اللسان والقاموس .

(٤) المغرب ١٨٥ فارقت . فارتب أن تجرب . باع لها . انتهى لها يعني المسمار .  
النصافص جمع فصفص بكسر الفاء وهو أثنت الرماح . النسي . فلوس كانت بالجمرة للتعامل .

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام ١٩٦ السفسير . جمع سفسير .

(٦) المغرب ٥٢ واللسان ٥ — ٢٠٢ و ٣٨٥/١١ . الجنة . الضخام . الجراير . جمع  
جرجور وهو البعر الكبير الصلب . كالبيستان : المراد كالنخل . ألفردق : الصغار من كل شيء .

كأن القنزل والنجيل وذاك العبير يجلبها<sup>(١)</sup>  
 والزئبق في قول أمى القيس :  
 وفوق الحوايا غزلة وجاذر تَضْمَنُ من محك ذكى وزئبق<sup>(٢)</sup>  
 والأقحوان في قول طرفة :  
 بادن نجلو إذا ما انتمت عن شئت كفاحي الرمل غر<sup>(٣)</sup>  
 والأباريق في قول عبيد بن الأبرص :  
 إذا ذقتَ فاهاقاتِ طم مُدَامَة مُشْمَشَة تُرْخَى الإزار قدحُ  
 بماءِ صاحب في أباريق فضة لها ثمن في البائعين ربيع<sup>(٤)</sup>  
 وفي قول عدى بن زيد :  
 فدهوا بالصبر يوما غلات فينة في يمينها إربق<sup>(٥)</sup>  
 وكذلك كلمة ، دخرار (نوب أبيض بالفارسية معرب تحت دار) جاءت في  
 قول عدى بن زيد :  
 أدقتُ المسكفر بات فيه بوارق يرتقين رهوس شيب  
 تلوح المشرفية في ذراء ويجلو صفح دُخْدَاو قشيب<sup>(٦)</sup>  
 والاستبرق غليظ الديباج فارسي معرب أو ضرب من الحرير أسله احتفروه أو  
 أستره ، قال مالك بن نويرة :

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم ٢٣ ولسان العرب ١٨/٣١٤ .  
 (٢) الديوان ١١٧ غزلة . جماعة من الرلان . حاذر وهو ولد البقرة الوحشية  
 (٣) ديوان طرفة ٥١ .  
 (٤) ديوان عبيد القصيدة ٢١ . مشمشة : ممزوجة بحرًا . ترخي الأزار : تعد لأسابيل الهوى .  
 قدح . ما يثق في أسفل الدن ، أى أنها خرة مركزة أو قدح . بمعنى مصبوبة في القدح .  
 (٥) الأغاني ٥/١٥٨ .  
 (٦) المغرب للجواليقي ١٤١ ، والأغاني ٢/٢٣ وفي ٣٨/٢ ( ويجلو صفحة الذيل القشيب ) .  
 المسكفر . السحاب المتراكب . الشيب . السحاب التي فيها سواد ويباض شهبًا بالرهوس الشيب  
 وقبل بل غيب جبل معروف . شبه البرق في السحب يلمعان السوف .

ولا تيابُ من الديساج تلبسها هم الجياد وما في النفس من ديب<sup>(١)</sup>  
وقد اشتقوا من كلمة ديباج فقالوا : دَبَّجَ المطرُ الأرضَ ودَبَّجَهَا إذا زينها بالرياض ،  
وأصبحت الأرضُ مَدْبُجَةً ، وطليحان مدبَّجٌ ، وهو الذي زين أطرافه بالديباج ،  
وفلان يصون ديباجته أى خديه ، ولقصة ديباجة حسنة إذا كانت مُعَبَّرَةً<sup>(٢)</sup> .

البلاس : السُح ، وهو الكساء من الشعر ، قال الراجز لامرأته :

إِنَّ لَا يَكُنْ شَيْخُكَ ذَا فِرَاسٍ      فهو عَظِيمُ الكَيْسِ والبَلاسِ  
فِي الْوَرَبَاتِ مُطْمَئِنٌّ وَكَاسٍ<sup>(٣)</sup>

والإسوار بكسر الهمزة وضمها هو الرامي ، وقيل الفارس ، ويجمع على أساور  
وأساور . قل اقْلَاح :

وورثَ الأساورُ القِيَاسَ      صُفْدِيَّةً تَنْفِزُ الْإِنْفَاسَ<sup>(٤)</sup>  
وقد سبق في الخيال الشعرى تشبيه الخنساء سخرًا بالأسوار .  
والأستار : الأربعة ، أصلها بالفارسية جهاز فربوه فقالوا أستار .  
قال الأدهنى :

تُوفِّ لِيَوْمٍ وَفِي لَيْلَةٍ      ثَمَانِينَ نَحِيبُ إِسْتَارَهَا<sup>(٥)</sup>  
والفاج فارسية كانت في البهلوية تاز قل همرون كاثوم :

وسبد معشر قد توجوه      بتساج الملك يحمى الخُجَرَيْنَا  
تركنا الخيل حاكفة عليه      مقلدة أعتقها صُفُورَا<sup>(٦)</sup>

(١) المغرب ١٤٠ . الذهب . العجب .

(٢) أساس البلاغة مادة ديج .

(٣) المغرب ٤٦ وذكر ابن حديد في المحمرة ٢٨٨/١ أن المغرب تكلمت به فديما ، الثريات  
مع لزجة يسكون أنزاي وهي الشدة .

(٤) لسان مادة فوس والتمرب ٢١ . القياس . جم فوس . التحد : بلد أوجيل من المعجم .

(٥) للمرب ٤٢ ولان المغرب ٨/٦ تون . بنى الفارووة الكبيرة إذا شربوا بالصغير ثمانين  
يكون بالكبير أربعة . كل معشر واحد .

(٦) شرح المفاتيح قزوين ١٣٢ .

والبوصى ضرب من السفن ، بالفارسية بوزى ، وقد تسكّموا به قديما ، قال  
طرفة في وصف هنتى فاقتة :

وأتلع نهاض إذا صعدت به كسكان بوسى بدجلة مصيد<sup>(١)</sup>  
وقال الأعشى :

ما يجعل الجُدُ الظنُونُ الذى جُتِبَ صَوْبَ اللّجِبِ الماطر  
مثل الفرائى إذا ما طبا يَظْفِرُ بالبُوسى والماسر<sup>(٢)</sup>

والأرنّنج واليدندج أصله بالفارسية رَنْدَة وهو جلد أسود ، قال الأعشى :

عليه ديابوزُ تسربل تحته أرنّنج إسكافٍ يخالط عِظْلِمًا<sup>(٣)</sup>

والبربط من آلات الطرب ، أو هو المود ، معرب بَرِيطُ أى صدر الأوز  
أو البط لأنه يشبهه ، قال الأعشى :

والنّاي تَرَمَ وَرِيطُ ذى بُحْفٍ والصنّجُ يبكى شَجْوَهُ أن يوصما<sup>(٤)</sup>  
والصنّك : طرف مقدم الحافر .

جاء في حديث ابن هريرة : « نخرجكم الروم منها كفراً كفراً إلى سنبك من  
الأرض »<sup>(٥)</sup> .

وقال العباس بن مرداس :

(١) المرب ٥٤ واللسان ٨ — ٣٧٤ وشرح القصائد المعتبر ٧١ . أبلغ . صفة لعنتى نائلة أى  
أنه طويل . نهاض . ينهض في البحر . السكان . الذى يقوم به السفينة . مصد : سابع و مقابلة  
التيار فهو يحالط الموج .

(٢) المرب ٥٥ . الجُد : البئر الجديدة الموضع من السكّال . الظنون : القليلة الماء ناي لا يوتن  
بماؤها . اللجب : الكثير الصوت أو طها ارتفاع الماهر . الماسر .

(٣) المرب ١٦ ولسان المرب ٣ — ١٠٨ و ٥ — ٢٤ .

الديابوز . نوب ينسج على نيرين . العظم . نوع من الشجر يخضب به .

(٤) المرب ٧٧ والقاموس المحيط مادة بربط . الناي ترم والصنّج من آلات الملاهي .

(٥) المرب ١٧٧ .

السكن . الأرض البعيدة عن الناس والمراد القرية . سنبك من الأرض . شبه الأرض التى  
يخرجون إليها بسنّك الغابة في القلط



شهدن مع النبي مَسَوَات حُنَيْنَا وهي دامية الحوامي  
 ووصة خالدٍ شهدت وحكَّتْ سنايكما على البلاد الحرام<sup>(١)</sup>  
 والدُرْبَاة : الحمر ، وهي أيضا التُّرْبَاة ، قال حسان بن ثابت :  
 من خر ييمانَ تحميرُتها دِرْبَاة توشك فقرَ العِظام<sup>(٢)</sup>  
 والطَّرْز والطَّرَاز النموذج ، قال حسان في مدح بني غسان :  
 بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شُمُّ الأنوف من الطَّرَاز الأول<sup>(٣)</sup>  
 وتقول العرب : طَرَزُ فلان طَرَزٌ حسن ، أي زيه وهينته .  
 وقابوس اسم فارسي ، وكان النعمان بن المنذر قد سمى ابناً من أبنائه قابوس ،  
 فكان يكتب أبا قابوس ، قال النابغة :  
 نُبِئتُ أن أبا قابوس أوعدي ولا قرار هل زار من الأسد<sup>(٤)</sup>  
 وقال أيضاً :  
 فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والبلاد الحرام<sup>(٥)</sup>  
 ودختنوس كلمة فارسية معناها الجليّة اللطيفة أو بنت الحفاة .  
 وقد سمى لقيط بن زرارَةَ النيمى بنته دختنوس وهي التي عنها بقوله كافي :  
 ياليت شعري هنك دُخْتَنُوسُ إذا أتتها الخمر الرموس  
 أنحلق الرأس أم تَمِيسُ لا بل تَمِيسُ إنها عروس<sup>(٦)</sup>

(١) المغرب ١٧٨

— موات : مطبات - وقصة خالد : المراد دخوله مكة يوم الفتح على الحيل أي أن الحيل وماتت أرض مكة .

(٢) المغرب ١٤٢

(٣) المغرب ٢٢٣

(٤) ديوان النابغة ٣٦ وشعره الناصرية ٦٥٨ والمغرب ٢٥٩

(٥) المغرب ٢٥٩ وشرح الحاشية ٤ / ١٨٥

السكك - بالنارسية كابوس وكاوس وكى كاوس ، ومعناها كلها الحبيب الشريف العادل

(٦) الكامل لابن الأثير ٢١٣/١

ومعرف العرب الورق الفارسي الذي كانت تكتب فيه اليهود ، وهو الماهرق  
بالفارسية . .

قال الحارث بن حنزة بذكر قبيلة بكر بما كان بينها وبين قبيلته تنلب من معاهدة  
وكفالة<sup>(١)</sup> .

واذكروا حنفة ذي الجازوما قدّم فيه اليهود والكفلاء  
حدّر الجور والتعدى وإن بنقض ما في الماهرق الأهواء<sup>(٢)</sup>  
وبعد :

فتلك طائفة من الكلمات الفارسية الكثيرة التي مر بها العرب في العصر الجاهلي ،  
ثم ورد بعضها في القرآن الكريم<sup>(٣)</sup> .  
ولا شك أن ورود بعضها في القرآن الكريم أعظم دليل على أن العرب عرفوها  
وعربوها وألفوها قبل نزول القرآن ، فصارت من صميم لغتهم .

---

(١) جمع عمرو بن هند قبيلة بكر وسلب وأصلح بينهم وأخذ من لم يمين رها من كل حي  
مائة غلام فكذب بعضهم عن بعض ( شرح القصائد المعسر ٢٥١ )  
(٢) شرح القصائد المعسر ٢٦٩ والبيان والذبيح ٦/٣ . الماهرق : جمع مهرق فارسي معرب [  
(٣) الإتيان السبوطي ١٣٥/١ - ١٤١ .

## الفصل السادس

### أثر الفرس في الغناء والموسيقى والحز والترف

١ - يتروّد ذكر الفتيان كثيرا في الشعر الجاهلي ، وفيما بعده ، ولا نجد ذكرا في الشعر الجاهلي لرجل يتنقى .

وأغلب الظن أن مرجع هذا إلى أن النساء ألبق باحتراف الغناء من الرجال ، لأنهن في الغالب أمدى صوتا ، وأحلى ترجيما ، وأرق نغما ، ولأن أنوثتهن وجمالهن ورقتهن تضاعف الطرب لمن ، لهذا رأى الجاهظ أن ( الغناء للطرب في الشعر النزلي من حقوق النساء ، وإنما ينبغي أن تنفى بأشعار النزل والتشبيب والمشق والصبابة النساء اللواتي فهبن نطق تلك الأشعار ، وبهبن شبب الرجال ، ومن أجلهن تكلفوا القول في التشبيب . وكما بين أن نسمع الغناء من فم تشهى أن تقبله ، وبين فم تشهى أن نصرف وجهك عنه ، على أن الرجال دخلاء على النساء في الغناء ، كما رأينا رجلا يزوحون فصاروا دخلاء على النوائح . وبعد فأيا أحسن وأملح وأشهى : أن يفنيك خل مختلف المصيبة كفيف المراضين ، أو شريح منخلع الأسنان منضن الوجه ؟ ، أم تفنيك جارية كأنها طائفة زرجس أو كأنها ياحمينه ، أو كأنها خرطت من يافوثة أو من إفضة مجلوة <sup>(١)</sup> ؟

وإذا كان الجاهظ قد قد موازنة بين الجارية الحسنة والرجل القبيح لينتهى إلى إثارة الجارية ، فإن النتيجة لا تختلف إذا عقدنا مثل هذه الموازنة بين مفضية جميلة ومفضية جميلة .

وشبهه بهذا ما حدث به ثمامة بن أثرس في قوله : كنت عند المأمون يوما ، فاستأذن النبي مُعَبِّرٌ ليدخل ، فسكرته ذلك ، فقال المأمون : ما بك يا ثمامة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إذا فني مُعَبِّرٌ ذكرت مواطن الابل وكشبان الرمل ، وإذا غننا فلانة انبسط أمل ، وقوى جذلي ، وانشرح صدري ، وذكرت الجنان والرهان .

كم بين أن تنفيك عادة كأنها غصن بان ، ترنوبقة وسنان ، كأنما خلقت من يافوثة  
أوقرمت من فضة ، وبين أن ينفيك رجل كثر الحجة ، غليظ الأصابع خشن  
الكف ؟ .

فنبسم المأمون وقال : الفرق بينهما واضح ، باغلام لا تأذن لمير ، وأمر بأن  
تمحضر أميب قينانه <sup>(١)</sup>

أما الفنية فهي الأمة المنفية ، من القَيْن وهو التزني ، ومنه قيل للمرأة مُقَيَّنة  
إذا كانت تزني النساء . وقيل القينة هي الأمة مفضية أو غير مفضية ، والفنية تسمى  
قينة إذا كان الفناء صناعة لها ، وذلك من عمل الاماء دون الحرار <sup>(٢)</sup> .

٢ — وقد عرف القيان منذ زمن بعيد ، ولكن الذي يمتينا الآن ما يحصل  
بالفرس ، ونظن أن هريرة وخليدة قينتي بشر بن عمرو بن مَرْثَد كانتا فارسيتين ،  
لانه قدم بهما اليمامة لما هرب من النعمان ملك الحيرة <sup>(٣)</sup> ، وهريرة هذه هي التي  
شعب بها الأعشى في قوله :

وَدَّعْ هريرة أن الركب مُرْتَحِلٌ . . . وهل تلبين وداعا أيها الرجل ؟ <sup>(٤)</sup>  
ونظن أن انقيان اللأى ذكر حسان بن ثابت أنهم كن يُمَتِّين فناء أهل الحيرة  
فارسيات أيضا فقد ذكر أنه سمع عند جيلة بن الأيهم الأمير الفسافي مشرقيان ، خمس  
روميات ينفين بالروحية وخمس ينفين غناء أهل الحيرة <sup>(٥)</sup> .

لكن الذي لا شك فيه أن الحرار من العربيات ما كن يحترفن بالفناء ، لأنهن  
إما مكفولات الرزق برجالهن ، وإما كسبات بغير الفناء ، إذ أن الفناء يقتضى  
المرأة الفنية أن تزني للسامعين ، ولقد كن يفضيها أن تكشف عن بعض مفاتيها ،  
وأن تكون مناط أنظارهم وجمع اشتهاهم ، كما تحدث الشعراء ، ولا يرضى رجل عربى  
أن تكون كذلك امرأة اتصلها به قرابة ، ولا تجرؤ امرأة عربية على أن تشذ عن  
بنات جنسها ، فتحفل هذا الموضع المخصص للإماء . فأنقيان إذاً أجنبيات فارسيات  
ودروميات وحشيات ، وقد ذهب إلى ذلك المستشرق ليال ، فقال : إن القيان كن

(٢) اللسان مادة قين .

(١) زهر الآداب ٣ — ٢٧

(٤) الديوان ١٩ (٥) الأغاني ١٦ — ١٤

(٣) الأغاني ٨ — ٧٧



ولم أنهم مانيها ولكن وَرَثَ كَدَى فلم أجعل شجاءها  
فكنت كأنى أقمى مُتَمَّى يُحبُّ النانيات ولا براها<sup>(١)</sup>

وكثيراً ما كان لبعض الشعراء قيان بنفيعين بشعرهم ، فكان لعبد الله بن جُدعان  
قَيْنَقَان<sup>(٢)</sup> ، ولبشر بن مَرُوءَ قَيْنَقَان<sup>(٣)</sup> ، وسلامة بن جَنْدَل قَيْنَه<sup>(٤)</sup> وكذلك  
ولطرفة قَيْنَه<sup>(٥)</sup> ، وكذلك لمرو بن الإطنابة<sup>(٦)</sup> وامبدة بن الطيب<sup>(٧)</sup> ولعبد  
ينوث<sup>(٨)</sup> وكان لامرئ القيس قيان بنفيعته في رحلاته ولحرو<sup>(٩)</sup> .

وكثيراً ما كانت اللبان بنامع حب وغزل ووصف جميل ، كما في شعر طرفة  
والأهش وسلامة بن جندل .

ولا يجسبنا هنا قول مَرُوءَ بن الإطنابة في وصف قيانهم إيهن كن يشغلن أنفهم  
بالزین والتجميل والفعل بقلاند فارسية :

إن قينا القيان يمزقن بالدف لغنيافنا وميشا رَحِيًا  
يتبارين في الذميص ويصببُن خلال القرون مسكا دكيا  
إعسا مهن ن يتعالمسن سموطا وصنبلًا فارسيا  
من سموط المرجان فعل بالدر فأحرن بحلمين حُلُميا<sup>(١٠)</sup>

ويظهر أن عدد القيان والإماء الفارسيان كان كثيراً ، وأن العرب استولوا  
بعضهن ، لأن علي بن عبد الداني ألف كتاباً ذكر فيه أسماء الذين تزوجوا فارسيات

(١) تهذيب الكامل ٢ - ٣٤ وزمر الآداب ١ - ١٣٢ .

(٢) أوائل الأوائى لأبي هلال العسكري ٢١٩ مملوطة ورسالة النيان لجاهل ٦٢  
والأغاني ٨ - ٣ .

(٣) الأغاني ٨ - ٧٧ .

(٤) للفضليات ١ - ١١٨ .

(٥) ديوان طرفة ٧٨ .

(٦) الأغاني ٩ - ١٦٤ .

(٧) للفضليات ١ - ١٤٣ .

(٨) للفضليات ١ - ١٥٦ .

(٩) الأغاني ٨ - ٦٥ والديوان ١٨٢ .

(١٠) الأغاني ٩ - ١٦٤ سموط : قلاند .

سماء ( ككتاب فيمن تزوج مجوسية<sup>(١)</sup> ) وأرجح أن ذلك ازواج كان قبل الإسلام لأن الإسلام لا يجعل زواج المجوسية ، إذ أن المجوس يؤمنون بنبوة زرادشت وبكذبون سائر الأنبياء<sup>(٢)</sup> .

٣ - هذا الفناء كان يقتضى الموسيقى ولقد يبرز أن بعض الفتيان كن فارسيات اننا نجد في الشعر العربي القديم أسماء فارسية لآلات الطرب والموسيقى .

من ذلك : العاذنور ، كلمة فارسية معناها إلية الحمل<sup>(٣)</sup>

والبربط هو المرد ، فارسي معرب ، معناه صدر البط أو الأور<sup>(٤)</sup> لأنه يشبهه .

والتوتج هو المزف أو الزهر أو الدود ، وقيل نوع من الصنج فارسي معرب أصله ونة ، ونطقه العرب اون<sup>(٥)</sup> .

ومستقى صبي آة يضرب عليها ، يذكر الضبي إن الكلمة فارسية أصلها مشتقة صبي أى يؤخذ باليد<sup>(٦)</sup> . وفي القاموس مشتقة بضم التاء وفتحها آلة يضرب بها الصنج ونحوه معرب<sup>(٧)</sup> .

وبحسبنا أن نسوق من شعر الأعشى ما يدل على معرفتهم بعض هذه الآلات الفارسية قال الأعشى :

وربطنا دامننا مُمَلِّلٌ قَائِيُ الثلاثة أُرَرَى بها ؟

رَى الصنج يبكى به شَجْوَةٌ غافّة أن سوف يُدَقِّى بها<sup>(٨)</sup>

(١) معجم الأدباء ١٤ - ١٣٣ .

(٢) الفصل في الملل والنحل ١ - ١١٣ .

(٣) لسان العرب والقاموس المحيط مادة طنور وفرنك نفيس Steingass

(٤) اللسان والقاموس مادة بربط

(٥) اللسان والقاموس مادة وتج

(٦) الملاي لحي ٢١ مخطوط

(٧) مادة سنوق

(٨) الجوان ١٧٣ والمعاني الكبير لابن قتيبة ١ - ٤٦٨ واللسان مادة صنج

وقال :

ومستق صبي وونّ وربط يحاوبه صنّج إذا ماترنا<sup>(١)</sup>  
أما الدّزف والسكران والودود والمزهر فعربية الأصل ، فقاما الفرس من العرب  
فيها بعد<sup>(٢)</sup> .

وقد بقيت هذه الآلات إلى العصر الأموي وهزفت القيان عليها ، مثل سيرين  
وجيلة ورائقة وهزة الميلاء<sup>(٣)</sup> .

٤ - على أن الذي يتتبع أخبار ملوك الحيرة يجدهم يحاكون ملوك فارس في كثير  
من ضروب الأبهة ومظاهر الترف .

فقد حجّبوأ أنفسهم من الشراء بأستار كما كان يفعل ملوك الفرس ، نسعدل على  
هذا من أن الحارث بن حازمة أنشد عمرو بن هند قصيدته التي مطلعها :

آذنتنا بينها أسماء ربّ : ناو يملئ النّواء

وكان ينشده من وراء سبعة ستود ، فأمر الملك برفع الستود ، استحساناً لما سمع ،  
وأدنى الشاعر وقربه<sup>(٤)</sup> .

٥ - وإذا فقد كان العرب على صلة بالنقاء الفارسي والرومي والحبيشي منذ  
الجاهلية ، وليس أدل على ذلك من ذكر الشراء لأسماء الآلات الموسيقية الأجنبية قبل  
أن يبرخ الإسلام ، ومن أن النقاء الفارسي والرومي كان معروفاً لهم في الشام كما سمعه  
حسان بن ثابت .

لهذا رجعت أن بعض القيان كن فارسيات .

على أن التاريخ يحدثنا بأن الحارث بن كَلْدَة قد تعلم الدزف على المود بفارس

(١) اللامى اضى ٢٩ غلطوط

(٢) المايم العربية و Steingass

(٣) الاغانى ١٦ - ٢

(٤) المسددة ١ - ٢١ والشعر والشعراء ٣



والبحر ، ثم قدم مكة وعلم أهلها<sup>(١)</sup> ، ثم سافر ابنه النضر إلى فارس كما سافر أبوه ، وتعلم هناك أشياء جليلة القدر<sup>(٢)</sup> .

فن حققنا إذا أن تصحيح ما ذكره أبو الفرج الأسفهانى ، أو نذهب في فهمه مذهبا آخر ، ذلك أنه يذكر أن سعيد بن مسجع السكى الأسود أول من نقل فناء الفرس إلى العرب ، لأنه تعلم هناك الفناء والطرب ، وتعلم بالشام ألحان الروم ، ثم قدم الحجاز فعلم الناس بحاسن تلك النغم<sup>(٣)</sup> .

وذكر في رواية أخرى أنه مر بالفارس وهم يبنون المسجد الحرام فسمع غناء بالفارسية ، فقلبه في شعر مرز ، وهو الذى علم أن سُرَّاج والفريض<sup>(٤)</sup> .

وذكر في رواية ثالثة : أنه سمع غنائين من الفرس يفتنون وهم يبنون دورا ماثوية ، فأتخذ ألحانهم ونقلها إلى الشعر العربى ، ثم صاغ على نحوها<sup>(٥)</sup> .

وهذه الروايات وإن اختلفت في ظروف نقل ابن مسجع للفناء الفارسى تنفق على أنه أول من نقله إلى الفناء العربى .

ثم ذكر أبو الفرج في موضع آخر أن ابن مَحْبُوز الفارسى الأصل شخص إلى فارس ، والشام ، وتعلم الألحان وأنف منها الأغاني التى صنفها في أشعار العرب ، وهو الذى ابتكر غناء الرَّمَل ، ولم يعرفه العرب ولا الفرس قبله ، لأن ابن سَدَمَك أول من غنى وملا بالفارسية أيام الرشيد محاكيا لابن مَحْبُوز أستاذة<sup>(٦)</sup> .

وبذهب مرة ثالثة إلى أن سائب خاثر الفارسى الأصل أول من صنع مثل النداء الفارسى في العربية ، وأنه أستاذ ابن سُرَّيج وجبيلة ومهبد وعزة اليلاء وغيرهم<sup>(٧)</sup> .

ثم تتبع بعض المؤرخين للمحضرة الاسلامية أبا الفرج ، فذهب خداجمخش إلى أن

(١) عبون الأنباء في طبقات الأطباء ١ - ١٥٩ وأخبار المسكاه ١١١

(٢) عبون الأنباء ١ - ١١٣

(٣) الآثار ٣ - ٨١

(٤) الأغاني ٣ - ٨١ و ٨٢

(٥) الأغاني ٣ - ٨٤

(٦) الأغاني ١ - ١٤٥

(٧) الأغاني ٧ / ١٢٩

الموسيقى الفارسية دخلت بلاد العرب في الاسلام مع أمرى الفرس الذين وفدوا إلى مكة أنفاجا ، وعدوا الرب الفناء على نهات الحف والنأي والمود والظهور<sup>(١)</sup> .

لكننا نلاحظ أن روايات أبي الفرج لا تلتق على شخص معين يصح أن ينسب إليه السبق في ادخال الفناء الفارسي أو الروي إلى العرب ، فهو مرة ابن مسجج ومرة ابن مُحَرَّر ، وثلاثة سائب خثر ، ورابعة نُشَيْط ، وخامسة طُوَيْس<sup>(٢)</sup> .

ولست أنكر أثر الفناء الفارسي أو الروي في العرب ، وإنما أذهب إلى أن هؤلاء الذين ذكرهم أبو الفرج كان لهم الفضل في تجديده ورفده بالفناء الاجنبي ، ولم يكن أى واحد منهم هو السابق ، لأن العرب - كما سبق - عرفوا الفناء الفارسي وعرفوا الفناء الروي من قبل ، وأطربتهم به قباهم ، ورددوا في لنتهم وشعرهم أسماء آلات موسيقية فارسية ورومية وحشية قبل أن يوجد واحد من هؤلاء المنين .

٦ - كانت الجر المتقة رُد إلى العرب من جهات شتى . من أهمها بابل ، لهذا نسبوا الجر إليها ، قال ليبد في غزله :

كأن السَّمول خالطت في كلامها جَنِيًّا من الرمان لَدَنَا وذابلا  
 قَبِذا وَمَنْقُوطَا بصافي غيلة من الناصع الخنوم من غمر بابلا<sup>(٣)</sup>  
 وكانت تأنبهم من مائة ، قل زهير :  
 كأن يقنما بعد الكرى اغتَبَت من غمر عانة لما يَبْدُ أن عتقا<sup>(٤)</sup>  
 ونسبها مالك ابن جريم ( حريم ) الحمداني إلى فارس :  
 كأن جَنّا الكافور والمهلك خالما ورد الندى والأخوان الفزعا  
 وقتلا قَرَّت فيه السحابة ماءها بانياسا والفارسي الشعثا<sup>(٥)</sup>

(١) مقدمة خد الخش لكتاب الحضارة الإسلامية لعون كريبير ٢٥ .

(٢) الاغانى ٣٨/١

(٣) ديوان ليبد ٢٦ شعول . حمر أو باردة منها . منقوطة : مزوج . صفي غيلة : سحابة ممطرة

(٤) الانسان ١٧/١٧٥ عانة : بلد على القرات نسب إليه الجر العالية . اعتبقت : شربت . الجر بالفتح .

(٥) الأسميات ٥٨ الجنى : كل ما يعنى الأخوان : نبت له نورأبيض . المنزع : المنزوع . اقلقت : الكثرة في الجلبى تمسك الماء . قرت : جمت . الفارسي : المنسوب إلى فارس والمراد الحجرة . المشعثة : المزودة بالماء . بانياسا : خبر كان .

وكانت ترد ، بن ييسان ، ذكر قيس بن عاصم التميمي أن تاجر الحجر كان يبيع  
بها من ييسان فيبيع له ، وما يزال الحجر في جواره يبيع له حتى يستهلك ماله :  
وتاجر تاجر جاء إله به كان عثوثونه أذنابُ أجبال  
جاء الخبيث ببيسانية ترك سحبي وأهلي بلا عقل ولا مال<sup>(١)</sup>  
ونسبها الاغنى إلى الفرس في قوله :

وطسلاء خسرواني إذا ذاقه الشيخ تقنى وأرجعن<sup>(٢)</sup>

ولم فنون من الابداع في وصف الحجر وبجاسها وندامها وسفاتها وأرها في  
النفس ، يهمنامنه قول الأسود بن ينفرة النملى إن الحجر كان يسمى بها غلام مقرط  
منطق وإنهم كانوا يشترونها بدرام فارسية :

ولقد لهوت - ولشباب لفاذة - بسلانة مزجت بماء فوادي  
من خر ذى نطاف أغن منطق واني بها لدرام الإسجد  
يسقي بها ذو تومتين مشمر قنات أمامه من الفرساد<sup>(٣)</sup>

٧ - وكان ملوك الحيرة يتنافسون أكاسرة الفرس في الرف ومظاهر النعمة  
والمنظمة ، فقصورهم مؤنثة بأعني الاثاث ، وحدائقها مستورة بأعز الازهار ، وقواربهم  
الأنيقة الساطعة الانوار تشق الفرات ليلا ، حاملة أعني لأعراء وأمهات الموسيقىين  
لهذا أطلق العرب لأنفسهم عنوان الخيال ، فتصوروا علينا أنباء القصور الساحرة  
المجبية التي أضحيت أجل مساكن الشرق وأطيبها<sup>(٤)</sup> .

وكان القصر الملكي في الحيرة ينطق بالثراء والرفاهية ، كما يبدو في مدائح الشعراء ،

(١) الأمازي ١٢/١٤٥ والأشربة لابن قتيبة معطوط والنفذ الفريد ٣/٣١٣

(٢) الديوان ٣٥٩ ضلاه خر . خسرواني : نسبة إلى خسرو شاه .

(٣) المفضليات ٢/١٨ النوادي : السحب الناشئة غدوة . نطاف جمع نطفة ينتجبن وهي  
الفرط . منطق . غلام غايه نطاق . الاسجد ودرام الاسجد هي دراهم الاكاسرة كانت  
عليها صورة يسجدون لها . تومتين : لؤلؤتين . قنات : استندت حرتها حتى مالت إلى السوداء .  
الفرساد : الثوب .

(٤) حفاة العرب ١١٦ جستان لوبون .

وقد بقي القصران العظيمان الخورنق والسدير يستعملان بمض الاستعمال ، وكانت بقايا الخورنق مأوى الراحين لاصيد إلى أوائل العصر العباسي<sup>(١)</sup> .

ونسب العرب إلى القرم أنواعا من الملابس ووسائل التجميل والزينة ، كقول عمرو بن الأطنابة في وصف قياتهم :

إِنَّمَا هُمَنْ أُنْ يَتَحَلَّيْنَ سَمُوطًا وَسُفْلًا فَارِسِيًّا<sup>(٢)</sup>  
وقول أبي ذؤاد اليباضي :

لَمِنْ الظَّمَنِ بِالضَّمَا وَارِدَاتٍ جَدُولُ الْمَاءِ ثُمَّ رُحْنٌ مَشِيَّةٌ  
مَظْهَرَاتٌ رَقًا نَهَالُ لَهُ الْمَيِّينَ وَعَقْلًا وَعَقْمَةً فَارِسِيَّةً<sup>(٣)</sup>  
وقوله أيضا :

وَبَصَنَ الْوُجُوهَ فِي الْمَيْحَنَةِ نِي كَمَا صَانَ قَرْنُ شَمْسٍ غَمَامً<sup>(٤)</sup>

(١) مسالك النفاقة الأغريقية إلى العرب ٢٨٤ أو يرى .

(٢) الأغانى ١٦١/٩

(٣) معجم البلدان ١٠٠/٤ الرقم : ضرب من بخر أو لوتى مخفط . الغزل : ثوب أحمر يجلل به المهودج أو ضرب من اللوتى . العفة : يتج المين وكسرهما المرط الأحمر أو كل ثوب أحمر .

(٤) الأسميات ٢١٤ المباني : نوع من الثياب منسوب على غير قياس إلى ميدان وهو كورة بين أواسط البصرة .

## الفصل السابع

### أثر الفرس في القصص والتاريخ

١ - عرف العرب بعض أخبار الفرس وقصصهم ، كقصة رستم وأسفنديار<sup>(١)</sup> وقد ذكر ابن هشام أن النضر بن الحارث كان من شياطين قريش وعن يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان قد شخص إلى الحبرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وقصة رستم وأسفنديار<sup>(٢)</sup> .

وذكر ابن أبي أسيمة أن النضر دخل إلى فارس وتعلم بها<sup>(٣)</sup> ، فكان الرسول إذا جلس مجلسا وذكر فيه بالله وحضر قومه ما أصاب الطغاة من قبلهم ، حلفه النضر في مجلسه إذا قام وقال : يا مشر قريش أنا والله أحسن منه حديثا ، فهل إلى . ثم يحدّثهم عن ملوك فارس وعن رستم وأسفنديار . وهو الذي قال ، سأنزل مثل ما أنزل الله . وفيه نزلت تعالى آيات من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : « إذا نزل عليه آياتنا قل أساطير الأولين »<sup>(٤)</sup> وروى أنه اشترى كتب الفرس ليحدث منها ، وأنه الملقى بقوله تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ، ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين » .

٢ - وكان مؤرخو الفرس قد دونوا تاريخ العرب ثم استفاد منه كثير ممن أروا للعرب ، فإطبري مثلا يقول : ( وكان أمر آل نصر بن زينة ومن كان من

---

(١) قصة فارسية قديمة أمادها الفاروسى في السانانية ، تدور حول الحرب التي نشبت بين رستم جلّ إيران القديم الذي كمل لها النصر على أعدائها أكثر من ثلاثمائة سنة وباب اسفنديار الدحل المسمى بهل دين زوادشت ، وقد دارت الحرب بينهما زمنا طويلا وأظهر اسفنديار جشوه قنبح بطولة رستم ولكن المبارزة بينهما انتهت بمقتل اسفنديار .

(٢) سيرة ابن هشام ١ - ٢٢٠

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١ - ١١٣

(٤) ابن هشام ١ - ٣٢٠ .

ولاية ملوك الفرس ومما لهم على نفر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة  
منبما لا كان ميثاقهم في كفائهم وأشعارهم . وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي  
أنه قال : اني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن زبيدة ومبالغ  
أعمار من حمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم  
كلها<sup>(١)</sup> .

## الفصل الثامن

### أثر العرب في الفرس

ليس من الطبعي أن تجتمع عوامل الاتصال بين العرب بالفرس أحقاباً طويلاً  
فقد تأثر العرب بالفرس هذا التأثير الذي سبق ، ثم لا يتأثر الفرس بالعرب .

لكن مظاهر تأثير عرب الجاهلية في الفرس لا يستطيع توضيحها ، لأن أدب  
الفرس قبل أن يحدوا مجهول ، وأدبهم بعد الإسلام هو المدون المدرس .

لهذا يبدو تأثير العرب في لغة الفرس وأدبهم وثقافتهم كما سنبين في فصل خاص .  
على أننا نجد أدلة تدلنا على أن العرب قبل الإسلام كان لهم في الفرس أثر .

ذلك أننا نقرأ في بعض كتب التاريخ العربية ما يدل على إعجاب الفرس بعرب  
الحيرة ، إذ يروون أن يزدجرد الأول ( ٣٩٩ - ٤٢٠ م ) الملقب بالأنهم دفع ابنه  
بهرام جرد إلى النعمان الأعور ( ٤٠٣ - ٤٣١ م ) إربيه تربية عربية ، ويذكرون  
أن النعمان بنى الحورنق مسكناً لبهرام وأنه كان يخرج به إلى البادية<sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى  
أن الذي تعمد بتربية بهرام هو المنذر بن النعمان<sup>(٢)</sup> ، لكن هذه الرواية لا تنمى مع  
سنوات حكم المنذر ( ٤٣١ - ٤٧٣ م ) وحكم يزدجرد ، إذ كان يزدجرد قد توفي  
قبل ولاية المنذر .

ويزيد بعضهم الأمر تفصيلاً فيذكر أن بهرام رضع من امرأتين عربيتين وامرأة  
فارسية ، وتعلم على أسانذة من الفرس والروم ومن العرب ، ويقولون إنه أجاد اللغة  
العربية وقرض الشعر العربي والفارسي<sup>(٣)</sup> ، ثم يرتبون على هذه الملائكة الوثيقة نتيجتين  
تلافاً لها : —

(١) الطبري ٢ - ٧٢ .

(٢) الطبري ٢ - ٧٤ .

(٣) مروج الذهب ١ - ١٢٦ .

أولاهما — أن بهرام جور استعان بالعرب على أن يخلف أباه على عرشه فأعانوه ، إذ كان كثير من أشراف الفرس تماندوا — بعد وفاة يزدجرد — على ألا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد ، لسؤسيرته وقالوا إنه لم يخلف ولداً غير بهرام ، وأن بهرام لم يتول ولاية يختبر بها ، ولم يتأدب بأدب المعجم ، وأما أده العرب ، فصار أشبه بهم في أخلاقه ، وأنفقوا على صرف الملك عنه إلى آخر<sup>(١)</sup> . ثانيتهما — أن خصوم بهرام خشوا — بعد انتصاره عليهم — وبعد توليه الملك — أن يشكل بهم ، فتوسطوا بالعرب ليتجاوز عن مساأمتهم إليه ، فاستجاب بهرام ومفاهمهم<sup>(٢)</sup> .

ولقد يبرز ما ذكره مؤرخو العرب ويدفع الشك عنه — ما ذكره محمد عوف وشمس الدين محمد الرازي .

أما محمد عوف فقد ذكر في ( باب الألباب ) وهو أول كتاب في تاريخ الأدب الفارس أن بهرام جور أول من أنشأ شعراً بالفارسية ، وأنه تعلم الشعر من العرب ، إذ نشأ بينهم ، وعرف دقيق لغتهم ، وكان له شعر عربي بليغ ، ويضيف عوف إلى ذلك أنه رأى ديوانه في خزانة كتب في بخارى ، وأنه قرأه ونقل بعضه وحفظ بعضه وكانت به أبيات نظمها حينما رجع من الحيرة إلى فارس واستقر على سرير الملك بتأييد من العرب<sup>(٣)</sup> .

وأما شمس الدين الرازي فيذكر في كتابه ( المعجم في مفاير أشتار المعجم ) أن بهرام جور تربى في الحيرة وتأدب بأدب العرب ويقول إن حماد ابن أبي ليلى الراوية روى عن أهل الحيرة قطعاً من الشعر العربي لبهرام ، ثم يروي بيت بهرام الذي يزعم الفرس أنه أول شعر فارسي ، ويقول :

ورأيت في بعض كتب الفرس أن علماء عصر بهرام لم ينكروا شيئاً من أخلاقه وأحواله إلا قول الشعر ، فلما بلغت إليه نوبة الملك واستقر له الأمر تقدم إليه الحكيم

(١) الطبري ٧٤/٢ — ٧٦ .

(٢) الطبري ٢ — ٧٨ .

(٣) الأدب الفارسي الإسلامي للدكتور عبد الوهاب عزام . من قصة الأدب في

العام ١ — ٤٤٨



آذرباد ونصحه قائلا : أيتها الملك ! لم أن قول الشعر من كبار معاصي الملوك ودين  
عاداتهم ، لأن أساسه على الكذب والزور ، وبناء على البائنة الفاحشة والنيل للفرط  
ولذلك أعرض عن الشعر المظلم من علماء الدين وذمهم ، وعدوا مهاجرة الشعراء من  
أسباب هلاك الممالك السائرة والأمم الماضية ، فاعزى بهرام ، ولم يقل شعرا بعد ولا  
سمه ، ونهى عنه أولاده وأقاربه <sup>(١)</sup> .

(١) المرجع السابق ١ — ٤٥٠ .



# الباب الثاني

بين الفرس والعرب في الإسلام



# الفصل الأول

## عوامل الاتصال

تعددت عوامل اتصال العرب بالفرس في الإسلام ، فلم تسكن من جانب واحد هم العرب في أكثر الأحوال ولم تسكن فردية أو سطحية ، أو عاجلة كما كان الحال في العصر الجاهلي ، بل كانت في الإسلام من جانب الفرس ومن جانب العرب معا ، وكانت جماعة لافردية ، وعميقة لاسطحية ، وثابتة طويلة الأجل لاجل عاجلة وهي نابذة كلما من فتح العرب بلاد الفرس .

### فتح فارس

#### ضم الفرس قبل الفتح :

تفاوتت عوامل الضم في فارس حتى احتضمت على الإصلاح منذ أواخر القرن الخامس الميلادي .

فقد كان الشعب ينوء بالأقسام الديني ، بين زرادشتية هي الدين الرسمي للدولة ، رجالها يضطهدون الديانات الأخرى ، وما تدعو إلى الرد والكسل ، ومزدكية تحض على الشيوخ في الأموال والنساء ، ونصرانية يصطرح مذهبها النسطوري واليقوي ، على حين أن الحكومة الفارسية تضطهد النساطرة واليمانية في كل حرب بينها وبين الدولة البيزنطية ، وكان هناك يهود وسابئة يقاسون ألوانا من الاضطهاد والتكيل .

ولانت الحكومة قد أنهكتها الحروب التتالية مع جيرانها وبخاصة الدولة البيزنطية في الغرب والقبائل التركية في الشرق ، وهذه الحروب انتضت ضرائب باهظة أثقلت الشعب .

ولم يستطع الشعب أن يبر من سخطه في جو الحكم المطلق . فنظام الحكم ورأى قائم على أن كسرى يملك بتفويض من الله ، والآكسرة منقطعون أو شبه منقطعين من الرعية ، والشعب يدين بأن الملك يختارون من الله ليتولوا سياسته ، ولهم على الناس السمع والطاعة ، وليس لأحد من الناس عليهم حق .

يقول الأستاذ نولدكه : إن الملك الفرس يزعمون أنهم وحدهم أصحاب الحق في لبس التاج ، بما يجري في عروقهم من دم الهى .

ويقول الأستاذ برون : إن نظرية الحق الإلهى لم تعتق كما اعتنقت في فارس في عهد الملك الساسانية . وبوأنهما في هذا الوصف دوزى وهلم وغيرهما<sup>(١)</sup> وكان من نتائج ضعف الفرس أن انصهرت بمض القبائل العربية على جيشهم في موقعة ذى قار حوالى ٦١٠م كما قدمنا في علانة العرب بالفرس في الجاهلية ، وأن تماثب على العرش الفارسي اثنا عشر ملكاً من رجال ونساء وصبيان وغاصبين لذلك ، في عشر السنوات التى سبقت الفتح الإسلامى .

لكن العرب لما زالوا يظنون بهم القوة التى مهدوها وسموا بها ، فلما أن لهم لهم أن يفتحوا بلادهم تهيبوا ، إذ جعل حمر بن الخطاب يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم . وأثناء عليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الأمم<sup>(٢)</sup> .

ثم استجابوا للدمر ومضوا إلى بلاد الفرس .

#### سير الفتح :

لما فرغ خالد بن الوليد من إخماد ثورة الرندين وجهه أبو بكر ومعه الشقى ابن حارثة إلى العراق ، فأخضع القبائل العربية بجنوب الفرات ، ثم استولى على الحيرة والأنبار سنة ١٢ هـ ، وكتب خالد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية ، فسمعوا على الحرب .

(١) أدب السياسة في العصر الأموى للدؤلف ٣٤ .

(٢) الطبرى ٤/٦١

ثم توجه خالد إلى الشام ، فحدث بين العرب والفرس وقائع انتصر المسلمون في بعضها ، وهزموا في موقعة الجسر سنة ١٣ هـ ثم اختصروا في يوم البويب . ولادهم الفرس مادمهم ؛ اجتمع عظامهم وأصلحوا ما بين رسم وثاقفه الفيرزان ، وأجموا على تولية بزجرد الثالث ، وتبارى الرازية في طاعته ، وأعدوا المدة لطرده المسلمين من العراق ، حينئذ هم عمر أن يشخص إليهم بنفسه ، واستشار أصحابه فأشاروا عليه بأن يقيم ويبيت إليهم من الصحابة واحدا ، بعد آخر ، ويده بالجنود ، قبل مشورتهم ، واختار سعد بن أبي وقاص ، ومده بجيش يلزم نحو ثمانية آلاف ، والتقى الجيشان في القادسية<sup>(١)</sup> ، فانتصر المسلمون على الفرس بعد جهاد وجلاء ومصاربة ، وقتل رسم سنة ١٦ هـ ( ٦٣٧ م ) وبعد ذلك فتح المسلمون الدائن عاصمة الفرس ، وهزموا الفرس مرة أخرى عند جلولاء ، فصار العراق ملكا لهم .

ثم انساحوا في بلاد الفرس ، وهزمهم في موقعة نهاوند ، سنة ٢١ هـ ، وقد عرفت هذه الموقعة بفتح الفتوح ، لأنها الموقعة الفاصلة التي كفلت للمسلمين الاستيلاء على فارس ، وما زال المسلمون يطاردون بزجرد الثالث ، ويمتولون على بلاده حتى اضطر إلى الفرار إلى أن قتل سنة ٣١ هـ في عهد عثمان بن عفان ، وبموته انقرضت دولة آل ساسان .

#### من نتائج الفتح :

كان من نتائج هذا الفتح أن انفتح المجال لنيارات اتصال الشعوب . فصارت الخطوط التي كانت تصاهما في الجاهلية عارقا فسيحة مهيمة ، وصارت الملاقى الفردية روابط جماعية ، وأصبحت الصلات الوثيقة عرى دائمة . وحسبنا أن نذكر من نتائج الفتح وعوامل الاتصال عدة مظاهر .

١ - أسس العرب بين جزيرتهم وبلاد الفرس مدينتي البصرة والكوفة ، ثم أسسوا بها بعد مدينة بغداد<sup>(٢)</sup> على نهر دجلة بالقرب من فارس ، وسمرعان

(١) موضع على حافة البادية بالقرب من الكوفة .

(٢) اتخذ الباطنيون الكوفة عاصمة لهم سنة ١٣١ هـ ، وكانوا يقيمون أحيانا بالمهامية شمال الكوفة ، وأحيانا بالأببار ، فلما أُنشئ المنصور بغداد سنة ١٤٩ جعلها العاصمة بدأت الكوفة =

ما امتلأت هذه المدن وغيرها بما جرى العرب من بمنية وزازية ، وشرقت بالرافدين عليها من الفرس ، وسرعان ما ازدهرت هذه المدن ، وصارت مراكز للثقافة العربية والإسلامية .

كذلك انتشر الفرس في بلاد الجزيرة وما حولها واندمجوا بالعرب ، واحتسروا .

٢ — أقبل كثير من الفرس على اعتناق الإسلام أحرارا مختارين ، في غير ما إيجاب أو اضطراب ، لأن الظلم التي اصطَلوا بتيراتها قبل الإسلام حبت إليهم أن يقبلوا سرا على اعتناقه ، فكفل لهم العرب حربهم الدينية ، وهاملوا أتباع الزرادشتية معاملة أهل الكتاب ، فقبلوا منهم أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية .

٣ — وإذا كانت أئمة العربية لغة الدين الذي آمن به كثير منهم ، ولنة الفاتحين الذين يتصلون بهم ، تسابق كثير منهم إلى تعلمها ، وسرعان ما أجادها بعضهم ، وكانوا قدوة لمن بعدهم ، حتى صار كثير من مشهري الشعراء والكتاب والعلماء بالأئمة والدين من أبناء الفرس .

٤ — اتسعت دائرة الخلافة الإسلامية ، وكثرت خبراتها ، إذ ضم السلون مملكة كبيرة كثيرة الخيرات إلى حوزتهم ، وملكوا كنوز الفرس ، وما أعطتها ، فصار هذا الثراء من روائد الخزف الذي نتحدث عنه .

٥ — جعل الخلاط يقوى شيئا فشيئا منذ الفتح إلى آخر العصر الأموي ، فلما قامت الدولة العباسية — وكان لافرس ضاع في إقامتها — توثقت الصلات بالخلاطة والمجاورة والمعاشرة والمصاهرة ، فكثرت من أبناء العرب من أمه فارسية ومن أبناء الفرس من أمة عربية .

وزاحم العرب في الوزارة والحجابة وقيادة الجيوش وحماية الأموال وولاية الأقاليم ومقادمة الخلفاء ، ثم غلبوا عليها .

== فقد مركزها لباسي ، لكنها بقيت موطنة مركزا للثقافة ، وكانت البصرة معلومة بالأعاج من فارس وهند ويونان ؛ يعملون في التجارة والملاحة ، وهذا هو السبب في أنها كانت المنبع الأول للاحتكاك العربي في العائد ، حيث نشأت الفرق الدينية كالمعتزلة لارد على أصحاب المثل القديمة الذين تهجموا على الإسلام .



٦ - وكان من ثمرات هذا كله أن تأثر العرب بالفرس في كثير من أساليب الحكم ومظاهر الحياة ، حتى إن خلفاء بني عباس كانوا حراسا على معرفة تاريخ الفرس وأخبار ملوكهم ، وكان بعضهم يصطحب معه من يقص عليه تاريخهم ، كما كان السفاح يصطحب أبا بكر الهزلي ويستمع إليه ، وكما طلب للنصور - حينما تم بقتل أبي مسلم - وزدد بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه ، فأرق ليلته - من إسحاق ابن مسلم الدقيلي أن يحدثه حديث الملك الفارسي ساور الأكبر الذي قتل وزيره (١) .

#### أصب الفرس في قيام الدولة العباسية :

لما هب محمد بن علي بن عبد الله بن العباسي يدعو لآل العباس ، وبوقوع دعائهم الملك الأموي ، واتخذ خراسان مخرطاً لبث دعوته . وكان اختياره موقفاً لأن أكثر من بالشام وال عراق وجزيرة العرب كان هوامم أموياً ، ولأنه في خراسان كما قال محمد العباسي : « العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وهذا سدور سايمة ، وتلوب فارغة ، لم تقسمها الأهواء ، ولم تنوزعها النحل ، ولم يقدم عليها الفساد ، ولم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكراهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة . . . وإني أنفأ إلى الشرق ، وإلى مطاع سراج الدنيا ومصباح الخلق » .

ولواجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان سنة ١٢٨ هـ قال له : يا عبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت ، فاحفظ وصيتي ، وانظر هذا الحى من الجن فأكرمهم ، فإن الله لا ينم هذا الأمر إلا بهم . وانظر هذا الحى من ربيبه فأنهم في أمرهم . وانظر هذا الحى من مضر فأنهم المدو القرب الدار ، فاقفل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وتم في نفسك منه شيء . وإن استعطت ألا تدع في خراسان لساناً عربياً فاقفل . فأبما غلام بالغ خمسة أشبار تهمه فاقطله (٢) .

ومنى هذا أنه يعتمد على الفرس وعلى من بها من العرب البينية ، وينظر إلى العرب الآخرين هناك نظرتة إلى العدو ، ويود أن يقضى عليهم ليباغ ما يريد . ثم إن الفرس كانوا حائقين على العرب عامة ، وعلى بنى أمية خاصة .

(١) البيان والتبيين ٣ - ٣٩٨ .

(٢) الطبرى ٩ - ٧٦ .

وإيس من السبعم أن يكون ذوو الرأي من أبناء الفرس قد تطلّموا في أواخر الدولة الأموية إلى إقامة دولة جديدة قُربهم وترفع من أقدارهم ، فقد كان الفرس يتخذون التشيع لملى وآل بيته لونا سياسيا ، إذ كانوا قد وثقوا بأن من المستحيل أن يسترد الفرس في ذلك الوقت استقلالهم السياسي وحرّيتهم الدينية على نحو ما كانت عليه قبل الإسلام . فلم يكن بد من أن يصلوا إلى السلطان من الإسلام ، ومن طريق السياسة الحزبية الإسلامية ، فنصروا المضطهد من هذه الأحزاب — وهو حزب العلويين — وكان هذا الحزب ضموا أيام ميثان ، مضطهدا أقبح الاضطهاد أيام بني أمية ، فأيدوه الفرس وناصروه حتى وصلوا به إلى السلطان ، ولكنهم لم يصلوا بالعلويين إلى السلطان ، لأن ظروفًا سياسية خاصة دعت إلى أن يستأثر بنو العباس بالحكم دون بني عل ، فلان الفرس ومروا وآزروا بني العباس ، ليصلوا معهم إلى السلطان ، وتشدد منهم في مذهبهم العلوي قوم لقوا في سبيل هذا المذهب منابهم ، ومن هؤلاء أبو مسلم ، ومنهم البرامكة أيضا<sup>(١)</sup> .

ولم يكن ذلك الأمل الذي راود الوالي يخاف على ساسة العرب ، فهذا نصر بن سيار — والي خراسان في عهد هشام الثاني — يدعو العرب إلى الوحدة ، ويهيب بالفرابين واليمانيين أن يتآخروا ، ليتفوا الهلاك الذي بيته النجم لهم ، ويوبخهم على غفلتهم عن أولئك الأعداء :

أبغ ربيعة و مرو وإخوانهم فليفضوا قبل ألا ينفع الغضب  
وليُنصَبُوا الحرب إن القوم قد نصَبوا حربا يُحرق في حافاتِها الحطاب  
ما بالكم تَدْفرون الحرب بينكم كُنْ أهل الجحنا عن رأيكم عَزْبُ<sup>(٢)</sup>  
وتتركون عدوا قد أظلم من تَأَسَّبَ لادن ولا حسب<sup>(٣)</sup>  
قوما يديفون ديننا ما سمعت به من الرسول ولم تنزل به الكتب  
فمن يكن سائلا من أصل دينهم فإب دينهم أن تهلك العرب

(١) حديث الأرباء المذكور طه حسين ٢ — ٢٢٧

(٢) الجحنا : القتل ، عزب : جمع أعزب وهو البعيد جدا

(٣) تأسب : جمع

ويظهر أن نذير الخطر نه العرب المتعدين إلى أن يتحدوا ، ليدفوا الهلاك النازل بهم ، فقد توادعت قبائل العرب من ربيعة ومضر واليمن على التماسد وقتال أبي مسلم الخراساني ، لكن أبا مسلم وأمواله قوتوا عليهم هذه الوحدة ، وأشدوا نار الفتنة من جديد<sup>(١)</sup> .

والحجب أن كان في أموان أبو مسلم البمينيون والرَّبِيعيون ، وأن كان في النقباء كثير من العرب ، كخطبة الطائي ، وقد رويت له خطبة في أهل خراسان بمحسهم فيها على الثورة ، وبذكرهم بظلمتهم السابقة ، ويحقر من شأن العرب ، كقوله : « هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين ، وكانوا ينصرون على عدوم لعدلم وحسن سيرتهم ، حتى بدلوا وظلموا ، فخط الله عز وجل عليهم ، فأنزع سلطانهم ، وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض مندم فغابروهم على بلادهم . . . ثم بدلوا وغيروا وأخافوا أهل البر و"مقوى من مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلطكم الله عليهم لينتقم منهم عليهم بكم ، ايكوفوا أشد عقوبة ، لأسكم طلبتموم بالنار<sup>(٢)</sup> » .

ولما كانت زعامة الشيعة قد آلت إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، نشط إلى ترويج الدعوة السرية ، إذ عين لشيعة نقيباً ودعاة ، وأرسلهم بيت الدعوة سرا ، وبانتظارها لآل البيت عامة من غير تعيين افراد .

وكان للدعوة مركزان : أحدهما الكوفة ، وهي ملائى بالموالى من الفرس وملائى بالشيعة ، وكانت عاصمة الخلافة زمن علي ، والآخر خراسان وهي ساخطة على بني أمية كما تقدم .

وقد جاب الدعوة البلاد منذ أوئل القرن الثاني ، يارسون التجارة في الظاهر ، ويبثون الدعوة في السر ، وظلوا كذلك نحو سبعة وعشرين عاما .

وكان ولاية بني أمية في خراسان بطاردونهم وبشكاهون بهم ، حتى إن أسد ابن عبد الله انقضى أوبر خراسان كان إذا ظفر بأحدهم قطع بدبه ورجليه وصابه . لكنهم مضوا في دعوته على الرغم مما ينصب عليهم من حنوف .

(١) ابن خلدون ٢ - ١١٩ و ٢ - ١٢١ .

(٢) الطبري ٩ - ٩٨ - ١٠٦ .

وكان البيت الرواني قد أصيب بالزفك والصف ، وجعل كثير من الأمراء وولاة اليهود بكيد بعضهم لبعض ، وكانت الفتن والثورات تتفانم ، حتى إن آخر بنى أمية - وهو مروان بن محمد - زلزالته ثورات الولاة عليه في أنحاء الدولة ، وزلزالته دعوة الشيعة في كل مكان ، وهزته بقايا الخوارج بزعماء الضحالك الشهباني ، وبذل مروان جهوداً في إخماد هذه الثورات ، فانتصر على كثير منها ، لكنه شغل ما كان يحدث في خراسان ، فوسع المجال هناك للشيعة ، واستطاع دعاةها زعماء أبي مسلم الخراساني أن يترعوها من بنى أمية معاندين إلى العصية القومية والمزبية الشيعية ، ومنهزين الشقاق بين القبائل العربية ومؤازرة الجينية لهم ، ثم اتجهوا إلى العراق واستولوا عليه ، وأعلنوا الدعوة لبني العباس ، وبوبع أبو العباس عبدالله الملقب بالسفاح سنة ١٣٢ هـ ( ٧٤٩ م ) بالكوفة .

ثم انتصر على مروان بن محمد في العام نفسه ، فهرب مروان إلى مصر ، فتمتبه صالح بن علي ، وقتله في قرية بوسير آخر سنة ١٣٢ هـ وبقتله نقضت الدولة الأموية ، وقامت الدولة العباسية .

#### إشادة العباسيين بهم :

لم ينمط بنو العباس فضل الفرس في قيام دولتهم ، بل جاهدوا به مرات . قال داود بن علي في خطبته يوم بوبع السفاح بالخلافة : « يا أهل الكوفة إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أزع الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلج بهم حجتنا ، وأظهر فيكم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم الخليفة من هانم ، وبيض به وجوهكم ، وأدالكهم على أهل الشام ، ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام . . . إن اسكل أهل بيت معا ، وإنكم معا<sup>(١)</sup> » .

وخطب أبو جعفر المنصور في أهل خراسان فقال « يا أهل خراسان ، أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دولتنا وبعد أن عدد مالاقي العلويون وبنو هانم من

اضطهاد قال : حق بينكم الله شيمة وانصاراً ، فاحيا شرفنا بكم وعزنا بكم أهل خراسان ، ودمغ بكم أهل الباطل ، وأظهر حقنا وأمار إلينا مبرأنا عن نينا على الله عليه وسلم ، ففر الحق مقره وأظهر مناره ، وأعز أنصاره ، فقطع دابر اقوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .

ولم ينس أن يوصي ابنه وهو شاخص إلى الحج سنة ١٥٨ هـ بأهل خراسان و قوله : « وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك ، الذين بذلوا أموالهم في دولتك ، ودماءهم دونك ، ومن لا يخرج محبتك من قلوبهم أن يحسن إليهم ، وتتجاوز عن سيئهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتحاف من مات منهم في أهله وولده »<sup>(١)</sup> .

فإذا ذهبنا نستشهد بأفواه المؤرخين وجدنا كثيراً من مروج هذا الاعتراف ، فالمسعودي يذكر أنهم كانوا يسمون باب خراسان في بغداد باب الدولة لأن الدولة المباسية أقبلت من خراسان<sup>(٢)</sup> .

والجاحظ يقول : دولة عباس أعجمية خراسانية ، ودولة بني مروان عربية أمراية .

### نصيبهم في اختصار التأمون على الأمن :

ثم ناصرُوا التأمون على أخيه الأمن :

ذلك أن الرشيد قد عهد بولاية العهد إلى أبنائه الثلاثة ما . الأمن والتأمون والقاسم . ثم قسم البلاد بينهم ، فجعل الشرق للأمن - خراسان والرى إلى همدان - وجعل الغرب للأمن - المغرب ومصر والشام - وجعل للقاسم الذي سماه المؤمن الجزيرة والنفور والدواصم . وهو بذلك ألق بأسمهم بينهم ، وفرض شجرة الشريده ، فتحقق ما قاله الشاعر<sup>(٣)</sup> .

(١) الطبري ٩-٣١٩

(٢) مروج الذهب ٢-١٨٣

(٣) الطبري ١٠-٧٣

رأى الملك الهذب شر رأى      تقسمته الخلافة والبلاد  
قد غرس العداوة غير آل      وأوس شمل النهم بداد<sup>(١)</sup>  
والنح بينهم حرباً هواناً      وحاس لاجتنابهم القياد  
ستجري من دماهم بحور      زواج لا يرون لها نفاذا  
فيزر بلائهم أبداً عليه      أعيا كان ذلك أم رشادا

لكن الأمين أراد أن ينهى أخاه المأمون ، فميزر المأمون مركزه بخراسان ، وقرب إليه الأشراف ورؤساء الشار ، فسر به أهل خراسان وعاصده وعاصروه وقالوا : ابن أختنا — إذا كانت أمه قارسية الأصل — وابن نينا ، وتوارت كتبه إلى أخيه محمد الأمين بالتنظيم والهدايا ، لكن البطانة أشعلت جذوة الحقد بين الآخرين فأمن الأمين خلع أخيه ، فسكان رد المأمون أن أعلن نفسه خليفة ، وقامت الحرب بينهما ، وانتهت بانتصار المأمون وقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ .

ويرى مؤيد أن انتصار المأمون على الأمين يمثل انتصار البهايين على الأمويين لأن كليهما انتصار للفرس على العرب .

ثم ازداد نفوذهم في عهد المأمون ، إذا كانوا أموانه على الأمين ، وكان يحمر بإبشارهم ، فقد تعرض رجل له بالشام مراراً فقال له : « يا أمير المؤمنين أنظر لعرب الشام كما نظرت لجسم أهل خراسان ، فقال : أكرهت على يا أبا الشام . والله ما أنزلت قيساً من ظهور الخيل إلا وأما أرى أنه لم يبق في بيت مالى قوم واحد . وأما لمن فوائده ما أحببتها ولا أحببني قط . وأما قضاة فسادتها تنتظر السفيان وخروجه فتكون من أشياء . وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بست لبيه من مضر ، ولم يخرج اثنين إلا خرج أحدهما شارياً أعزب ذل الله بك<sup>(٢)</sup> » ١١٤

ثم لم يلبث الترك أن سيطروا على شئون الخلافة في عهد المتصم ، إذا استكثر من الترك وآزهم على الفرس ، فشكل الترك بالفرس والعرب معاً .

(١) البداد فتح الباء المارزة والمراد هنا العداوة .

(٢) الطبري ١٠ - ٢٩٦ للحارثي . الحارثي . السفيان . يهابل المهدي المنتظر القى كان تنتظر الشيعة ( أدب السياسة في العصر الأموي ) .

## الفصل الثاني

### أثر الفرس في الإدارة والعباسة

#### خلة العبنة العربية أول الأمر :

قامت الدولة العبانية مستندة إلى عببيتها من الموال الذين آزروها واسطنتهم ، وكان منهم أ كفاء في شئون الإدارة والعباسة ، لا بسبب كثيرا منهم إلا طموحهم إلى استعادة مجد الفرس وحكمهم .

على أن الدولة العبانية لم تنه اقل من عروبتها في إبان قوتها ، بل اعتمدت عليها لتتق بها أولئك الفرس الناطقين إلى إعادة ملكهم ، فاصطدت كثيرا من رجل العرب من ربيعة ومضر واليمن ، ولكن بنى العباص لم ينتهوا إلى ما بين القبائل من بنضاء وقرتها نفوسهم منذ زمن بعيد ، ولما هم اغتفوا إلى هذه البنضاء ، لكنهم أرتضوها ليستعينوا بفريق على فريق ، ولو أنهم جدوا في إزالة ما بين القبائل العربية الوالية لهم من خصومة وحزارة لوجدوا فيها ما جأهم الآمن ، ودرهم التي تقوم جمعات الموالى من فرس ومن ترك .

حقاً إن الفرس كانوا أصحاب نفوذ عظيم في العصر العباني الأول ، لكنه لم يطلع على سلطان الخلفاء كما حدث من الفرس ومن الترك في العصر العباني الثاني . فقد كان خلفاء بنى العباص في العصر الأول ما زالوا يمتزجون بعروبيتهم ويحرصون على ساطتهم ، لهذا لم يتوانوا في التنكيل بالفرس إذا ما تخوفوهم على الخلافة أو على الخليفة ، فاستفاح قتل وزيره الفارسي أباسكة الخلال ، والصور قتل قائده الفارس الكبير أباسلم الخراساني ، ثم جاء الرشيد ففتك بالبرامكة ، وجاء المأمون فقتل وزيره الفارسي الفضل بن سهل .

كان الوزراء في العصر العباني الأول أ أكثرهم من الفرس ، وكان القواد من

العرب ومن الفرس ، وكذلك ولاية الأتليم ، وكان حشد النصارى من أربع فرق ثلاث من العرب ورابعة من الفرس<sup>(١)</sup> .

ومنى هذا أن العرب ما زالوا ينفطون بكثير من غوادم ، وأن الحكم لم يصطبغ بالصيغة الفارسية التي لوتها في العصر المماليكى ، وإلا ما اشتهر أمثال هؤلاء القواد من العرب : ممن بن زائدة الشيبانى ، وسعيد بن مسلم الباهلى ، والمهلب بن أبى سقر ، وأبو ذؤنب المجلى ، وروح بن حاتم بن قبيصة ، وثمالة بن أنرس .

### الوزارة :

كان العرب في الجاهلية وفي العصر الإسلامى يعرفون كلمة وزير ، لكنهم لم يريدوا بها المعنى الإصطلاحى الذى عرفوه في العصر المماليكى . والتى نعرفه اليوم ، بل أرادوا بها النصير والمشير فكان للنسب والخلقاء الراشدين ، ولبنى أمية أعوان ومستشارون يقومون بأعمال الوزراء ، ولم يطان على واحد منهم لقب وزير . وفى هذا المعنى وردت في القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام في قوله : « وإجعل لى وزيراً من أهلى ، هارون أخى ، أشد ذباً أؤمرى » ، وأشركه في أمرى .

أما في العصر المماليكى فعرفوا المعنى الحياضى للوزير كما كان الفرس يعرفونه ، إذا أطلقوه على من يقوم مقام الملك أو الخليفة في تصرف شئون الدولة . يقول ابن خلدون<sup>(٢)</sup> : إن أباسلة الخلال أول من وقع عليه اسم الوزير وشهر بالوزارة في دولة نبي العباس ، ولم يكن قبله من يعرف بهذا الاسم لا في دولة بنى أمية ولا في غيرها .

وقد كان أبو سلمة وزير الأتلى المماليكى السفاح وهو أول من اتخذ لنفسه وزيراً من الفرس فلما فشل استوزر فارسياً آخر هو خالد البرصكى ، وما زال خالد وزيره حتى مات السفاح وتولى أبو جعفر النصارى ، فمينة والياً على إقاييم فارس ثم للموصل .

(١) الطبرى ٩/٢٨٢

(٢) وفيات الأعيان ١-٢٢٩



وكان للمنصور وزيران أحدهما عربي هو ابن عطية الباهلي ، والآخر فارسي هو أبو أيوب الوردباني الخوذي . ثم جاء المهدي فاستوزر بمقرب بن داود .

وأما الرشيد فقد استوزر يحيى بن خالد البرمكي ، وفوض إليه تفويضاً كاملاً أن يصرف شئون الدولة قائلاً : « قد قللتك أمر الرعية وأخرجته من عنق إليك ، فأحكم في ذلك بما ترى من الصواب ، واحتمل من رأيت ، وأهزل من رأيت ، وأمض الأمور على ما ترى »<sup>(١)</sup> ولم يلبث أن دفع إليه خاتم الخلافة فاجتمعت له الوزراء ، فصار بهما وبكرمه موئل الفاسدين ، وكان أولاده الخسة وينوم رؤساء الدولة في عهد الرشيد . ثم تدارل يحيى من الوزارة لابنه جعفر ، ولم يأفل نجم البرامكة إلا حينما أوقع بهم الرشيد سنة ١٨٧ هـ .

ثم استوزر المأمون الفضل والحسن ابني سهل ، ونائب بن يحيى الرازي .

وكان كل وزير من هؤلاء وغيرهم يحشد في الدواوين من يستطيع من بني جنسه . وتحلى هذا منذ عهد المنصور ، إذ بدأ الفرس يكثرون في الوظائف ويملكون في مناصب يجب أن يحمل فيها العرب ، حتى ليقال إنه أول خليفة استعمل مواله وخلفائه وصرفهم في مهامه ، وقدمهم على العرب ، وكثر ذلك بعده نزلت رئاسة العرب وضاع بأسها ، وذهبت مراتبها<sup>(٢)</sup> ، حتى أن شيخاً أمرايياً أسأذن ليدخل على أبي جعفر المنصور فلم يؤذن له ، على حين أن الخراسانية تدخل وتخرج فتسخر به ، فقال له رجل بمرقه : كيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة ؟

فقال الأمراي<sup>(٣)</sup> :

أكثر خلق الله من لا يدري من أي خالق الله حين يلقى  
وحلقة تنثر ثم تطوى وطيلسان يشترى فتمسلى  
ليسعد عبداً ، أولول مولى يا وبع بيت المال ماذا يلقى ؟

(١) الوزراء والكتاب لجهنباري ١٣٤

(٢) الوزراء والكتاب لجهنباري ١٣٩-١٥٧ وتاريخ الخلفاء لـ بوطر ١٠٠ ومروج

الذهب ٢-٤٠١

(٣) الأغاني ١٨-١٤٧

كان الوزير يتوب عن الخليفة في تصرف شؤون الدولة كلها دون توجيه منه ، أو ينفذ ما يأمره الخليفة عليه ، ذلك أن الوزارة في العصر العباسي كانت نوعين : النوع الأول وزارة التنفيذ ، وهي التي يتصرف فيها الوزير على تنفيذ أوامر الخليفة ، فهو إذن وسيط بينه وبين المرطبين والشعب ، والنوع الثاني وزارة التفويض ، وهي التي يهد فيها الخليفة إلى الوزير بالاعراض شؤون الدولة وانصرف فيها ، بغير رجوع إليه ، وليس للخليفة إلا تولية العهد وعزل من يوليهم الوزير ، وكان يحيى بن خلكم البرمكي وزير تفويض الرشيد ، ثم خلفه ابنه جعفر .

وإذا كان منصب الوزارة منقولاً من الفرس اتسم بعدة مظاهر فارسية ، فكان الذي يختار الوزارة برندي زياً خاصاً ، ثم يتر بين يدي الخليفة في حفل رسمي كما كان الفرس يفعلون .

وكان الوزراء الفرس بما كانوا سلاتهم في بعض الظاهر التي لا عهد للعرب بها ، فالفضل بن سهل يقدم على كرسي منجج ، ويحمل فيه عند دخوله على المأمون ، فإذا اقترب من المأمون ووفت هيئة عليه وضع الكرسي ، وترجل الفضل ، وحل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون ، ثم يسلم الفضل ويهوى إلى كرسيه فيقدم عليه . وهو في ذلك يذهب مذهب الأكلية<sup>(١)</sup> .

وهو الذي أمتع المأمون بأن يستبدل بالحواد - شعار الجاهليين - الخضره ويكتب إلى ماله أن يحملوا أعلامهم ولا سهم خضره ، وقد كانت الخضره شعار كسرى والجلوس<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان خلفاء بني العباس قد حرصوا على هروبهم واستندوا إليها في أول أمرهم فقتل بعضهم وزراءهم من الفرس ، فإن هذا يدل على أسر آخر هو سرعان النفوذ الفارسي والطرف من مراقبه .

وحسبنا أن نوجز البراءات التي حملت الرشيد على التفكك بإيرامكة ، لتبين الدلائل هل نفوذهم ، وهل حذقه من سلطانهم . ونحن نمتنع من هذه البراءات ما زعمه

(١) الوزراء والكتاب ٤٠١

(٢) المرجع السابق ٢٩٦ .

بعضهم من علاقة العباسية بنت المهدي أخت الرشيد بمحضر البرمكي وزواجه برأساً ، لأنها قصة بينة الاختراع والاختلاق ، ونرى أن أقرب تلميل إلى الصواب هو ما ذهب إليه ابن خلدون <sup>(١)</sup> ، فقد فند قصة العباسية ونفاها ، وانتهى إلى أن الفتك بالبرامكة كان نتيجة لأسباب شتى ، من الممكن حصرها في استئثارهم بالسلطة والنفوذ واستئالة الناس واجتذاب الأشراف ، واغترارهم بما نالوا من ثراء وجاه ، وإسرافهم في المطايا والهبات ، وتفاقمهم أو غفلتهم عما للخليفة من حقوق وسلطان ومظهر واجب للرعاية .

يقول ابن خلدون : إنما نكس البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجائهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب البشير من المال فلا يصل إليه ، فتأبوه على أمره ، وشذروه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تعرف في أمور ملكه ، فغضت آذانهم ، وبعد صيتهم ، وغمروا مراتب الدولة وخططوا بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واحتازوها من سوام ، من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم ، يقال إنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خلدخمة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحوا فيها أهل الدولة . . . فتوجه الإيثار من السلطان إليهم ، وغضت الدالة منهم ، وانبعث الجاه عندهم ، وانصرف نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال ، ونحطت إليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك ونحف الأمراء ، وصيرت إلى خزائهم في سبيل الزلف والاستئالة أموال الجباية ، وأفاضوا العطاء في رجال الشيعة وعظماء القرابة وطو قروم المني ، وكسوا من بيوتات الأشراف المدم ، وفكروا العاني ، ومدحوا بما لم يمدح به خنوعهم ، وأسدوا الجرائز لمقاتهم ، واستولوا على القرى والضباع ، حتى آسفوا البطانة وأخذوا الخناسة ، وأغضبوا أهل الولاية ، فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ، ودبت إلى مهامم الزوئير مقارن الحماية . . . . .

وقد رويت أخبار شتى من سرفهم وثرانهم وسفههم في العطاء ، منها قول ماصري خالد البرمكي : لم يكن يرى لجليس خالد بن يحيى البرمكي دار إلا وخالد بناها له ،

ولا ضيمة إلا وخاف ابتاعها له ، ولا ولد إلا وخاف ابتاع أمه إن كانت أمة ، أو أدى مهرها إن كانت حرة ، ولا دابة إلا وخاف حمله عليها أما من نقاجه أو من غير نقاجه<sup>(١)</sup> .

وقال الرشيد وهو يسمع ضجة في عمارس يحيى بن خالد : ما هذا ؟ فقول يحيى بن خالد ينظر في أمور المتظلمين . فقل فذل شأبه وذل بذمه وبسبه — استبد بالأمور دوني ، وأمضاهما على غير رأي ، وعمل بما أحبه دون عتي . ونكلمت أم جعفر بنحو من كلامه ، وثلبته أكثر مما يثلبه أحد<sup>(٢)</sup> .

### بيوت اللاذن :

لم يعرف العرب في صدر الإسلام والدولة الأموية نظام البيوت الخاصة بالاستئذان على الخلفاء ، وكان بنو أمية يقيمون في قصورهم ، ويقف الناس على أبوابهم حتى يؤذن لهم أو يصرفوا . فلما تولى بنو الباس ، وبني المنصور قصره جعل فيه بيوتاً للاذن ، فجرى خلفه على سنته

### السياف :

كان السياب موظفاً في الدولة ، وهي وظيفة فارسية قديمة ، لم يكن العرب يعرفونها أيام الخلفاء الراشدين أو بني أمية .

### النجمون :

كذلك جد النجمن ، وكان لهم شأن في الدولة الباسية ، ورأى أحياناً في توجيه السياسة وفي الحروب ، وهم الذين أشاروا على المتصم بأجل فتح مصرية إلى أن يفتح الثين والنف ، لكنه خافهم ، واعتصر ، فسخر بهم أبو تمام في قوله<sup>(٣)</sup> .  
السوف أصدق أباء من السكتب في حده العد بين الجد واللم

(١) الوزراء والكاتب ١٧٣

(٢) الوزراء والكاتب ١٧٨

(٣) الديوان ١ - ٤٥

بيض الصفايح لاصود المعانف في متونهم جلاء الشك والريب<sup>(١)</sup>  
والعلم في شهب الأرماع لائمة بين المحبين لاي الحبة الذهب<sup>(٢)</sup>  
أين الرواية أم أين النجوم وما صاغره من ذخرف فيها ومن كذب  
تخرسا وأحاديثا ملفقة ليست بذبذب إذا عدت ولا قارب<sup>(٣)</sup>  
ثم بهزا بشكهم قل ذلك فيقول :

وخوفوا الناس من دغها مظلم إذا بدا الكوكب القربى ذوالقنب<sup>(٤)</sup>  
وصيروا الأبرج النابيا مرتبة ما كان متقابا أو غير منقلب<sup>(٥)</sup>  
يقضون بالأمر عنها وهي خائفة ما دار في نكث منها وفي قطب  
لو بئست قط أمرا قبل موقعه لم نخفي ما حل بالأوثان والصلب  
البريد :

نقل المباشيون عن القوس نظام البريد ورسلى البريد ، وكان رسل البريد ميمون  
الحليفة في الآفام والولايات .

(١) ييض الصفايح : المراد العيوف

(٢) شهب الأرماع : أسننها . السبعة الشهب : زحل والمخترى والمرخ والسوس والزهرة  
وعطارد والشمس . المحبس : الحبش

(٣) التخرس : الكذب . النج : حجر صلب يلبث في روس الجبال تنفذ منه النسي . القربى  
شجر يلبث على الأنهار ليست له قوة .

(٤) دغها : دامية . كانوا قد زعموا أن خلوع ذلك الكوكب فتنة عظيمة وتنبئ وملا

(٥) مرتبة : بكسر التاء أى مبدرة . الأبرج لسيا . بروج السماء التى أوفى الخلق وأخرها

## الفصل الثالث

### أثر الفرس في التقاليد

حرص الأمويون وولانهم على الصهنة العربية ، فكان تأثرهم بالفرس والروم إلى الحد الذي لا يفهم إلى أن يكونوا أشبه بهم ، فقد أولم الحجاج في ختان بعض ولده ، فسأل بعض المهاجرين من ولانهم الفرس ، فقال له الدهقان : شهدت بعض مرازية كبرى وقد صنع لأهل فارس صنيعاً ، أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة الفضة ، أرباباً على كل واحد ، ونحمله أربع وصائف ، ويجلس عليه أربعة من الناس ، فإذا طعموا منهوا المائة بصحافها ووصائفها<sup>(١)</sup> . فلم يوجب الحجاج هذا النظام الفارسي وقال : يا علام ، أتمر الجُرُز ، واطعم الناس وهذا يدلنا على أنه أراد أن يولم على طريقة العرب التي ألغوا وألغوها ، وأن يعتمد من هذا السرف الفارسي .

لكن العرب جعلوا يتأثرون التقاليد الفارسية شيئاً بعد شيء ، حتى جاء العصر العباسي ، فنظم تأثرهم ، ونقلوا من الفرس كثيراً من عاداتهم ووسائل رفهم ولهموم ومجوسهم .

#### العروز والمهرجان :

١ - النيروز كلمة فارسية معناها اليوم الجديد ، وموعده الأيام الحقة الأوائل من أول شهر في سنتهم الشمسية ، وهو يوافق ٢٤ من تشرين الأول ، ويوافق شهر بابه القبطي ، أي يوافق أول الربيع . واليوم السادس من أيام النيروز يسمى النيروز الكبير لأن الأكامرة كانوا ينصرفون فيه إلى مجالس أنسهم مع خاصتهم .

والنيروز أعظم أعياد الفرس وأجاسها ، ويتميز على عيد المهرجان بأنه استقبل السنة ، وانفتاح جبابه الخراج ، وزمن تولية الهال واستبدالهم وضرب الدرام

والدنانير ، وذكى بهوث النيران ، ورش الناس بعضهم بمضايا الماء ، وتقرب  
القربان ، وإشادة البهتان ، وما أشبه ذلك <sup>(١)</sup> .

وقد كان الملك الفرس نظام معين في النيروز ، يجلس الملك في اليوم الأول ،  
فيقابل الناس ويحسن إليهم ، ويجلس في اليوم الثاني إن لم أرفع مرتبة وممهايين  
وأهل البيوتات ، ويجلس في اليوم الثالث لأشاورته ... ثم يختص ولده وصائمه  
باليوم الخامس ، فيصل إلى كل واحد منهم ما يستحقه من رتبة ونسك . ثم إذا كان  
اليوم السادس توترز لنفسه ، ولم يصل إليه إلا أهل أسسه ومن يصاح ظنونه <sup>(٢)</sup> .

أما للمهرجان فهو الأيام الستة الأوائل من أول شهر رمهرماه ، وهو يوافق  
أول الحريف ، ويسمى اليوم السادس منه للمهرجان الكبير .

فالنيروز يستقبال الربيع ، والمهرجان يستقبال الحريف .

كان ملوك الفرس يأثرون بإخراج ما في خزائهم في النيروز والمهرجان من  
ملابس فخرى كالها على بطامة الملك وخاصته ، ثم على بطامة البطانة ، ثم على سائر  
الناس على مراتبهم <sup>(٣)</sup> . . . وكانوا يقبلون الهدايا في الميدين من طبقات شتى  
« والسنة في ذلك أن يهدى الرجل ما يحب من ملوك إذا كان في العاقبة السالية ،  
فإن كان يحب مسكا أهدى مسكا لا غيره ، وإن كان يحب عنبرا أهدى عنبرا ، وإن  
كان صاحب بزة أهدى كسوة وثيابا ، وإن كان الرجل من الشهبان والفرسان فالسنة  
أن يهدى نشابا ، وإن كان من أصحاب الأموال فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة ،  
وكان الشاعر يهدى الشعر ، والطبيب الخطبة ، والديم التهمة والطرفة ... وعلى  
خاصة نساء الملك وجواربه أن يهدن إليه ما يؤرنه <sup>(٤)</sup> » .

٢ — تأثر العرب بالفرس فحسا كرم في الاحتفال بالنيروز والمهرجان ، ويظهر  
أن ذلك بدأ منذ العصر الأموي ، لأنهم يذكرون أن الحجاج ابن يوسف أول

(١) التاج للجاحظ ١٤٩

(٢) الآثار الباقية للبيروني ٢١٨

(٣) التاج ١٤٩

(٤) التاج ١٤٦

من رسم هدايا النيروز والمهرجان في الإسلام ، ثم أطلها مهر بن عبد العزيز إلى أن أحادها أحمد بن يوسف الكاتب في المعصر العباسي الأول .

أما في المعصر العباسي فقد شاع الاحتفال بهذين الميدين ، حتى إن ، الخلفاء كانوا يجلسون فيهما لتقبل التهنئات واستماع مدائح الشعراء . وكان عبد الله بن طاهر يفرق مائتي خزانة من ملابس على خاصته وعلى معاونيه ثم على سائر الناس ، كما كان يفضي الأكرسة ، حتى لا يترك في خزانته ثوباً واحداً وهذا من أحسن ما يذكر من فضائله (١) .

وسار من الشائع في قصائد الشعراء التعبير عن الربيع بالنيروز ، قال البحتري في مدح المهيم القنوي :

أناك الربيع العلق يخال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلم .  
وقد نبه النيروز في غنى الدجى أوائل ورد كن بالأمس يوماً (٢)  
وقال عبد الصمد بن بابك يمدح صاحب بن عباد :

لقد نشر النيروز وشيا على الربا من النور لم تظفر به كف راقم  
كأن ابن عباد سق الزن نشره فجاء برشاش من النور ساجم  
وقال ابن الرومي في تمثله عبيد الله بن عبد الله يوم المهرجان :

ما رأيت مثل مهرجانك هنا أزد شير ولا أنو شروان  
مهرجان كأنما صدورته كيف شامت مخيرات الأمان  
ثم جمل يصف الاحتفال والنساء والقيان .

الترف :

حاكي الخلفاء العباسيون الأكرسة الفرس في الترف والسرف ، فكان عرش للمهدي يوم ييمته مكللاً بأنواع المولود واليانوت ، وعلى رأسه قبة من الذهب ،

(١) انتاج ١٤٩

(٢) ديوان البحتري ٢٣٤



وحوله غلامان ملتصقان بالذهب يحملان سفلتين من الريش مرفوعتين على رجليين  
مسكوبين بمرق الذهب ، يتدلى منهما اليافوت والبرجد والغيروز ، وعلى يمين الرش  
ذهب مزخرف بالجواهر والدجاج .

وكان الرشيد ينفق على طعامه كل يوم عشرة آلاف درهم ، ويقدم له ثلاثون صنفاً  
من الطعام

ولا تزوج زبيدة كانت هباته أو أنى من الذهب مملوءة بالنقصة وأوانى من  
النقصة مملوءة بالذهب وتوافج المسك :

وفد كان عرس المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل مظاهراً صارخاً للسرف  
والترف ، قالوا إن المأمون أعطاها ليلة زفافها ألف حصاة من اليافوت وأوقد شموع  
المنرى في كل واحدة مائة من ... وهو رطل وثلاثون - وسط لها فرشاً كان منسوجاً  
بالذهب مكللاً بالذهب واليافوت . وكان الوزراء - ولا سيما البرامكة - يتشاورون في  
الترف ومظاهر الدعة والترف ، فقد أثر الحسن بن سهل على الطبقة الأولى من حاشية  
المأمون ليلة زفاف بنته بوران بنادق المسك ملثثة على الرقاع بالضياع والمقام مرفوعة  
إن تقع في يده أو يملك ما كتب بها ، وفرق على الطبقة الثانية بدر الدمانير في كل  
بكرة عشرة آلاف ، وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك . (١)

وقد حكوا عن خالد بن يحيى أنه لم يكن له جالس إلا وقد بنى له داره أو اشترى  
له ضيعة ، أو وهب له أمة أو أدى عنه مهر زوجة أو منحه دابة . (٢)

وليس أدل على أن الانطلاق في ميدان السرف كان من نتائج الحضارة والتأثر  
بالفرس وغيرهم من الهج ، من أن العرب في البداية عاشوا وهم يحملون هذه المظاهر  
يدل على ذلك أن ناهض بن ثومة السكلاي - وهو شاعر بدوي كان يحيا في  
المصر النباسي - تحدث أنه وفد على حباب ، فر بقرية رأى بها دوراً متبانية ، وناساً  
يقبلون ويدبرون عليهم ثياب نحرى ألوان الزهر ، فقل في نفسه : هذا أحد الميدين  
الأضحى أو الفطر ، ثم ثاب إلى ما عذب من معة ، ثم أماء رجل فآخذ بيده ،

(١) - مقدمة ابن خلدون ٢٤٤

(٢) - الوزراء والسكاب ١٧٣

وأدخله داراً فوداه ، بها شاب يتدلى شعره على منكبيه ، والناس حوله ضامطان فقال في نفسه : هذا الأمير الذى يحكى لنا جلوسه للناس وجلوسهم بين يديه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فغضب رجل يده ، وقال اجلس ، فإن هذا ليس بأمر قال : فن هو ؟ قال له : عروس - فقال ناهض : وانسكل أماء ، رب عروس رأيته بالبادية أمرون على أمه من أحقر شيء <sup>(١)</sup> قال ناهض ثم دخل رجال يحملون هئات مدورات ، وضوها أمامنا وتحملن القوم عليها حلفاً ، ثم جاءوا بخرق بيض ألثوها بين أيدينا فظننهن نيايا ، وسمعت أن أسأل القوم منها خرفة ، أعطاهن قيساً ، فلما بسطوا القوم بين أيديهم إذا هم يتمزق مربعا ، وإذا هم فيا زعموا صنف من الخبز لا أفرقه ، ثم أتينا بطعام كثير بين حلو وحامض وحار وبارد ، فأكثرته منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من النخم والبشم ، ثم أتينا بشراب أحمر فقات لأحاجة لى فيه ، فإن أخاف أن يقتلنى .. ثم هجم علينا شياطين أربعة ، أحدهم قد هلق في عنقه جبهة فارسية مستنجة الطرفين دقيقة الوسط مشبوعة بالخطوط شبيهاً مذكراً ثم بدر الثانى فاستخرج من كفه هنة سوداء وضما في فيه وحرك أصابعه على أحجرة فيها فأخرج منها أصواتاً عجبية ، ثم بدأ نالك يصفق بمزمارتين معه ، فغاط بصوته ما يمله الرجلان ، ثم جعل الرابع يغفر كأنه يشب على ظهور المقارب ، ورأيت اللوم يحذفونه بالفرام ...

ثم جاء شاب بخشبة هيئتها في صدرها بها خيوط أربعة ، استخرج من خلالها هوداً فوضه خلف أذنه ، ثم مرك آذانها وحركها بخشبة في يده ، فنطقت وإذا هم أحسن قومة رأيتهما ، وغنى عليها فأطربنى حتى استغفنى من مجلسى ، فوثبت فجلست بين يديه ، وقلت : بأبى أنت وأبى ما هذه الدابة فالتت أعرنها للامراب وما أراها خلقت إلا قريبا فقال : هذا البربط . فقلت : بأبى أنت وأبى ، فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير . قلت : فما الذى يليه ؟ قال : المثنى . قلت : فالتاك ؟ قال : التاك . قلت : فلاملى ؟ قال : البم . فقلت : آمنت بالله أولا وبك ثانيا وبالبربط ثالثا وبالبم رابعا <sup>(٢)</sup>

(١) أحقر شيء عوض عن التعبير الأصل الذى آثرت إغفاله .

(٢) الأمانى ١٢ - ٢٦

### الجواري :

شرقت النصور بالجوارى من أجناس شتى ، وكان المنصر الفارسى أكثرها عددا ونسباً هؤلاء الجوارى للعرب ، وكثر نساكن ، حتى أن أكثر خلفاء بنى عباس من أمهات غير عربيات ، وتنامى العرب فى العصر النبائى ما جرى عليه بنو أمية من زراية بأبناء الأماء .

ولا شك أن نظام الترسى كان عظيم الآثار فى الحياة الأسرية وفى الحياة العامة وقد سبق أن الفرس عاضدوا المأمون على أخيه الأمين لمدة بواحد ، منها أن أمه فارسية .

### الفناء :

قلنا أن العرب عرفوا فى جاهليتهم الفناء الفارسى وبعض آلات الموسيقى ، لكن هذه المعرفة كانت سطحية محدودة .

أما فى العصر النبائى فقد تنوعت المعرفة واتسعت وعمقت ، فزدهر الفناء ، وتطور وارتفعت الموسيقى ، وتنوعت الآلات وزعم المنزى فى أول الدولة النبائية فارسىان هما إبراهيم الموصلى وابنه اسحاق ، وكانا يجسمان إلى غنائهما المطرب الشعر والظرف وتعليم الجوارى الفناء ، واقضى بهما من بعدهما من المنزى .

وكان ملوك الفرس يحتجبون عن الندماء فى مجالس الامور ، فحاکم خلفاء بنى عباس ، فكان أبو عباس السفاح ينظم لندماء فى أول خلافته ، ثم احتجب منهم ، وكان يطرب ويصيح خلف الستارة ، ويقول للمنى : أحسنت والله ، أهد هذا الصوت .

كذلك كان أبو جعفر النصور لا يظهر لندماء ، بل يجلس وراء الستارة ويسمع الفناء .

وكان للمنزى شأن رفيع فى الدولة ، لأن الخلفاء والأصهار مشغوفون بالفناء ولأنهم يحاكمون الآكسرة فى قلوبهم .

وقد جعلهم الرشيد طبقات كما جعلهم أردشير بن بابك وأنوشروان ، فكان

إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع وزرل في الطبقة الأولى ، وكان سليم بن سلام  
السكوفي ومرو الفزالي في الطبقة الثانية ، وكان المازفوني في الطبقة الثالثة .

وقد كثرت الجوارى المنيات بالكوفة وبفداد وغيرها ، وأثن يوشن لرواد  
البيت والمجون ، وتوافد ملهين شبان القهر والحلاعة ، وليستمتوا بالاداءات مطبوعين  
الآراء الجديدة التي نشرها ابن المنعم وأمثاله وهي في جملتها تدعو إلى التحلل من  
الدين ، والجراة على حرمانه ، وتصور الاستمتاع بالملذات المحرمة صورة مباحة  
لا اثم فيها .

وغلا بعض الأرباب في تقدير أثمانهم ، حتى إن جعفر بن سليمان اشترى جارية  
بمائة ألف درهم ، وصالح بن علي اشترى أخرى بثمنين ألفاً<sup>(١)</sup> .

وما من شك في أن التفاه والموسيقى والغر والذيان كان أرها عريقا في الأدب  
وفي أخيلة الشعراء ، وحسبنا أن كثيراً من الشعراء أغرموا بالمنيات أو تنزلوا بهن ،  
كما قال ابن الرومي في وحيد المنية<sup>(٢)</sup> .

با خليلي تيمني وحيد	قفزادي بها مضي مهيد
غادة زانها من الذنن قد	ومن الطلي مقائمان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الحد	بن ذاك السواد والتوريد
فهي برد بمخدها وسلام	وهي لفاشقين جهد جهيد
مالها تصالبها من وجنتها	فأبر ترشاف ريقها تبريد
وغرير بحسها قال : صدها	قلت : أمران : بين وشديد
يسهل القول أنها أحسن الأشياء طرا ،	وبصمب التحديد
تتجل لفاظربن إليها	فتحق بحسها وسعيد
طبية تسكن القلوب وترما	ها ، وقربة لها تفريد
تنفسي كأنها لا تنفي	من سكرن الأوصال وهي تجيد
طاب فرما وما ترجع فيه	كل شيء لها بذلك شهيد

(١) الأمان ١٣-١٢٨

(٢) الميزان ٩٨

في هوى منهاها يخف حلم راجع حله ، ويثوى رشيد  
\* \* \*

وحسان عرض لي قات : مهلا من وحيد ، غنما التوحيد  
حسنها في الميرون حسن جديد فما في القلوب حب جديد  
الجزر :

انسمت الحضارة : واستفاضت الرأى ، واشتدت غلطة العرب لافرس وغيرهم  
وكانت نظر بالعراق خاصة كثيرة متنوعة ، وكانت حاجاتها متعددة ، فاستمر بها  
كثير من الناس ، وكاف بها بعض الشراء كأي ناس ، حتى قال فيها آلاف  
الآيات ، وحتى افتتح مغربيات كثيرا من قصائده ملامن انزل وبكاء الأطلال ،  
وسائقين هذا من الفصل الذي عقدناه لتثير الفرس في الأدب العربي .

#### اللسان والخشوع :

كان الفرس يستكبرون من الفلاني في ضرورهم ودورهم ، ويستخذونهم في  
أغراض شتى ، ويزينونهم بما تزين به الذات ، فحكاكم العرب في ذاك ومن اللسان  
طائفة غشوة انتشروا في الكوفة أول الأمر منذ استقلت بجند خراسان الذين ناصروا  
بني العباس ، إذ كان الجند قد اضعفوا منهم الخشوع لاستخدامهم ، جربا على تقليد  
فارسي قديم لأن كل ما نرى كان يسطع غلاما أورد ، ويستخدمه في شؤنه .  
وكان للمخشعين بالكوفة مغهران بناهيان الأخلاق العربية : أحدهما التشبه بالنساء  
في اللبس والمخاض وترجيح الحواجب وإطالة الشعر والنعل بالذهب ، والآخر  
تفنيهم بالشعر الفاجر الماخن في غير تخرج أو استعجاب من الناس<sup>(١)</sup> .

#### الأرباب :

كان من النظم الفارسية أن يلبس أهل كل طبقة لبسة خاصة بهم لا يلبسها غيرهم  
فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف من زيده مناعته وطبقته ، وكان الكتاب يلبسون  
زهم المقصور عليهم<sup>(٢)</sup> .

(١) الأمان ٤-١٦٩

(٢) الوزراء والكتاب ٣-٤

وفي العصر المأمي تمددت الأزياء مشاككة للوطائف والطبقات ، كما كان الفرس يفعلون ، وتزيأ بعضهم بلباس فارسية .

لبس الخلفاء المأم على الفلانس ، ولبس القضاء الفلانس السكهار ، ونوع السكهار الهامة ، وجملوا لها أحجاماً تطابق مكانتهم الاجتماعية كما كان الفرس يفعلون ، فلخلفاء ممة وللقضاء ممة ، وللأعراب ممة ، وللبالين ممة ، وللقضاء زى ، ولشرطة زى ، ولكل طبقة من أصحاب السلطان زى<sup>(٢)</sup> .

وقيل إن المنصور كان أول من لبس القلندرة وتدل بعض النقود الى ضربت في عهد المغول على أنه كان يرتدى اللباس الفارسية .

## الفصل الرابع

### أثر الفرس في الزندقة

١ - دخل الفرس في دين الله وحذقوا اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتفوقوا فيها ، لكن آثار دينهم القديم وعاداتهم لم تزل عالقة بنفوسهم ، فأثرت أحيانا كثيرة في عقائدهم وعاداتهم الجديدة دون قصد منهم ، وبقيت آثار لنفوسهم وآدابهم كامنة في صدورهم ، أو مدونة في بعض كتبهم ، أو متداولة فيما بينهم في خفواتهم ، فلما قامت قوتهم ، وثائق نجمهم ظهر ما كان خافيا ، وحاولوا إعادة مجدهم وإحياء علومهم وآدابهم <sup>(١)</sup> .

ذلك أن كبارهم ومتفقيهم لم يغمضوا بانتقال الملك من بنى مروان إلى بنى العباس ، ولم يكفهم ما نالوا من فقر وسياسي في الدولة الجديدة ، فطمعوا في أن يكون لهم ملك فارسي في مظهره وفي حقيقته ، ملك يستردون فيه سلطانهم واثمهم ودينهم ، وكانت وسائلهم إلى تحقيق أمانيهم تعتمد على الأفلام تارة وعلى الأسس تارة وعلى الثورات والحروب تارة ثالثة .

من هذه الوسائل حاولتهم إضمار الإسلام بنشر الزندقة المستمدة من ديانات الفرس القديمة زارشتية ومانوية ومزدكية .

وأغلب الظن أن المانوية كانت أكثرها تأثيراً في عقول بعض الناس وتلجهم في العصر العباسي ، وقد سبق في التعريف بالمانوية أنهم دوة إلى الشك في الدين والقرآن في المدل والامتناع من الزواج والنسل ، لأن العالم شر ما دام الظلام مخمرا بالنور ، فوجب أن يبنى هذا العالم ، ليعود النور إلى صفائه ، ومن تلجهم السكف من ذبح الحيوان حاة له من الألم ، ومن جربة يدينون بأن أعمال البشر صادرة من إله الظلم أو من إله الشر أو من النور أو المظلمة <sup>(٢)</sup> .

(١) قصة الأدب الفارسي ١٠٦ حامد عبد اللطيف

(٢) الفهرست ٤٧٢ والحيوان ٤٤١/٤

وإذا كان بهرام بن هرم قد قتل ماني وصاحبه في القرن الرابع الميلادي وتغلب أتباعه بالقتل ، فإن بعضهم فروا إلى بلاد الترك ، وما زالوا هناك إلى أن فتح العرب فارس ، فسادوا إلى إيران ، وظهروا في عهد الدولة الأموية بالعراق والكوفة خاصة ، يدل على هذا أن والي الكوفة خلدًا القشيري ( ١٠٥ - ١٢٠ هـ ) كان يتمقب للمأوية والزنادقة والمجان ، حتى إنه حرم الفناء ، لأن مجالسه كانت عبارة لفسوق ، ثم أباحه بعد أن اشترط ألا يحضره سفيه أو هريد<sup>(١)</sup> .

ثم تَكَثَّرُوا في النصر الباسي بأماكن شتى . فكان في بغداد وحدها حوالي ثلاثمائة من المأوية في عصر ابن النديم ( القرن الرابع ) وجملوا بنشرون مذهبهم ويصرون إلى الإسلام سبائهم ، سكن خلفاء بني عباس جدوا في تنقيحهم وجدوا في التشكيل بهم ، وشجعوا العلماء على محذلتهم والرد عليهم ، كالصور والهدى والمهادي والرشيد والمأمون واختصم وكأو لا يترددون في الفتنك بمن تثبت إدانته منهم .

ولقد استحدثت الخليفة الهدي ( ١٥٨ - ١٦٩ هـ ) منصباً جديداً لمطارفتهم هو منصب ( صاحب الزنادقة<sup>(٢)</sup> ) ولم ينس أن يوصي ابنه الهادي بقوله : يا بني إن سار لك الأمر فجرد لهذه الصفة - يعني أصحاب سني - فإنها فرقة تدهو الناس إلى ظاهر حسن ، كابتساب الفواض ، والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ، ومن الله الطهور ، وترك نقل الموام تخرجوا ونحوها ، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين أحدهما نور والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبذات والافتسل بالبول وسرقة الأخمال من الطرق لتنفذهم من خلال الظلمة إلى هدابة النور ، فارفع فيها الحشب ، وجود فيها السيم ، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له .

فلما تولى موسى الهادي ومضت من أيامه عشرة أشهر قل : أما والله لنن عشت

(١) الأغاني ٢ - ١١٩ .

(٢) الطبری ١٠ - ١٠ .



لأفتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها شيئا نظرف<sup>(١)</sup> . لكنه مات بعد شهرين من قوله هذا فلم يترك بالمانوية كما أراد .

روى أن أحد المانوية وهو يزدان بن باذان حج ، فنظر المسلمين يهرولون في الطواف فقال : ما أشبههم إلا بيقتر تدرس في البيدر - الجرن - فقال الصلاه بن الحداد وخليفة الهادي :

أيا أمين الله في خلقه ووارث الكمية والنسب  
ماذا ترى في رجل كافر يشبه الكمية بالبيدر  
ويحمل الناس إذا ما سوا حمرأ تدوس البر<sup>(٢)</sup> والدوس<sup>(٣)</sup>

فقتله الهادي وصلبه سنة ١٦٩ .

وكان المؤمنون يتحتمهم بأن يظهر لهم صورة ماني ويأمرهم أن يقتلوا عليهم ويبرأوا منه ، فمن أبي قتله<sup>(٤)</sup> .

وفي أيام الخليفة جعفر القادر بالله ( ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ ) لحق المانوية بخراسان خوفا على أنفسهم ، ومن بقي منهم بالعراق ستر أمره .

٢ - أما كلمة زندقة فقد اختلف كثير من الباحثين في أصلها وفي دلالتها الأولى ، ولعل أقرب الآراء إلى الصواب أنه كان بين طبقات المانوية طبقة تسمى طبقة الساميين ، وهم الأحرار الذين لم يلتزموا تعاليم المانوية القاسية من زهد وتقشف ورهبنة ، وطبقة تسمى طبقة الصديقيين - المخلصين المؤمنين - وهم الذين يلتزمون تعاليم المانوية ، ويؤثرون الزهادة والصيام والتغلب على الشهوات ويتركون اللحم والخمر والزواج ، وكلمة ( صديق ) عربية تستعمل في العبرية بلفظها ومعناها ، وهي بالآرامية والسريانية زديق ، ومن الثابت أن الفارسية الفهلوية تأثرت بالآرامية ، وحرفوها بمض التحريف فخطوها زنديق . ثم نقل العرب الكلمة من الفرس وكسروا الراء اتفنجهم مع كسرة الدال .

(١) الطبري ٤٢/١٠

(٢) الفوسر : مثل الخنفة .

(٣) مروج الذهب ٣/٢٢٢ .

كانت كلمة زنديق تطلق أول الأمر على المؤمن الخالص من أتباع ماني ، لكن الزرادشتيين نظروا إلى المانوية على أنهم ملاحدة خوارج على الزرادشتية ، فاطلقوا الكلمة على كل الملاحدة ، وهذا هو المعنى الذي ما زال يذهبهم من الكلمة في المصور الإسلامية ، كقدي روى عن أبي يوسف : ثلاثة لا يحملون من ثلاثة : من طلب النجوم لم يسلم من الزندقة ، ومن طلب الكيمياء لم يسلم من الفقر ، ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب<sup>(١)</sup> .

٣ - ولقد ظهرت الزندقة في العصر العباسي في مظهرين : أحدهما الزندقة في العقيدة والآخر الزندقة في المنطق والسلوك .

#### الزندقة العقيدية :

أما الزنادقة الحنفيون نعم ائدين كانوا يدينون باله النور واله الظلام ، متأثرين بالمانوية خاصة وبالأزادشتية والزردكية عامة .

وكانوا ينشرون عقيدتهم في أول الأمر سرّاً ، ثم جملوا يذبحونها جهراً في كتب يترجونها ، وكتب يؤمنونها ، وآراء يترجونها في الشعر الرقي الذي يروي ، وأحاديث يفترونها على رسول الله .

وفي أوقات الحرج كانوا جميعاً يمتصون بالندقة ، فينظفون بالإسلام أو النصرانية أو الجوسية ليعلموا من العقاب .

أما في فترات التسامح أو إخفاء أمرهم على الدولة وإعطائهم على أنفسهم فإنهم كانوا يترجون كتباً في الزندقة من الفارسية إلى العربية كما فعل ابن الفقع وأبان اللاحق ، أو يجهرون بمذاهبهم ، ويمثلون فرادى وجماعات مثل بشار وابن الفقع وعبد الكريم ابن أبي الموجاء وابن مناذر وصالح بن عبد القدوس وحماد الراوية وحماد مجرد وحماد بن زرارة ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس .

من هؤلاء الترجمين لكتب الزندقة عبد الله بن الفقع وأبان اللاحق ، وترجم الأول

(١) قصة الأدب الفارسي ٥٩ وطر الإسلام ١٢٧ والنهرست ٤٧٩ .

كتاب مزدك وغيره من كتب المانوية ، ويغال إن زندقته كانت سبب قتله ، قال له والى المصرة . والله يا ابن الزندقة لا حرقتك بنار الدنيا قبل نار الآخرة <sup>(١)</sup> ، وقال الخليفة : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأسله ابن المقفع <sup>(٢)</sup> .

وترجم الثاني عدة كتب منها كتاب مزدك وكتابا من بوذا .

ومن الذين جهروا بمقيدتهم في الشرع بشار بن برد ، فقد روى أنه كان على مذهب الجوس ، وهذا هو الحب في تفضيله النار على التراب ، وتفضيله إبليس على آدم في قوله :

الأرض صافلة سوداء مظلمة والنار مبيدة مذ كانت النار <sup>(٣)</sup>  
وقوله :

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتبصروا يا مشر الفجار  
النار عنصره وآدم طينة والطين لا يسمو سمو النار  
ورد عليه صفوان الأصارى بقصيدة مطلقها :

زعمت بأن النار أكرم عنصرا وفي الأرض تحيا بالحجارة والزند <sup>(٤)</sup>

وزجع أن قضيتهم كانت أحيانا تخفى حقيقة بعضهم على بعض ، يدل على هذا قول أبي نواس : كنت أنوم أن حماد مجرد إنما يرى بالزندقة لمجونه في شمره ، حتى حبست معه في حبس الزنادقة ، فإذا هو إمام من أئمتهم ، وإذا له شمر يقرأونه في سلاتهم <sup>(٥)</sup> . ويدل عليه أن بشارا حماد مجرد بقوله :

يا بن هبى رأسى على ثقيل واحتمال الرأسين أمر جليل

فادع فخرى إلى عبادة ربين فأنى بواحد مشغول  
فقال حماد . ما ينبغي من بشار لا يحمله بالزندقة ، يوم الناس انه يظن ان

(١) الوزراء والكتاب ١٧٠

(٢) وفيات الأعيان ١٨٧

(٣) الأغاني ٣ - ٢٠ والبيان والبيان ١ - ١٦

(٤) البيان والبيان ١ - ٢٧ - ٢٥ .

(٥) الأغاني ١٣ - ٧٤

الزنادقة تبدرأسا ، ليظن الجملة أنه لا يعرف الزندقة ، لأن السامة تقول مثل ذلك ، وهو لا حقيقة له ، وبشار أعلم بالزندقة من ماني<sup>(١)</sup> ويظهر أن الشراء الزنادقة أحسوا بحاجتهم إلى الاتحاد والتآخي لأن العقيدة الشاذة تجمعهم ، ولأن في تأخيرهم نوعا من الأنس والاطمئنان ، فكانوا يهتمون على الشراب للمنادمة وقرض الشعر ، ويكادون لا يفترقون ، وكانوا يتهاجون جادين وهازلين ، ويطرب بعضهم لمجاء بعض ، وأحيانا يتفاسمون مالمهم ، فلا يستأثر أحدهم على صاحبه بمجال ، هكذا كان فضل مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد الحارثي وابن الفقع واليبة بن الحبيب<sup>(٢)</sup> .

وكان حديثهم لا يخلو من مجون وخلاعة وتبرجج للأعراض ، مرمطيع بن إلياس ويحيى بن زياد وعمد الراوية وما يتعاهدان فقال لها : فيم أنما قالا : في قذف المحصنات قال : وهل في الأرض محصنة تقذفها ؟ :

على أنه كان من الزنادقة من أسلم تخلف دينه القديم ورااه ، وكان منهم من تاب وأتاب وصح دينه وتناه ، يمثل النوع الأول عبد الله بن المقفع ، إذ أسلم في أواخر حياته ، وكان إلى لية إسلامه حريصا على أن يبيت لية على دين ، ذلك أنه قضى حياته إلا بضع سنوات على دين آبائه الجوس ، فلما أعزم على الإسلام قال له عيسى ابن علي بن أبي طالب الخليفة المنصور : ايسكن إسلامك في مجتمع من القواد ووجوه الناس ، فاحضر غدا . وفي عشية اليوم نفسه حضر طعام عيسى ، فجلس يأكل ويرزمز<sup>(٣)</sup> على عادة الجوس فقال له عيسى أنزلم وأنت تمزم الإسلام في الندوة فقال أكره أن أبيت على غير دين . وما من شك في أنه قبل أن يسلم كان مجوسيا وكان بيت الجوسية فيها يترجم ويؤلف من كتب ، لكنه بعد إسلامه لم يعرف منه شيء من هذا القبيل . فلعل الهمة جائرة أربدها التكبيل به لأن لها سندا من ماضيه أدى انفصل عنه ، ومن شأن التهم ألا تفرق بين ماض وحاضر وألا تتبين أو تتحرى .

ويمثل النوع الثاني : أبو العتاهية ، فقد كان في حياته الأولى زنديق العقيدة ، ثم

(١) الأغاني ١٣-٦٦

(٢) الأغاني ١٢-٦٧

(٣) الزمزمة : صوت يسمعه الجوس عند تناول الطعام أو حين الاعتدال ، لا يستعملون فيه الشفقة ولا اللسان ، ولما يدبرونه في حلوتهم فقههم بعضهم عن بعض .

ندم على ما فرط منه ، وصار من أعلام الداعين إلى التقوى والزهد والخوف من الله ،  
لكن رواسب من مذهبه القديم مازالت تطفو على تسييره ، كقوله :

الخير والشر مزداد ومتقصر      فالخير متقصر والشر مزداد  
فالخير ليس بمولود له ولد      لكن له من بنات الشر أولاد  
ومعنى هذا أن العالم كله شر ، لأن الخير دائماً في قص ولا يدر خيراً على حين  
أن الشر دائماً في غناه ، لأنه يدر شراً ، ثم إن الخير له من بنات الشر أولاد ، وهذه  
خسرة ثانوية .

وقل :

الخير والشر مادات وأهواء      وقد يكون من الاحباب أعداء  
كل له سعيه والسعي مختلف      وكل نفس لها في سعيها شاء  
لم تقتحم بي دواعي النفس ممصية      إلا وبينى وبين النور ظلام  
وهذا صريح في أن أفعال الخير صادرة من النور وأفعال الشر صادرة من الظلمة .  
ويبدو أن أبا الملاء المرى — على أنه لم يتردد — متأثر في بعض آرائه  
بالمثوية — وفيها عناصر يوذبة كما تقدم — كأخذه نفسه بالزهد والمثوية ، ودعوته إلى  
ترك الزواج والتناسل وامتناعه من أكل الحيوان وما ينتج منه ونظرته إلى العالم على  
أنه شر يجب الخلاص منه ، من هذا قوله إن العالم مجبول على الأذى والشر :

وقائدة النوم الخروج بأهله      من عالم هو بالأذى مجبول  
وقوله ليت الناس لم يخلقوا :

خير لآدم والخلق الذي خلقوا      من ظهروه أن يكونوا قبل ما خلقوا  
وسخطه على الحياة وتمحيها في قوله :

أصاح هي الدنيا تشابه ميعه      ونحن حوالها الكلاب النواج  
فن ظل منها آكلا فهو خامر      ومن راح منها ساغبا فهو راج  
ونصحه بترك الزواج والتسل :

نصحتك لا تنكح فإن خفت ماثما فأعترس ولا تنسَلْ فذلك أحزم  
ونهيهِ من أكل السمك واللحم والبيض والطيور وعسل النحل وشرب اللبن  
لأن ذبح الحيوان ظلم ، واغتصاب نقاجة ظلم :

لا أجمع الأم في الرضيع ولا أشرك هذا الثريد في الدين  
واعفائه الجبر في قوله :

ما يختار ميلادي ولا هري ولا حياتي ، فهل لي بعد تغيير  
الزندقة الشكالية :

وكان من أثر الزندقة أن كثُر الجبان والخلفاء ومن لا يرمون حرمان الدين  
وإن لم يترددوا ، وأطلق عليهم الزنادقة ، كإبراهيم بن سيار ، فإنه كان يروى بالزندقة ،  
ولم يعرف عنه قول في الدين ، وأما روى أنها خللا عنه وبجونه ، وكأدم حفيد عمر بن  
عبد العزيز ، كان ماجناسكيرا ، يروى عنه قوله :

استقي واسق غصْبِنَا لا نبع بالقد دينا  
استقيها مزة الطمم تريك الشين زينا

فضربه المهدي ثلاثمائة سوط على أن يقر بزندقته فقال : والله ما أشرك بالله  
طرفة عين ، ومتى رأيت قرشيا زندق ؟ لكنه طرب غابى ، وشرط فح على قلبه ،  
وأنا فتي من قريش ، أشرب النبيذ وأقول ما قلت على سبيل الجون ، ثم هجر الشرب  
والجون<sup>(١)</sup>

ومن هؤلاء أبو نواس ، وله في الجرأة على الدين شهرة وضروب كقوله :  
بكرت على تلومني فأجبتها أنى لأعرف مذهب الأبرار  
فدمي اللام فقد أطعت غوايتي وصرفت معرفتي إلى الانكار  
ورأيت اتيان الذنابة والهوى ونمجا من طيب هذى الهاد  
أحرى وأحزم من تنظر آجل على به دجْم من الاخبار

مأبداً أحـد يخبر أنه في جنة مَنْ مات أوفى النار  
كذلك من آثارها أن آخذ بعض الناس من المظاهر بهذه العلامة وسيلة  
لوصفهم بالظرف ، وأن لم يكونوا من الزندقة الدينية في شيء ، كـ محمد بن زياد ، فقد كان  
ينظرهم بالزندقة نظراً ، فقال فيه الشاعر<sup>(١)</sup>

يا بن زياد يا أبا جعفر أظهرت دينا غير ما تُخفي  
مُزَنَّق الظاهر باللفظ في باطن إسلام فتى مف  
لست بزنديق ولكننا أردت أن توسم بالظرف

٤ - هل أن الجون لم يكن طابع العراق ، والزندقة لم تسكن لتقرب من أن  
تكون مرضاً شبه عام وإنما كان الجون محدوداً في دائرة خاصة ، وكانت الزندقة  
العقيدية سمة أحاد وبضع عشرات من الناس ، أكثرهم من نسل الفرس ، ولولا  
قلة عدد الجان والزندقة ما سجلت الكتب أسماءهم وأحاديثهم ، فن الخطأ أن نصم  
العراق في العصر العباسي بأن الجون طابعه أو بأن الزندقة شامره .

وكيف نفعل عن جمرة الشعب ، وهم مؤمنون حراس على دينهم وهل من  
الانصاف أن تتناسى مقب الدولة أيام وتقبلها من تثبت زندقته ؟ ثم كيف تتناسى  
عن جمرة العلماء وهم أصحاب جد وورع سواء منهم علماء الدين أو علماء الفقه والأدب .

وهل من المقول أن تناسى المعتزلة وهم الذين وقفوا للزندقة واللاحدة بالمرصاد ،  
يفسدون عليهم تديريهم ، ويردون إليهم أضاليلهم ، ويدفعون عن الإسلام بأفلامهم  
والسننهم ؟ ولهم مؤلفات شتى في أبطال ما كانت ترجف به الجهمية والرافضة  
والثنوية والدهرية ، وطالما ناظروا الزنادقة وأبطالوا دعاوهم ، كما يحدث التاريخ من  
واصل بن عطاء ، وفيروى عمر الباهلي أنه أطلع على الجزء الأول من كتاب ( الآف  
مسألة ) الذي ألفه واصل لارد على المانوية<sup>(٢)</sup> ، وتقول زوجة واصل أنه كان إذا جن  
الليل صف قدميه لاحتلاة وأماه لوح ودواة ، فإذا مرت آية فيها حجة على مخالف

(١) الأغانى ١٧-١٥

(٢) المنية والأمل للرفضى ٢٠

جلس فسكتها ثم هاد إلى الصلاة<sup>(١)</sup> ، وكان أبو الهذيل الملاف قد ألف ستين كتابا في الرد على الزنادقة<sup>(٢)</sup> . كذلك حمل عليهم الجاحظ وناقشهم وفند مزاعمهم في كثير من كتبه ورسائله . ولم يكذب المتدينون من العلماء بالناقشة والرد وإبطال أراجيف الزنادقة ، بل حرصوا على قتلهم فهذا واصل بن عطاء يرمى بقتل بشار في قوله : أما لهذا الأعمى الملحد الشنف المكنى بأبي مماذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن النيلة سحجية من سحايا الغالية لمست إليه من يبيع بطنه في جوف منزله<sup>(٣)</sup> .

كذلك عرف العصر العباسي كثيرا من المتصوفة ، وكان لا تصوف فيه شأن عظيم والمتصوفة أبعد الناس من المجون وعن الزندقة .

على أن العراق وبخاصة بغداد والكوفة والبصرة كانت عامرة بالأحناف والحنابلة وهم ثقافة حادة الدين ، وكان الحنابلة يتشددون في مقاومتهم للمفكر ، ويتكلمون بالخارجين على الدين ، وليس من الحق أن نصف عصرنا بالجد الطلق ، ولا أن نعم عصرنا باللهو المطلق ، ولا من الحق أن تصور مجتمعا مما يصيغه نفرته ، ولا هذا تميم لا يصح أن يتجاوز نطاق التخصص ، وهؤلاء الدهر الذين اشتهروا في العراق بالزندقة عقيدية وشكلية مالم إلا قلة في مجتمع كبير ، قلة منحرفة في كثرة لإنشأ كلهم في الدين والاخلاق والزعمات .

وهل من الصواب أن نصف مجتمعا المعاصر بالمجون والخلاعة لأن نقرأ من الناس يشربون الخمر ويأكلون اللحم ، ويخادنون ويرافقون ويرتكبون ما بأباه الدين ؟ .

كذلك من الظلم لمجتمع العراق في العصر العباسي أن نصورة مجتمعا منحللا ، إباحيا مستهينا بالدين ، حتى في بغداد نفسها ، كما صورته الدكتور طه حسين في كتابه حديث الأرباب .

الحق أن العصر العباسي كان ذا أنوان وزعمات شتى ، وفي بغداد نفسها كان الاتحاد والمجون والزندقة أنصلا لها لوبا وأقلها عددا ، ولكن شذوذها كان السبب في شهرتها ومعرفتها أصحابها ، لأنها خرجت على المألوف ، ومصادمة للمجتمع ومن شأن الشاذ أن يذيع ويشتيع .



## الفصل الخامس.

### أثر الفرس في الشعوبية

مقدمة :

أقبل الفرس على اعتناق الإسلام ، وجعل إقبالهم يتزايد عاما بعد عام ، حتى جاء العصر الأموي وأكثرم مسلمون . وكانوا يعيشون مع العرب ويختلطونهم ويرتبطون بهم برابطة الولاء<sup>(١)</sup> ، وكان عددهم كبيراً منذ القرن الأول للهجرة يدل على هذا أن الموالى بالكوفة كانوا أكثر عدداً من العرب ، وكان أكثرهم من الفرس الذين قدموا إلى الكوفة أمري حرب ودخلوا إلى الإسلام ، ثم أعتقهم مالكوم العرب ، فكانوا موالى لهم ، ويدل على هذا أن عدد القتل في موقعة الحرة من الموالى — فرس وروم وفيرم — بلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة ، على حين كان قتل الأنصار نحو ألف وخمسمائة ، وقتل قريش كذلك<sup>(٢)</sup> .

هؤلاء الموالى وبخاصة الفرس حنقوا على العرب عامة وعلى بني أمية خاصة ، أما حنقهم على العرب فراجع إلى أن العرب قوضوا دولتهم ، واحتلوا بلادهم ، وجعلوهم أنبياءاً لهم ، ثم استعملوا عليهم .

وكانت أبرز ضروب الاستعلاء واضحة في أعمال بعض الحكام والساسة ، وبعض العرب الذين ما زالوا متمسكين بطابع الجاهلية .

---

(١) قد يكون الولاء نتيجة للثنى فينسب إلى سيده الذي أعتقه أو إلى قبيلته ، وقد يكون نتيجة لسلام أعجبي على يد عربي فاعده على أن يكون مولى له ، وقد يكون ثمرة لإسلام الأعجبي مطلقاً سواء أكان عبداً لعربي أم لا وسواء أسلم على يد عربي أم لا ، لهذا سمى الأعاجم بالموالى ، لأن العرب فتحوا بلادهم عنوة وكان لهم استرقاقهم ، فإذا تركوهم أحراراً خسبناهم عنقوهم ، فالموالى إذن هم المعتقون .

(٢) أدب السياسة في العصر الأموي ٤٣٦

وقد تعددت مظاهر هذا الاستعلاء ، فكان منها ترفع العرب عن تزويج بناتهم  
لذين أسلموا من فرس وروم ، خطب أحد الموالى بنفاً من أعراب بني سليم وتزوجها  
فغضب محمد بن بشير الخارجي ، ورأى أن هذا عار لحق بالعرب فركب إلى والي  
الديعة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وشكا إليه ، فأرسل الموالى إلى الزوج ، وفرق  
بينه وبين زوجته ، ولم يكتف بهذا ، بل ضربه مائة صوط ، وحلق رأسه ولحيته ،  
وحاجبيه ، وطابت نفس محمد بن بشير بهذا المقاب فقال<sup>(١)</sup> :

قصيتَ بسنةٍ وحكمتَ عدلاً      ولم ترثَ الحكومةَ من بعده  
وفي المائتين للمولى فكالُ      وفي سلب الحواجب والحدود  
إذا كافأهم بينات كسرى      فهل يحمد الموالى من مزيد ؟  
فأى الحق أنصف للموالى      من أضمهر المبيد إلى العبيد ؟

ومن هذه المظاهر احتقار بعض العرب لأبناء الإمام ، فكانوا يصنفون ابن الأمة  
من عربى بأنه هجين ، ومعنى هذا أنه مشوب بالنسب مريب ، لأن المحبنة هي الكلام  
الذى يبيب قائله ، والمحبين القميم ، والعربى للولود من أمة ، أو من أبوه خير  
من أمة<sup>(٢)</sup> .

وكان يدو أمة — والدولة قوية — لا يستغفونهم به بدهوى أن العرب  
لا ترضى أن تخضع لهم<sup>(٣)</sup> ، فلما ضعفت الدولة وهدأت الثورة تولى بعضهم كيزيد  
ابن الوليد ، وأخيه إبراهيم ، ومروان بن محمد ومن عجب أن جهر بتحقير أبناء الإمام  
عبد الملك بن مروان على مصمم من ابنه مسلمة — أمه أمة — وأن غنل بشعر  
يفض من شأنهم ، فرد عليه مسلمة مقملاً بشعر يرفع من أقدارهم ، فسر عبد الملك ،  
وقبل رأسه وأمر له بمائة ألف<sup>(٤)</sup> . وبإغ التمسب بنافع بن جبير أنه كان إذا مرت به

(١) الأمانى ١٤ — ١٥٠

(٢) اللسان والقاموس مادة هجن .

(٣) القدر الثريد ٣ — ٢٩٧

(٤) المرأة في الشعر الجاهل للزفاف ١٣٩ و ٤٠٨

جنازة قال : من هذا ؟ فإذا قالوا : قرشى ، قال : واقوماء ، وإذا قالوا عربى : قال :  
وابهرتاء ، وإذا قالوا مولى : قال : هو مال الله يأخذ ما يشاء ، ويدع ما يشاء .  
ويذكرون من نافع هذا أنه قدم مولى ليصل به ، فستل من ذلك فقال : أردت أن  
أتواضع لله بالصلاة خلفه .

وفى المقد الفريد أمثلة شتى على هذه الشاكلة ، كخداء العرب لهم بالأسماء  
لألكنى وكنيتهم من محاذاة العرب فى الصف وهم يمشون ، وإبداهم من الصلاة  
على الميت إذا وجد عرب يصلون عليه<sup>(١)</sup> .

وأما حقهم على بنى أمية بخاسة فرجه إلى أسباب عدة :

١ - أنهم الحكام الذين يمشون العرب المادين على ملك العرس والروم ، وأنهم  
يؤثرون العرب بالولايات والوظائف ، ويحاصونهم بالتقريب والإيثار ، ويقصون  
للموالى من الحكم والتكريم .

٢ - ثم إن بعض ولاية بنى أمية أساءوا معاملة الموالى ، فالحجاج أمر بالأيوم  
الناس فى الصلاة بالكوفة إلا عربى<sup>(٢)</sup> ، ونفى النبط من واسط لما نزل هناك .

٣ - على أن الموالى خشوا على مكانهم وأرزائهم لما هربت دواوين الخراج ،  
والذى بعيننا هنا ما يتصل بتعريب ديوان فارس ، فإن الحجاج لما أمر بتعريبه ضاق  
كتاب الفرس ، كما ضاق من قبلهم كتاب الروم ، وخشوا أن ينضب معين رزقهم  
وأن يفقدوا مظهرهم من مظاهر حاجة العرب إليهم ، فقالوا لصالح بن عبد الرحمن  
— وهو الذى حرب الديوان وكان يعرف ، العربية والفارسية — كيف تصنع  
بدَهْوِيَّه وشَوِيَّه ؟ فقال : أكتب عشراً ونصف عشر . فقالوا له : وماذا تصنع  
بوريد ؟ قال : أكتب أيضاً فقال بعضهم : قطع الله أسلاك من الدنيا كما قطعت أسل  
الفارسية . ثم بذلوا له مائة ألف درهم على أن يظهر عجزه عن تعريب الديوان ، فأبى  
لهذا قال عبد الحميد بن يحيى : « لله در صالح ما أعظم منه على الكتاب » يريد  
الكتاب العرب .

(١) المقد الفريد ٤/٣٦٣ — ٣٦٨

(٢) المقد الفريد ١/٢٠٧

٤ — وقد كان من أسباب كراهيتهم لبنى أمية أن كثيراً منهم كانوا متشبهين  
 منذ عهد علي بن أبي طالب ، وأخذ عديم يتزايد ويتضاعف<sup>(١)</sup> ، فهم يكرهون  
 الأمويين ، لأنهم منقسمون لخلافه وهي في عقيدتهم حق الملوك ، ولعل هذا كان  
 من حوافزهم إلى مؤازرة الثورات والتأرين .

لكن جمهرة العرب لم يقيموا علاقتهم بالمعجم من فرس وفيرم على هذه النمرة  
 بل كانوا يرون في المعجم الذين خفق على بلادهم لواء الإسلام إخرة لهم في الدين ،  
 ولعلمهم وجدوا في هذه النظرة قرينة إلى الله ومثوبة ، ووجدوا فيها امتثالاً لقوله تعالى :  
 « إنما المؤمنون إخوة » وقوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقول النبي  
 صلى الله عليه وسلم : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي  
 إلا بالتقوى » .

ولقد كان لهم أعظم أسوة في معاملة النبي وكبار الصحابة للوالى وتسويتهم  
 بالعرب ، وهم يعلمون أن مرتبة في آخر لحظة من حياته أن سالما مولى خديجة حتى  
 ليهد إليه بالخلافة .

ويعلمون أن جماعة من أصحاب على مشوا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين أعط هذه  
 الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالى والمعجم ، واشتمل  
 من تخاف خلافه من الناس . فقال لهم : أنا مروني أن أطلب النصر بالجور<sup>(٢)</sup> ؟

ذلك أنهم رأوا معاوية يختص أشراف العرب ببطائه ، فأرادوا من على أن يصنع  
 مثله ، ولم يكن على يفضل شرقاً على مشروف ، ولا هربياً على عجمي ، ولا يصانع  
 الرؤساء وأمراء القبائل ، فكان هذا من أقوى الأسباب في تقاعدهم عنه<sup>(٣)</sup> .

وكان أكثر المسلمين لا يحتقرون الموالى ، ولا يترددون في أخذ العلم منهم ،  
 كما أخذوا من الحسن البصرى ، وسعيد بن جببر ، وابن جريج ، وابن سيرين ،  
 وعطاء بن يسار وغيرهم ، وكلهم موال . ويذكر ابن خلكان أن الحسن البصرى كان

(١) أدب السباسة في العصر الأموى للؤلف ص ٣٤ .

(٢) ابن أبي الحديد ١ — ١٨٢

(٣) ابن أبي الحديد ١ — ١٨٠

ينتقد خلفاء بني أمية ، وسبب يزيد بن الملوك ، فجاءه يزيد في رهط من قومه وهم  
أحدهم يقتل الحسن ، فتضرب يزيد وقال : أعوذ سيفك ، فوالله لو فعلت لانتقلبت من  
مناهلنا<sup>(١)</sup> .

## أصدائها في العصر الأموي

حنق الفرس على الدولة الأموية ، لأنها عربية تسكن شتونها إلى العرب ، ولأنها  
لم تنظر إلى الفرس نظرة التقريب والتقدير ، وهجموا من العرب ، لأنهم تمالوا عليهم  
وهجوم أنبأوا وأقل منهم شأنًا وأدنى أصلاً وحسباً .

لكن الفرس لم يستطيعوا في العصر الأموي أن يجهروا بشمويتهم ، إذ كان  
بعضهم يدين للعرب بالسيادة والفضل ، لأنهم أهل الدين ، وكان بعضهم يدأجى ويكتم  
ما بنفسه خشية من العرب ، وإن لم يدين لهم بفضل . وكان من الطبيعي أن ينادى  
بعض الفرس بتحقيق المساواة التي شرعها الإسلام وحققها النبي وخلفاؤه الراشدون .

ثم شرعت أصوات فارسية ترتفع فتقابل نعال العرب بمثله ، وتباهى بماضى  
الفرس وسمة ملكهم وعظمة حضارتهم وبراء بلادهم ، وتميز بعض هذه الأصوات  
بالجراءة على العرب والتنديد بهم في دهر ومواردية .

ويظهر أن شعراء العرب هم الذين بدأوا بالهجوم على المراتى في العصر الأموي ،  
فقد مرت أبيات محمد بن بشير في تحقيرهم ، وأنفته من اسهادهم إلى كل عربي . وفي  
شعر جرير والفرزدق جرح لهم وازدأية بهم<sup>(٢)</sup> .

فلما مضى من عمر الدولة الأموية نحو نصفه ، بدأ نجم الأعاجم يتألق وبخاصة منذ  
عهد هشام بن عبد الملك ( ١٠٥ - ١٢٥ ) وكان لهذا التألق عدة أسباب ، فقد  
اشتهر بالعلم والورع كثير ممن ولدتهم أمهات غير عربيات ، وكان بعض أمراء بني أمية  
من أمهات فارسيات ، كبزيد بن الملوك وأخيه إبراهيم ، وبزيد هو القائل :

أنا ابن كسرى وأبى مروان وقيصصر جدى وجدى خاقان

(١) وفيات الأعيان ٢ - ٤٠٨

(٢) أدب السياسة في العصر الأموي ٤٤٥

ومن هؤلاء الأمراء مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وكان بنو أمية قد بدأوا  
يخففون من زرايتهم بالوالي لأنهم كثرة يخشون منهم على الدولة ولا سيما أنهم ضالعون  
مع الشيعة ، والدموي الشيعة تنتشر في خراسان ، والفرس يهشون لها .

وفي هذا الوقت كان بعض الوالي من الفرس قد أجادوا الشعر العربي كزياد  
الأعجم مولى عبد القيس ، وأبي العباس الأحمي مولى بني النخيل ، ويزيد بن سبته مولى  
ثقيف ، وإسماعيل بن يسار .

وليس من العليبي أن يطلق هؤلاء ما يلقون من تحقير وإيذاء فشرعوا ينفخون  
من أنفسهم ، فيبأهون بمجد الفرس وعظمتهم ، وينددون بالرب تديدا مستورا ،  
ويتهجمون عليهم في ملح خاطف .

والأمثلة على هذا كثيرة ، منها أن هشام بن عبد الملك دعا لإسماعيل بن يسار  
لينشده ، وكان لا يتوقع منه غير المدح ، فإذا به يسمع مباهاة بالفرس كقوله (١) .  
أصلى كريم ومجدي لا يقاس به      ولي لسان كحد السيف مسموم  
أحمى به مجد أفوام ذوى حسب      من كل قرم بتاج الملك مسموم (٢)  
مَنْ مِثْلُ كَسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ      والهرمزان لفخر أو لتنظيم  
هناك أن تصالى تُنَبِّئُ بَأَن لَنَا      جرثومة قهرت همز الجرائم  
فنضب هشام رعبه ، وأمر به فألقى في بركة حتى كادت نفسه تخرج ، ثم نفاه  
إلى الحجاز .

ولم يكن إسماعيل بن يسار يقنع بهذا الفخر وما يمثله ، بل جمل يتهجم على  
الرب كقوله (٣) :

فأركى الفخر يا امام علينا      وأركى الجور وانطق بالصواب  
واسأل إن جهلت عنا وعفكم      كيف كنا في سالف الأحقاب  
إف تروى بنائنا      وتدسون سفاها بئناكم في التراب

(١) الأغاني ٤ - ٤٠٨

(٢) فرم : سيد . مسموم : دموم والمراد متوج

(٣) الأغاني ٤ - ١٢٥

وكان أشعب في السامعين فقال له : صدقت والله ، أراد العرب بقاتهم لنير  
ما أردتموهن له . قال إسماعيل : وما ذلك ؟ قال أشعب : دفن العرب بقاتهم خوفاً من  
العار ، وريتموهن لتسكحن . فضحك القوم ، وخجل إسماعيل . كذلك كان  
يزيد بن شبة يباخر بالفرس كقوله :

ألم تر أننا لما ولينا أموراً خُرِّقَتْ نَوَهِتْ سَدَدْنَا

ولينا الناس أزماناً طوالاً وصنّام وصنّام وقُدْنَا

ألم تر من ولدنا كيف أشبى وأشبينا ، وما بهم قَمَدْنَا

وقد أشد أمام الوليد بن عبد الملك شعرا يفخر فيه بالفرس ، فلم ينكره عليه .

ونلاحظ أنهم كانوا في العصر الأموي كثيراً ما يكتفون بالفخر ، فإذا ما أرادوا

«التمرض» لعرب اتمدوا على السكناية والرمز بهند وإمامة ونحوها .

## أصدائها في العصر العباسي

انتهى العصر الأموي وصوت الموال خافت ، فلما جاء العصر العباسي فإلاصوتهم وذكوى ، إذ اتسع المجال أمامهم ، والطمأنوا إلى حريتهم للكفولة ، واستباحوا تسامح الدولة ، واستمتموا بنفوذ عظيم في قصور الخلفاء ودواوين الحكم ، بل كانت الوظائف الكبار مقصورة على الفرس ، وإذا كان قليل جداً من الموال قد تولوا بعض أعمال عامة في عهد بني أمية فإن توليتهم في عهد بني العباس سارت القاعدة والأساس ، فأكثر من ولايم المنصور موال ، ثم حاكاه من جاءوا بعده ، وقد كان المؤمن يؤثر الفرس جهرة ، ويشك في ولاء العرب له كما تقدم .

لهذا شرقت قصور الخلفاء بالموال من رجال ونساء ، وفحص الجبش بهم ، حتى إن الفضل بن يحيى البرمكي أخذ جنوداً من خراسان سمام العباسية ، جبل ولاءهم للعباسيين ، باع مئتين ألف ، وقدم منهم إلى بغداد عشرون ألفاً ، ثم جاء للمتعم فاستخدم الترك وآثرهم على الفرس ، فتنافس الترك والفرس على السلطان ، وسار بأسهم بينهم شديداً ، لكن الترك انتصروا ففقد الفرس والعرب مكانهم وتقوؤهم<sup>(١)</sup> .

كانت الحالة السياسية والاجتماعية هوانية للفرس في العصر العباسي ، فجهروا بشموبيتهم في غير ترميض ولا كناية كاحنين .

على أن بعض أبناء الفرس ما زالوا يشعرون بمحاجتهم في العصر العباسي إلى الاحتماء بالولاء وبالانتساب إلى العرب . كان لدى بن الخليل السكوني صديق من الدمايين يماشره ويبره ، فتاب عنه مدة طويلة ، ثم عاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة ، وقويت أحواله ، فذمى أنه من نعيم ، فجاءه على بن الخليل ، فلم يأذن له ، فلقبه فلم يسلم عليه ، فقال يهجو :

يروح بنسبة للسولى ويصبح يدعى العربا



فلا هذا ولا هذا ك يدرك إذا طلبا  
جحدت أباك نعبته وأرجو أن تفيد أبا<sup>(١)</sup>  
وكذلك هجا أبو الغتاهية والبة بن الحباب لما أدعى نعبه في العرب ودعاه إلى  
أن يمتنع بنسبه في الوالي مثله .

أولب أنت في العرب كمثل الثيب في الرطب  
هلم إلى الوالي الصبيد في صفة وفي رحب  
فانت بنا لمر الله أشبه منك بالعرب<sup>(٢)</sup>

تفخر شعراء الفرس وتهجمهم على العرب :

علت أسوات فارسية تفخر بمجد الفرس وعظمتهم ، وتجهز بقهقر العرب ،  
وتعيرهم الفقر والجذب وشظف البش والجهل والفضى ووأد البنات ، وتذكروهم  
بأنهم كانوا محملاء كسرى أو حراسا على قوافله التجارية القادمة إلى بلادهم .  
من تفخرهم قول بشار بن برد :

ونبت قوما بهم حنة يقولون من ذا ؟ وكنت العلم  
إلا أيها السائل جاهدا لومدني أما أنف السكرم  
نمت في السكرام بنى عامر فروعى وأصل قریش المجمع  
وبسأته الهدى . من أى المجمع أنت ؟ فيقول : من أكثرها و الفرسان ،  
وأشدّها على الافزان ، أهل طخارستان .  
ويقول أيضاً :

وهجاني مشر كاهم حنق دام لهم ذاك العنق  
ليس من جرّم واسكن غلظهم شرف المارض قد سد الأفق  
من خراسان ويبقى في القرى ولدى السماء فرعى قن سق  
وكان يقرأ من ولائه للعرب ، ويمحض الوالي هل نبذ ولاهم في قوله :

(١) الأغاني ١٣ - ١٨

(٢) الأغاني ١٦ - ١٩٤

أصبحت موالى ذى الجلال وبمفهم مولى الرّيب فجدّ بفضلك فافخر  
 مولاك أكرم من تميم كاها أهل القمّال ومن قريش المشعر  
 فارجح إلى مولاك غير مدانع سبعان مولاك الأجل الأكبر  
 وقد لامة شريف من بني زيد على دعوته الفرس لنبد ولائهم ، وقال له : قد  
 أفسدت علينا موالينا ، وتدهوم إلى الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع إلى أسولهم ،  
 وإلى ترك الولاء ، وأنت غير معروف الأصل . فقال بشار : والله لأصل أكرم من  
 القذهب ، ولفرعى أذكى من عمل الأبرار ، وما في الأرض كاب يود أن يستبدل  
 نسبه بنسبك<sup>(١)</sup> .

ومن غفرم وتهمجهم على العرب قول الخريبي<sup>(٢)</sup> :

وناديت من مرو وباخ فوارسا لهم حسب في الأكرمين حبيب  
 فباحسرتنا لادار قومي قريبة فيكثر منهم فاعمرى ويعطيب  
 وإنت أبي كسرى بن هرمز وخاقان لى لو تعلمين نسب  
 ملكنا رقب الناس في الشرك كاها لنا تابع طوع القياد جنيب  
 نسومكم خدفا ونفقى عايكم بماشاء منا غطىء ومصيب  
 فلما أتى الإسلام وانشرحت له صدور به نحو الأنام تنيب  
 تبينا رسول الله حق كائننا سماء عايانا بالرجال تصوب  
 كذلك قال المتوكلى<sup>(٣)</sup> وهو من شعراء الخليفة المتوكل ونديمة :

أنا ابن الأكادم من نسل جم وحائز إرث مملوك المعجم<sup>(٤)</sup>  
 وعبي الذى باد من عزم وعق عليه طوال اتقدم  
 وطالب أوتارم جهرة فن نام من حقهم لم أنم  
 من علم الكبايات القى به أرتجى أن أسود الأمم<sup>(٥)</sup>

(١) الأغاني ٣ - ٥١

(٢) الشعر والشعراء ٣٥٣

(٣) معجم الأدباء ١ - ٣٢٣

(٤) جم : يعنى جشيد ملك الفرس

(٥) الكيانيان : نسبة إلى كلابة وهو حداد فارسى رفع علم الثورة

فقل لبي هائم أجدى هلوا إلى الخلع قبل الندم  
ملكناكم عنوة بالما ح طعنا وضربا بديف حزم  
وأولاكم الملك أبونا فما أن وفينم بشكر النعم  
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز لأكل الضباب ورمي النعم  
فاني سأعلموا مربر الملوك بمحمد الحسام وحرف القلم  
ولما أنتم الله على مهيار الديلى الفارمى بنعمة الإسلام سنة ٣٩٤ هـ قال قصيدة  
يشيد فيها بالإسلام ، ويهجن قومه بعبارة النار :

بدلت من ناركم دهرها وخبت مواعدها الخلد طيبا  
لكنه كان يفاخر بنسبه الفارمى ، ويخطئه أحيانا بفخره بالإسلام ، كقوله :  
أعجبت بي بين نادى قومه أم سمعت فضت تسأل بي  
مرها ما علت من خاف فأرادت هلمها ما حسي  
لا تخالى نسا يخفضى أنا من يرضيك عند النصب  
قوى استولوا على الدهر فتى ومشوا فوق رهوس الحقب  
وأبى كسرى على ابوانه أين فى الناس أب مثل أبى ؟  
قد قبت الجسد من خير أب وقبت الدين من خير نبي  
وضممت الفخر من أطرافه سؤدد الفرس ودين العرب

أما أبو نواس فقد تهجم على العرب بوسيلة أخرى ، هى تهكمه الكثير بطريقة  
العرب فى التقديم لقصائدهم بالفضل وبكاء اللال ، ودهوته الملحة إلى بدء القصائد  
بالخرجات .

وقد يظن أن هذا لون من التجديد أراد أن يلون به الشعر العربى ، لكن هذا  
الظن لا يثبت أن يتوارى إذا ما لحظنا صغريته بالعرب ، وتهويته من شأن قبائهم  
وقد كان يستطيع أن يجدد بنير تندر ومخربة ونحير ، كما فعل المتنبي حينما مجب من  
الشمراء المتكافين لاجب ، إذ انتحروا مدائحهم بالفضل ، فهو على حق فى عجه ،  
وهو لم يتمد العجب إلى الجملة على العرب ، قل المتنبي :

إذا كان مدح فالنسب القديم أكل يابغ قال شعرا مقيم ؟

وشتان بين هذا وقول أبي نواس :

تبكى على طلل الماضين من أسد      لا دُرْدُرِكَ قَل لى : من بنو أسد ؟  
لا جف دمع القذى يبكى على حجر      ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد  
كم بين نامت غمر في دساكرها      وبين بالك على نُؤَى ومُنْتَضِد  
وقوله :

صفة الطول بلافة القِدَمِ      فأجمل صفاتك لابنة الكرم  
وقوله :

لا نبت ليل ولا تطرب إلى هند      واشرب على الورْد من حراء كالورد  
وقوله :

دمع الأطلال تَسْفِيها الجنوبُ      وتبكي عهد جدتها الخطوبُ  
.....

وهذا البش لاخيمُ البوادي      وهذا البش لاالبش الحليب  
فأين البدو من إيوان كسرى      وأين من اليادين الزروب ؟  
ولما حبسه الرشيد لهتكه ومجونه قل :

أمرُ شمرِك الطول والثرل القُزَا      فقد طالما أزدى به فمتك الخرا  
دعاني إلى نمت الطسلول مسلط      تضيق ذراي أن ترد له أمرا  
فسمما أمير المزمين وطاعة      وإن كنت قد جشمتنى مسلكا وعرا

### مؤلفات الفرس في التهجم على العرب

ألف الفرس كتباً شتى في الانتصار لأنفسهم ، بعضها في الإشادة بمناقبهم ومناقب المعجم<sup>(١)</sup> عامة ، وبعضها في الانتقاص من قدر العرب وذكر مثاليهم . فمن الضرب الأول كتاب فضل المعجم على العرب ، وكتاب انتصاف المعجم من

(١) التهرست ٤٢ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ و ٣٣ و ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١

العرب لمحمد بن حميد البختران . وكتاب فضائل الفرس لأبي عبيدة معمر ابن النخعي .

ومن الضرب الثاني كتاب المثالب لملان الفارسي الذي جرح فيه العرب ، وتناول القبائل كلها بالثلب ، وكتاب المثالب الكبير ، وكتاب المثالب الصغير ، وكتاب أسماء بابا قريش في الجاهلية ، ألفها الهيثم بن عدي ، وكتب أخرى ألفها سهل بن هارون رئيس بيت الحكمة ببغداد ، وكتاب لصوص العرب ، وكتاب أدعياء العرب لأبي عبيدة معمر ابن النخعي . وكتاب مثالب العرب والإسلام ليونس ابن أبي فروة ، وقد شخّص به إلى إمبراطور الروم فأعطاه جائزة<sup>(٢)</sup> .

وأنه لمن الظير الكثير أن هذه الكتب وأمثالها قد فقدت ، ولم يبق منها إلا فقرات أو رسائل قصار فتمر عليها في بعض كتب الأدب مثل كتاب ( العرب ) لابن قتيبة ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والمقد الفرزدق لابن عبد ربه ، وعيون الأخبار لابن قتيبة . والمعجب أن المأمون لم يجد بأساً في مؤلفات سهل بن هارون القيم على بيت الحكمة في عصره ، ولا في مؤلفات معاصريه لأن بعض الشموية كانوا من خاصته .

ومهد خصوم العرب إلى كل فضيحة من فضائلهم فسخوها مسخاً وشوهوها تشويهاً ، وتنفصوا من أقدارهم في كثير من شئون الحياة .

فسابوهم بتخلفهم في أفانين الحرب ، وأنواع السلاح ، وسخروا من مواقفهم الخطائية إذ يكثر من الإشارة بأيديهم أو بخناصرهم<sup>(٢)</sup> وعصبيهم وقصبيهم .

وأنكروا عليهم فصاحتهم وبرافتهم الخطائية ، وقالوا إن الأمم كلها تستطيع الخطابة حتى الزنج والأغبياء يستطيعون أن يطيلوا الخطب ، ثم زعموا أن الفرس واليونان والمهتود أقدر على الخطابة الممتازة بالآفكار والتميز الجيد .

من أمثلة ذلك قولهم :

(١) الأغاني ١٣ - ٧٦ وأمالى المرتضى ١ - ٨٩

(٢) المختصرة : الصا والمقرعة والمكازة والفتيب

لم تزل الأمم كلها من الأماجم في كل شق من الأرض لها ملوك تجمعها ، ومدائن  
نضمها ، وأحكام تدين بها ، وفاسفة تنتجها ، وبدائع تفتقها في الأدوات والصناعات  
مثل صنعة الديباج ولعبة الشطرنج ورماية القبان ، ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق  
والقانون والاسطرلاب ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم قواصمها ، ويقمع  
ظالمها ، وينهى سفهها ، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ، ولا أثر في فلسفة ،  
إلا ما كان من الشعر وقد شاركها فيه العجم ، وذلك أن لاروم أشعاراً عجبية  
قائمة الوزن والمروض ، فالأدب تفخر به العرب على العجم ؟ فإنا هي كالفناب  
الماوية والرحوش النافرة بأكل بعضها بعضاً<sup>(١)</sup> .

### اختلافهم أقاصيص وأحاديث نبوية :

ثم إن بعضهم حاربوا العرب بأسلحة أخرى أشد خفاء ، وأسرع نفاذا وأهل  
تصديقاً ، فالأدب يقرأ كتاباً في مفاخر العجم أو في منال العرب يرى له الشك  
فيها بقرأ ، وكثيراً ما يمرضه على موازين من عقله وخبرته وثقافته فيرفضه ، فعمد بعض  
التمصبين على العرب من الفرس إلى طريقة جديدة لا يمترضها شك أو رفض هي  
أنهم اختلفوا أخباراً وأقصيص تنتقص من أقدار العرب ، فسروا بها بعض الأمثال  
وشرحوا بها بعض الشعر ، وأطالوا بها الأخبار .

وكذلك فعلوا في الحديث الشريف فوضوا من الأحاديث ما يرفع من قدرهم<sup>(٢)</sup>  
كزعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى : « وإن تتولوا يستبدل  
قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » فقيل من يستبدل بنا ؟ فحُضِرَ على منكب  
سلمان الفارسي ، وقال : هذا وقومه ، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالتراب  
لناله رجال من فارس . وكزعمهم أن المعجم ذكرت عند رسول الله فقال : « لأنابهم أوثق  
منى بكم » وزعمهم أن رسول الله قال : سيأتي ملك من ملوك العجم فيظهر على المدائن  
كاهها إلا دمشق » وقال : لا تسبوا فارسياً ، فاسبه أحد إلا انتقم منه عاجلاً  
أو آجلاً .

(١) العقد القريد ٢ — ٥٥ المطبعة الأزهرية .

(٢) الإصابة وتيسير الوصول وابن عابدين ورسائل العلماء .

كذلك ادعوا أن رسول الله أخبر بظهور أبي حنيفة وانتخر به ، فقال إن آدم افتخر بي ، وأنا أفتخر برجل من أمي اسمه نمان وكنيته أبو حنيفة هو سراج أمي وقال : إن سائر الأنبياء يفتخرون بي ، وأنا أفتخر بأبي حنيفة ومن أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني .

على أن الزنادقة من الفرس حاولوا تحت ستار الإسلام الذي اعتنقوه ظاهرياً أن يفسدوا عقائد المسلمين بطرق شتى ، منها وضع أحاديث نبوية تبليبل المسلمين وتدهم من أمور دينهم في حيرة ، كالتي فعله عبد الكريم بن أبي الموجه ، وقد اعترف حين قتله المنصور بأنه وضع أربعة آلاف حديث افتراها على الرسول .  
يقول ابن الأثير :

فلما ينس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة ، أخذوا في وضع الأحاديث المكدوبة وتشكيك ضمعة العقول في دينهم بأمور قد ضبطها المحدثون ، وأفسدوا الصحيح بالنأويل والطنن عليه ، والقوا إلى كل من وثقوا به أن لكل عبادة باطنا وأن الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف الأئمة والآبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ، ولا حرم عليهم شيئاً ، وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات ، وإنما هي قيود لمامة ، ساقطة عن الخاصة . وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي صلى الله عليه وسلم ليسترؤا أمرهم ، ويستميلوا المامة ، وتفرق أصحابهم في البلاد ، وأظهروا الزهد والعبادة يبرون الناس بذلك ، وهم على خلافه . . . وتفرقت هذه الطائفة في البلاد وتملأوا الشبهة والتارنجيات والنجوم ، فهم يمتثلون على كل قوم بما ينفع عليهم ، وعلى المامة بإظهار الزهد<sup>(١)</sup> .

#### ردود العرب عليهم :

١ - لم يتنازل الشراء العرب عن هذا التهجيم ، فجهلوا يقابلونه بهجوم مثله ، وحسبنا أن غزل بعض ما قلنا ، لأن موضوع هذا الفصل مقصور على أثر الفرس في الشيوعية .

لما قاتل فارسي في فخره بالفرس وتنديده بالعرب :  
 بهاليل غر من ذؤابة فارس إذا اقتسبوا ، لا من عربيه أو عكل  
 هم راضة الدنيا وسادة أهاها إذا افتخروا لا راضة الشاة والإيل  
 رد عليه هربى بقوله :

لا تنتر أنك من فارس في معدن الملك وإيوانه  
 لو حدثت كسرى إذا نفسه صفته في جوف إيوانه  
 وقد تمصب الفرس للرواية أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وقدموه على الأصمى الراوية  
 العربي ، وحاول إسحق الرصلي الفارسي الأصل أن يرفع من قدره ، ويحط من قدر  
 الأصمى عند الفضل بن الربيع بقوله :

هليك أبا عبيدة فاصطنعه فإن الملم عند أبي عبيدة  
 وقدمه وآزره عليه ودع عنك القريد بن القريدة<sup>(١)</sup>  
 ولم يكتف بهذا ، بل أوفر صدر الرشيد على الأصمى وأتممه بفكران الضعيفة  
 وضمة النفس ، وزكى أبا عبيدة ، وما زال يدس للأصمى عند الرشيد وعند الفضل حتى  
 وضع مرتبته ، فبعثوا إلى أبي عبيدة يستقدمونه<sup>(٢)</sup> لما حدث ذلك بها الأصمى  
 البرامكة بقوله :

إذا ذكر الشرك في مجلس أضأت وجوه بني برمك  
 وإن نابت عندهم آفة أتوا بالأحاديث من مزدك  
 ثم هما التنبى المجمع بقوله :

وإعما الناس بالثوك وما تنافح عرب ملوكها عجم  
 لا أرب عندهم ولا حسب ولا هوورد لهم ولا ذمم  
 بكل أرض وطنها أم رعى بمبد كأنها غم  
 يستغشن الخز حين يلمسه وكان يعرى بظفره القلم

(١) يريد بالقريد الأصمى

(٢) الأغاني ٥ - ١٥٧



٢ - انبرى لتفنيد مزاعم الفرس والرد عليهم علماء من العرب ، كابن قتيبة في كتابه ( العرب ) والجاحظ في كتابه ( البيان والتبيين )<sup>(١)</sup> .

ولما امتدت الشموبية إلى الأندلس ألف ابن فرسية رسالة في انهجيم على العرب ، فرد عليه يحيى بن مسعدة وأبو جعفر أحمد البلنسى وأبو الطيب القروى وغيرهم<sup>(٢)</sup> من رد الجاحظ على الشموبية قوله :

وجملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس . فأما الهند فإنما لهم معان مدونة وكتب مخزنة ، لا تضاف إلى رجل معروف .

ولليونانين فلسفة وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق - أرسطو - نفسه بكىه اللسان ، غير موصوف بالبيان ، مع علمه بتميز الكلام وتفصيله وممانيه ، وم يزعمون أن جالينوس - الطبيب الفيلسوف - كان انطق الناس ، ولم يذكره بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة .

وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام الفرس وكل معنى للعجم ، فإنما هو عن طول فسكرة ، وعن اجتهد رأى ومارل خلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب .

وكل شئ للعرب فإنما هو بدبهة وأرتجال وكأنه إلهام ، ولبت هناك ممامة ولا مكابدة ، ولا إجابة فسكرة ولا استماناة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رَجَز يوم الخصام ، أو حين يمتح على بئر ويحدو ييمير ، . . . فتأنيه الممانى أرسالا ( أفراجا ) وتنثال عليه الألفاظ اشبالا ، ثم لا يقيده على نفسه ولا بدرسه ( لا يعلمه ) من ولده .

وكانوا أميين لا يكتبون ، ومعلوهمين لا يتكافون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أفدر ، وله أنهر . . . وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا

(١) الجزء الثالث بخاتمة

(٢) جزء الثالث من نوادر المخطوطات للاستاذ عبد السلام هارون .

إلى تحفظ ويحتاجوا إلى تدارس ، وليس كمن حفظ ولم غيره واحتذى هل كلام من قبله<sup>(١)</sup>

والذي نستخلصه من كلام الجاحظ أنه لا ينكر أن العرب في جاهليتهم لم يكن لهم علم وفائدة كما كان للهوند واليونان ، ولم ينكر أن الفرس كان فيهم خطباء ، لكنه وصف خطباءهم بالتفكير الطويل والإعداد المتأن والدراسة للاكتساب . وإذا فقد تميز العرب بفصاحة اللسان ، ومواتاة البدية .

٣ — وإذا كان الفرس الشعوب قد اختلفوا أحاديث نبوية تشبه بهم وترفع من أقدار ملأهم ، فإن العرب قابلوا سلاحهم هذا بمثل ، فاخترعوا أحاديث نسبوها إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم والتفوق منها قول النبي ( ص ) :

« من غش العرب لم يدخل في شفاعةي ، ولم تدله مودتي » . وقوله :

« إذا اختلف الناس فالحق في مضر » . وقوله : « أحبوا العرب لثلاث : لأنى مربى ، والقرآن مربى ، ولسان أهل الجنة في الجنة عربى » .

٤ — وربما كان من مقابلة العرب للفرس بسلاح من جنس سلاحهم ما روي عن ابن المقفع ، إذ روي أن جماعة اجتمعوا بالمرند ومهمهم ابن المقفع ، فسألهم ابن المقفع : أى الأمم أعدل ؟ فنظر بعضهم إلى بعض ، وظنوا أنه يقصد الفرس ، فقالوا فارس . فقال ابن المقفع : ليسوا بذلك ، أنهم ملوكوا كثيرا من الأرض ، وغلبوا الخلق ، اسكنهم لم يستنبطوا بمقولهم شيئا قالوا . الروم ، فقال أصحاب سنة . قالوا . الصين فقال . أصحاب طرفة . فقالوا . الهند ، فقال . أصحاب فلسفة . . . . قالوا . قل ، فقال . العرب . فضحكوا . فقال . ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا قاتنى حظى من النسب فلا يفوتنى حظى من المرفة . إن العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أثرت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شر وأدم ، بمجود أحدهم بقوته ، وبشارك في ميسور وميسوره ، وبصف الشيء بمقله فيكون قدوة ، وبمقله فيصير حجة ، وبمحسن ما يشاء فيمحسن ، وبمقيح ما يشاء فيمقيح ، أدبهم أنفسهم

ورفعتهم همهم ، وأعلمتهم فلوهم والسنهم ، وبهم افتتح الله ديه وخلافه إلى  
الحشر ، فن وضع حقهم خسر ، ومن أسكر فضاءهم خصم<sup>(١)</sup> .  
في المناصب الكبيرة .

من الطيبى أن تهب أماسير الشعوبية على المناصب السكبار فترزها أحياناً  
أو تمصف بها أحياناً .

وقد كانت الوزارة والقعدة أكثر تمرضا لهذه الهزات ، وبخاصة في العصر  
العباسى الأول ، إذ رأينا بضعة من الوزراء يقتلون ، وأغاب الفان أن تنافس السكبار  
من سادات العرب وأشراف الفرس ، وتمصب بعضهم على بعض ، كان من أسباب  
الغزل والقتل ، فصار من المألوف أن يبيتس الوزير مخفوخاً على حياته ، أن يرفض  
بعضهم منصب الوزارة حينما يمرض عليه ، حتى إنه لا يجب في أن ود الشاعر لمدو  
مدوحه أن يكون وزيراً .

أن الوزير وزير آل محمد أودى ، فن يشنأك كان وزيراً  
وحسبنا هذه الأمثلة .

كان أبو ايوب المورياتى وزير المنصور جالساً في الديوان بصرف شئونه فأتاه  
رسول الخليفة ، فامتقم لونه ، وطارت مصافير رأسه ، وذعر ذعراً شديداً ، فسأله  
الجاحظ ومن حضر ، فقال لهم علمتم ما أعلم لم تنجبوا من خوف مع ماترون من  
تتمكن حال<sup>(٢)</sup> .

وعرضت الوزارة على أحمد بن أبى خاله بعد أن قتل المأمون وزيره الفضل ابن  
سهل ، فرفض وقال : لم أر أحد تولاهما وسلت حاله .

وكان نعيم ابن أبى حازم العربى يتناقش مع الفضل بن سهل الفارسى في مجلس  
المأمون ، فأتى الفضل على الدارين ، وأيدى قتل الخليفة إليهم ، فقال له نعيم . إنك

(١) القدر الفريد ٢ - ٥٠

(٢) الحيوان ٢ - ١٢٢

إنما تريد أن تنزل الملك من بني العباس إلى ولد علي ، ثم تحتال عليهم فيصير الملك كسرويا<sup>(١)</sup> .

وكان الأفشين القائد الفارسي للمتمصم ، وكان أبو دلف المجلي القائد العربي ، وكان الأفشين يكره العرب أشد الكره ، وكان أبو دلف يمتاز بمروءته ، ويعتمد على مكانته في عجل وغيرها من ربيعة ، ويستحق إشادة الشعراء بكرمه وشجاعته ، وهم الأفشين يقتله لولا أن أحمد بن أبي دواد قاضي المأمون والمتصم سارع إلى الأفشين وهدده .

### الثورات الانفصالية :

كذلك تجلت الشعبية في ثورات انفصالية ، قام بها الفرس ، ليقضوا على الحكم العربي ، ويسبرجوا ما كان لهم من استقلال . وهذه أمثلة منها :

١ - لما قتل المنصور أبا مسلم الخراساني سنة ١٣٧ هـ ( ٧٥٥ م ) هاج جنده واستلموا سيوفهم ، واعتزموا على الأخذ بثأره ، لكن المنصور استرضاهم بالمال ، وأقنعهم بخيانة أبي مسلم ، وفساد طوبقته ، فانصرفوا راضين .

ولكن الثورة لأبي مسلم لم تلبث أن قامت في العام التالي بالجزيرة وفارس ، إذ هب أهل فارس بقيادة سونباز المجوسي للأخذ بثأر أبي مسلم ، واستطاع الثوار أن يستولوا على البلاد ما بين الرى ونيسابور ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، إلى أن أخذ المنصور الثورة وأخضع الثوار .

٢ - ولقد يكون من عداوة الثار لأبي مسلم أن ثار في سنة ١٤١ هـ جماعة من خراسان م الرواندية<sup>(٢)</sup> ، وهم يقولون بتفاسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم حلت في زعيمهم هنان بن سهرجك ، وأن دهم الذي بطاهمهم وسفهمهم هو أبو جعفر المنصور وأن المهيم بن معاوية هو جبريل واحتتموا حول قصر المنصور في الهاشمية<sup>(٣)</sup> ،

(١) الوزراء والكتاب ٣٩٧

(٢) الرواندية بلد قرب خراسان

(٣) مدينة اسمها أخوه أبو العباس .

فجبلوا يقولون : هذا نصر ربنا ، ويطوفون به ، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم وقبض على مائتين منهم وسجنهم ، فغضب المنصور لإخاء نقتهم ، وكاد يقتل لولا أن أنقذه القائد العربي العظيم من بن زائدة الشيباني ، وجادت قوات الجيش لحمايتهم على الثوار وقتلهم جميعاً .

٣ - ثم ثارت الموقعة في عهد المهدي سنة ١٥٨ - ١٦٠ هـ وم أتباع هاشم ابن حكيم المعروف بالمتقي ، لأنه كان يخفي قبيح وجهه ودمامة خلفه بقميص من ذهب ، وزعموا أن روح الله ظهرت في آدم ، ثم في نوح ثم في ابن مسلم ثم في المتقي ، وأدعوا أن الدين اعتقاد لأهل ، وكان مددوم كبيراً ، ولكن المهدي انتصر عليهم ، وهؤلاء هم الذين يسمون ( البيضة ) لأنهم اتخذوا المباس الأبيض شعاراً لهم .

٤ - وماكاد المهدي يفرغ من القضاء على الشيعة أو البيضة حتى دوى نذير ثورة الحمرة في إقليم جرجان ، وهي طائفة اتخذت المباس الأحمر ستاراً لها وكانت لها تعاليم هي خليط من المزدكية والمانوية ، نشرتها بين الناس في خراسان وغربي فارس وال عراق .

نهض المهدي ليقضي على هذا المذهب الهدام الذي نشر الرذيلة ، وفهم الروابط الأسرية ، وأضعف من هيئة الحكومة ، وزعزع الثقة في النظام الديني والاجتماعي وأباح احتطاف الأولاد والنساء ، ونذر المهدي بالقسوة في محاربة الحمرة حتى فلّ قوام ، وأراح الشعب من شرورهم .

٥ - في عهد المأمون ثار بابك الخُرّس ( ٢٠١ - ٢٢٢ هـ ) وهو من كورة في شمال فارس ، ودعا الناس إلى اعتناق مذهبه الاباحي من زمر ونسكاح للصحرات واجترأ على المناكر والهاذات ، وكان - كما يقول ابن النديم - يزعم لأنبائه أنه إله ، ولا شك بأن مذهبه امتداد أو إحياء للمزدكية .

عرف المأمون خبره فمزّم على مطاردته والقضاء عليه وعلى مذهب الهدام فندب لحربه يحيى بن معاذ ، فلم يستطع أن يفلّبه ، فاختار قائداً آخر هو عيسى بن محمد ابن أبي خالد ، فنجز أبصاً ، فرماه بقائده نالك فهزمه بابك وأمره ، ثم قتل القائد

الرابع محمد بن حميد الطومين ، وبدد مكره ، فرثاه أبو تمام بقصيدة من عيون قصائده يقول فيها :

كذا فليجل الحطاب وليفدح الأمر      فنهس لعين لم يفيض ماؤها هنذر  
توفيت الأمال بمد محمد      وأصبح في شغل عن السفر السفر  
ففي مات بين الطمن والضرب مينة      نقوم مقام النصر إذا فانه النصر  
وتدكان فوت الموت مهلا فرده      إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

واستفصل أمر بابك ، وكثر أتباعه من أهل الجبال من همدان وأصبهان وما سندان وغيرها ، وشغل المأمون عنه بالدولة البيزنطية ، ثم مات المأمون ، وكتب قبل موته يوصي أخاه المتعمم بالقضاء على بابك « والخرمية فأغزى ما حزامه وصرامة وجلده ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجال ، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم عن معك من أنصارك وأولائك ، واهمل في ذلك ، مقدم الفية فيه ، راجياً ثواب الله عليه <sup>(١)</sup> » .

لم يتوان المتعمم في القضاء على بابك الذي عظم شأنه في أذربيجان حتى همدان ، فاختار قائداً توكياً هو المعروف بالأنشين وسيره إليه سنة ٢٢٠ هـ ، وجعل الأنشين يحارب سنتين حتى انتصر عليه سنة ٢٢٢ هـ (٨٣٧ م) وفر بابك إلى أرمينية فقبض عليه أحد أمراءها ، فماده به إلى المتعمم ، فاستراح العباد ، وفرح الخليفة ، حتى أنه لما اقترب من سامراء كان الخليفة يرسل إليه كل يوم حلة شرف وهدايا غنية ، ثم تلقاه هو وأشرف الدولة ، وأمر بقتل الثائر ، وصلب جنته ، وقطع رأسه وأرسلها إلى مدن خراسان .

ويقال إن بابك هزم ستة قواد ، وذبح ٢٥٥ ألفاً ، وأمر ٣٣٠٠ رجلاً ، و ٧٦٠٠ امرأة ظالوا في أسره حتى خلصهم الأفشين <sup>(٢)</sup> .

٦ - ثم لم تلبث بعض الثورات أن نجحت ونشأت دويلات انفصلت عن

(١) العاجري ١٠ - ٢٩٤

(٢) العاجري ١٠ - ٣١٦ - ٢٢٢

الخلافة، وقامت الدولة الصفارية بإقليم سجستان، وطمع بمقرب الصفار في أن يستولى على بغداد وال عراق، فخرج إليه الخليفة المتمدن بجيش كبير وانصر الخليفة في مدينة واسط سنة ٢٦٢ هـ وعاد بمقرب بعد الهزيمة إلى فارس.

يقول مور: كان قيام الدولة الصفارية الخطوة الأولى في استرداد الفرس واستقلالهم.

ثم قامت الدولة الساسانية فأستقلت الصفارية وأستقلت الزبارية بطبرستان، وحكمت من سنة ٢٦١ هـ إلى ٢٨٩ هـ.

وفي أثناء ذلك عظم شأن آل بويه امرأة الديلم منذ سنة ٢٢٠ هـ في خلافة الرازي وعظم بالشرق نفوذهم وصاروا خطراً على الخلافة الساسانية، ثم انسح ملكهم حتى استولى معز الدولة البويهى على بغداد في خلافة المستكن سنة ٣٢٤ هـ، ومكنوا يحكمون العراق وفارس من سنة ٣٢٤ إلى ٤٤٧ هـ (٩٤٦ - ١٠٥٥ م) وكان فتحهم بغداد أشنع نذير بواد الخلافة وتحقير الخلفاء، إذ خلع معز الدولة الخليفة المستكن وسمل عينيه وسجنه، وولى الفضل ابن عمه الذى لقب بالمطيع لله، ثم تجرأ الفرس والترك على الخلافة والخلفاء بالمزل والتفتيل والتنكيل، واستأثروا بالسلطات ولم يبق للخليفة إلا إنه رمز ديبى ضئيل، أو طلل من صرح كانت تشرب إليه الأعناق.

### عاقبة الصراع :

١ - إن ثورات الفرس المتعاقبة أظهرت ما كان الجيوش يضمرون للإسلام من شر، وأن كثيراً من الفرس كانوا اعتنقوا الإسلام في الظاهر وهم يترقبون الفرص لإهادة ملكهم والدودة إلى دينهم، وما ثورة بابك والتفتع الخراساني وغيرها لإدليل واضح على ذلك.

وقد انتهى الصراع الجهنمي بين الفرس والترك على الرب في شؤون السياسة والحكم.

أما العرب فقد ظلوا منتمين بدينهم وانتمهم، إذ هي الإسلام على الجوسية،

وبقيت العربية سائدة ، حتى أن الفرس كانوا يقبلون على تعلمها ويتناحرون في إجادتها و يرون أن من نقص الرواة التسكلم في بلد عربي بالفارسية<sup>(١)</sup> .

وحسبنا أن كانت العربية هي اللغة الرسمية واللغة الأدبية والعلمية ، في العصر المباني الأول ، وأن أكثر الكتاب في ذلك العصر يرجعون إلى أصل فارسي ، وأن كثيراً من العلماء الذين دونوا اللغة ووضعو قواعدها ورددوا أديها كانوا من الفرس .

٢ - على أن هذه التيارات لم تسكن كلها ثمراً محضاً ، فقد حملت بعض الخير . إذ أنت الشعوبية وكل شيء للعرب بمجد ، من نسب عربي ، ولغة عربية ، ورأى عربي وعادات عربية ، فأخذ الشعوبيون يعرضون هذا للنقد والتحليل ، عرضوا أنساب العرب للنقد ، كآدمي فعل أبو عبيدة مع غلوه ، فكان يرد على قوم ينتسبون للعرب ، فيبين أن النسبة كاذبة مختلفة ، وفي كتاب الأغاني من أبي عبيدة من هذا كثير . وعرضوا اللغة العربية للنقد ، فحيبوه في كتابه يخطئ العربي في بعض ألفواهم . ويدعي العرب أن البلاغة ليست إلا فيهم ، فيرد الشعوبية بأن هناك أمماً أخرى لها بلاغة ، ولها خطاب ، ولها حكم ، لا تقل عن العربي . وينبهون على أن عادات العرب ليست التي الأعلى ، فإحداث ، ففهم الحنير المرذول . والجهد المحمود .

كل هذا النقد وأمثاله استتبع نتيجة جيدة من بعض الوجوه وهي : عرض ما للأمم الأخرى من كل ذلك لتكون المقارنة أتم . فتمرض الكلمات الفارسية بجانب الكلمات العربية والحكم الأجنبية والبلاغة الأجنبية بجانب البلاغة والحكم العربية والنظام الفارسي والأدب الأجنبي بجانب النظام والأدب العربيين . وهذا - من غير شك - مفيد للعالم والعقل .

(١) عيون الأخبار ١ - ٢٩٦

(٢) ضمن الاسلام ٢ - ٢٨



## أثر الفرس في اللغة العربية

تطورت نظم الحياة الاجتماعية ومظاهر الحضارة ، وشاع الترف والترف والطرب ، وتعددت الازياء والفرش والأثاث والآنية ، وكان كثير من هذا غير معروف للعرب فسموها باسمائها الفارسية أو اليونانية أو الهندية .

على أن اللغة العربية لم تعد ماسكا للعرب وحدهم في هذا الوقت الذي شرقت فيه وغربت ، بل صارت لهم وقسموب التي أسدت وأفادت على تدل لغة الإسلام .

ولاشك أن هؤلاء المستعربين لا يتعصبون للغة العربية كما يتعصب لها أبناؤها ، ولا شك أنهم أسرع ذكراً لكلمات من لغاتهم تؤدي ما يفهمهم من بعض اللغات أو تدل على أشياء ليس في العربية دلالات علمية ، وأنها دلالات لم تجر على الصنعة . لهذا اتسع المجال لدخول كلمات أجنبية في اللغة العربية أكثرها فارسي .

لكن الحرب في قتلهم من اقرس وغيرهم لم يسلوكوا طريقة واحدة في التعريب ، فقد نطقوا ببعض الكلمات على اسما ، وصفقوا بعضها الآخر صفلا بلانم انطقهم ، كما انهم احياها وجموا إلى انهم هوسوا في دلالاتها .

فناظر عربي وفارسي في مجلس يحيى بن خالد البرمكي ، فقال الفارسي للعربي :  
ما احتجنا اليكم قط في عمل ولا في تسمية ، واذا ملكتم لنا استغنيتم عنا في أعمالكم  
ولا لنتكم ، حتى أن طبيبكم وأثر بكم ودواؤكم وما فيها على ما صنعنا ، لم نغيروا  
منه شيئاً ، كالإِسْتِداج والسَّكْبَاج والدُّوْعَبَاج والسَّكَنْجَبِينَ والخُلَنْجِينَ  
والجَلَّاب والزَّنَاج والاسكدارومثل هذا كثير<sup>(١)</sup> . فمكت الدري ، فقال له يحيى

(١) الاستيفاج : وعاد الرصاص

الكعجين والكعكاج : طعام من لحم وزيت ، ونبات طيب الرائحة . الخنثج : الخنثج : جنس  
الحاء حجرة تصنع منها المصفاة . بلابل : ماء الورد

الزناج والرفاة : دفتر يروي للحباب ، وجريدة يومية  
الاسكفارة : صاحب البريد ، وحقيقته ، وصندوق البريد ،

المؤرخ : الآن الحائر .

« قل ٤ : أسير لنا غمك كما ملستكم ألف سنة بعد ألف كانت قبلها ، لانحتاج إليكم ولا إلى شيء كان لكم .

من الكلمات الفارسية المربة :

الجوسق : القصر ، أصله كوشك أى صغير قال النعمان بن عبدى وكان مر ابن الخطاب قد ولاء قيسان - كورة بين البصرة وواسط - :

لل أمير المؤمنين بسوءه تناد منا فى الجوسق التهم

الصهيد : مثل الأمير فى الحرب ، قال جرير :

إذا اختروا هدوا الصهيد منهم وكسرى وآل الهرمزان وقيصرا  
السكر : معناه بانمارسية المنى ، وأصله كردن ، وقد جاءت الكلمة فى شعر جرير :

وكنا إذا القيسى نَبَّ مَتَوَدُّه ضربناه دون الأتيين إلى السكر<sup>(١)</sup>  
وجاءت فى قصيدة للمعاني بمدح الرشيد :

من يلقه من بَطَل مسرند فى زَغَفَةٍ عَمَكَة بالسرد  
تجول بين رأسه والسكر<sup>(٢)</sup>

المسروانى : الحرير الرقيق الحسن الصنعة ، نسبة إلى معطاء الاكسرة .  
قال الفرزدق :

ليس الفرند المسروانى فوقه مشاعر من خز الدراق للوقوف<sup>(٣)</sup>  
آب : ماء ، روسيد : بضاء الوجه .  
قال يزيد بن مفرح الجيرى :

آب أحت نبذ أحت معادات نبذ أحت

(١) لب : صاح . التودة : من أولاد المنز ماري ولوى . الأتيان : الأذنان .

(٢) البيان والتهين ١ - ١٤٤ مسرند : مالب . زغفة : فرع لبنة واسعة عمكة

(٣) أى ليس الحرير المسروانى مشاعر قوله المزين من حرير العراق .

إذا ما كنت يوما في شداء<sup>(١)</sup> نفل للعبد يسقى التجوم بَرًا  
فإن السقى مكرمة ومجد ومداة إذا ما خفت قرًا

باغ : بستان ، قال البستي :

لا تنسرين إذا أهديت نملوك من ملوك النر أو آدابك النفا  
تقيم بالغ قد يهدى لصاحبه برسم خدمته من باغه النضا  
وذكر الجاهظ أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر ملقوا  
بألقاب من ألقابهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، ويسمون السميط الرزدي ،  
ويسمون المصروس المزوز ، ويسمون الشطرنج الإشترنج ، وكذلك أهل الكوفة  
فإنهم يسمون السحابة بال ، ويسمون الخولك الباذرؤج .

وأهل البصرة إذا ألفت أربعة طرق يسمونها مربعة ، ويسمونها أهل الكوفة  
الجهارسوك ، ويسمون الموق والثوبقة وأرار والبقية خيارا<sup>(٢)</sup> والخربز والرزدي  
وغيرها كلمات فارسية .

على أننا إذا رجعنا إلى (العرب) للجواليقي وإلى «شفاء القلب» للشهاب  
الطفاحي وجدنا مئات من الكلمات الفارسية مثل : زرجون (الحسه) وكذلك  
ونمودج (أصله نموذج أي مثال) وذبدان (طايعة وريثة) ودسكرة (بناء يشبه  
القصر حوله بيوت تكون للملك) وزرجون (أصله زركون أي لون الذهب والراد  
الخر) وسرق (أصله سره أي جيد والراد الحرير) ونوزنج (نوع من الخلود)  
ومارسدان (أصله مارسدان أي مكان الشفاء) ومهندس وهندسة وإيوان وأستاذ  
(المسافر بصنعة) وأزار (هو الخابل) وبرق (أصله بره وهو الخلد) وأزاد  
(نوع من التمر) وبرنسكان (كساء) وبذرتة (بمعنى خفاضة وحراسة) واشتقوا  
منها (البذرق بمعنى الخفير) ، وأرجاء (بواب السلطان) قال الحاجاج لعل بن أصم

(١) شدة : قليل واضطرب .

(٢) البيان والنبين ١ — ١٩ السيمط الأجر النائم بمقه فوق بهش ، والرزوق أصله  
فارسية رسته ومعناه الطر والصف من النمل وغيره للمصوم : لحم يقع في الخلد ويطبخ  
الباذرؤج رجمانه معروفة

جد الأسمى : « قد وليتك البارجاه » ويُرم النجار ( المئلة ) وبَذَق ( أصله بَاذَه )  
 أى باق ( والمراد الخمر والحرير ) ، وَبَذَق ( أصله بِيَذَه وهو رجل الحرب ) ومنه  
 جاءت الكلمة العامية زيادة أى زاحل . والجَرْدُوقُ والجَرْدُوقَةُ بالفتح والفتح ( أصله  
 كرده وهو الخبز النظيف ) والجَوْرَب ( أصله كورب ) والجَوْرَبُ ( أصله كواله )  
 والصَّمَج ( القناديل ، أواحدة صَمَجَة ) والطَّحْتُ والطَّاحِنُ ( القل ) والفالوذج  
 والفالوز ( حلواء من لب الحنطة ) والبَوْنَةُ والزَّرْنِخ والبَابُونج والإسفيداج ،  
 والأسطوانة والإنليم والفرطاق ( أصله كرنه ، وهو شبيه بالقباء ) .  
 دما أبو الغرات الحسن ، فلما وضع الطعام جاء الغلام وعليه قرطاق أبيض ،  
 فقال الحمن : أخذت زى الدجيم .

## الفصل السادس

### اثر الفرس في العلوم والتأليف

الفرس أصحاب ملك قديم وحضارة مرفقة ومعرفة بالعلوم ، فهم ورنوا الآشوريين والبابليين في الرياضيات والطبيبات ، ونقلوا إلى لغتهم كثيراً من علوم الهند ، ونقلوا من اليونان علوماً شتى ، منذ بثت سابورين أردشير إلى بلاد اليونان يستعجب كتباً ، وبأمر ينقلها إلى الفارسية ، وقد حفظها في خزائنه وشجع على نسخها ودرسها ، ثم فر إلى فارس طائفة من الفلاسفة الرثيين حينما اضطهد جوستينيان الوثنية وأغلق هياكلها ومدارسها ، فاستقبلهم كسرى أنو شروان ورحب بهم وأقاموا عنده ينقلون الكتب اليونانية إلى الفارسية ، ويؤلفون كتباً في الفلسفة والعلوم ، ويدرسون في معهد الدراسات الطبية والفلسفية الذي كان بمدرسة جنيسابور فشاعت العلوم اليونانية بفارس ، كما شاعت من قبل علوم الهند والصين .

فلما اتصل العرب بالفرس ترجم بعض الفرس إلى اللغة العربية كتبها شتى في العلوم والتاريخ والسير والموسيقى والأخلاق ونظام الحكم .

وكان بعض الكتب المترجمة يوناني الأصل ، وبعضها فارسي الأصل ، ولكن اقلها يعنيها هنا هو النوع الثاني .

ولقد بدأت ترجمة التاريخ من عهد مبكر ، لحاجة الخلفاء إلى معرفة نظم الحكم الفارسي وأساليبه ، فقد كان في مكتبة ابن هشام عد الملك بن مروان كتاب في تاريخ الفرس وسياستهم ، ترجم من الفارسية إلى العربية<sup>(١)</sup> .

وكان الوزراء البارزون في العصر العبّاسي فرساً ، ولكنهم برهوا في اللغة

---

(١) تراث فارسي ٩٢ ترجمة كفاف في زملائه .

العربية والأدب العربي ، فجاءوا في نشر الثقافة الفارسية ومزجها بأدب العرب ، وربما كان من بواعثهم على ذلك أنهم أرادوا مهاجمة العرب بما لهم من ثقافة وأدب . وقد اشتهر البرامكة بتشجيعهم على نشر الثقافة الفارسية بالمال والتعزيب إذ أوصاهم والدهم يحيى بن خالد بقوله .

لا بد لكم من كتاب وصال وأهوان فاستميناوا بالأشراف ، وأياكم وصفة الناس ، فإن النعمة على الأشراف أبقي ، وهي بهم أحسن ، والعروف عندم أشرف والشكر فيهم أكثر<sup>(١)</sup> .

وقد كان كفاهم من الفرس .

على أن الفضل بن سهل نقل - قبل أن يكون وزيراً - كتاباً من الفارسية إلى العربية بمشورة من يحيى البرمكي ، فاعجب به ، ودعاه إلى الإسلام لينال ما يستحق من مفاصل .

كذلك نقلوا من الفرس الملك والموسيق والنساء .

وأشهر العقلة نوحخت وابنه الفضل الذي نقل من الفارسية كتباً في النجوم وغيرها ، وعلى بن زياد الليمي وبكنى أبا الحسن ، نقل من الفارسية كتاب زيج الشهريار ، والحسن بن سهل كان من المنجمين والزجيين ، وإسحاق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة بأخبار نامه ، وعبد الله ابن المقفع ترجم كتاب التاج في سيرة كسرى أنوشروان و « خدا ينامه » في تاريخ الفرس من مبدأ ملكهم إلى نهايته ، وصماه ( تاريخ ملوك الفرس ) و ( آيين نامه ) أي نظم القوس وماداتهم وكتاب ( مزدك ) ، وما ترجم أبان بن عبد الحميد كتاب ( سيرة أردشير ) وكتاب مزدك وكتاب من ( بوذا ) .

كذلك ترجم آخرون عهد أردشير ، وكتاب مريد موبدان وكتاب أدب الحرب وتوقيعات كسرى .

وقد استقى لأؤلفون تاريخ الفرس من الكتب التي ترجمها ابن المقفع وغيره ،

فالسعدي يذكر أنه قرأ بمدينة (أسطخر) سنة ٣٠٣ هـ كتاباً عظيماً في أخبار ملوك  
الفرس وسمايتهم وأحوالهم لم يجدها في كتبهم التي قرأها من قبل مثل (خدا ينامه)  
وآيين نامه وكنشاسا وغيرها ، وحزمة الأصهباني يمدني ثمانية كتب في تاريخ الفرس  
استمد منها ما كتبه في تاريخهم ، منها (سير ملوك الفرس) ترجمة ابن المقفع .

ونجد في كتاب (التاج) المنسوب إلى الجاحظ اقتباساً كثيراً جداً من نظم  
الفرس وعاداتهم وسلوكهم ، يخالطه اقتباس من الأثوري عن العرب في الجاهلية  
والإسلام .

وليس من شك أن الفرس الذين ترجوا من الفارسية إلى العربية ، والذين القوا  
في العربية مؤلفات شتى في أنواع المعرفة كان لهم نصيب عظيم في توجيه الحركة  
العملية والسير بها إلى الإمام .

وحينما نقول إن لهم نصيباً عظيماً فإنما نمتدح بآثارهم ، ونشيد بفضلهم ،  
ولا ننسى الطبري والبخاري والرازي والبخاري والبيروني والقاراني وابن سينا  
وعيرم من سذكراً أسماءهم ، لكننا لا ننسب الفضل كله إلى الفرس فننمط العرب  
نقمهم من الفضل كما فعل ابن خلدون ومن ساروا على أثره .

#### دعوى ابن خلدون :

قال ابن خلدون :

من الذريب الواقع أن حلة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم ، سواء في ذلك  
العلوم الشرعية والعلوم العقلية ، إلا في القليل النادر ، وإن كان منهم العربي في  
نسبته فهو مجتمى في لغته ومربى ومشيخته ، مع أن السلة عربية وصاحب شريعتها  
عربي .

ثم يسل ذلك بقوله :

والمبب أن اللغة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة ، لفتنى أحوال السذاجة  
والبداءة . وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيها كان الرجال ينفقونها في  
سدورهم ، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع

وأصحابه ، والقوم يؤمّنون ، لم يعرفوا أمر التلميم والتأليف والتدوين ، ولا دفعوا إليه ، ولا دفعهم إليه حاجة ، وجرى الأمر على ذلك زمن العصابة والتأبين . . . . .  
ثم احتج إلى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث وكثر استخراج الأحكام من الكتاب والسنة ، وكان الحسن قد فسد ، فاحتجج إلى وضع القوانين النحوية ، وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والفهم ، واحتاجت إلى علوم أخرى هي وسائل لها من معرفة قوانين المربية وقوانين الاستنباط والقياس والدفاع من العقائد بالأدلة ، فصارت هذه العلوم كلها علوما ذات ملكات محتاجة إلى التلميم فتدرجت في جملة الصنائع .

وقد كنا قدّمنا أن الصنائع من منتحل الحضرة ، وأن العرب أبعد الناس عنها ، فصارت العلوم حضرية ، وبعدتها العرب .

والحضرة في ذلك العهد هم المعجم أو من في مقامهم من الوالى وأهل الخواضر الذين حاكوا المعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف ، لأنهم أهل حضارة واستخفة منذ دولة الفرس . فكان صاحب صناعة النحر سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما ، وكلامهم عجم في أنسابهم ، وإنما رويوا في الحسن العرب ، فأكتسبوه بالربى ومخاطبة العرب ، وصيروا قوانين وقتنا لمن بعدهم .

وكذا حلة الحديث الذين حفظوه من أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والربى .

وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماء ، وكذا حملة علم الكلام وأكثر المفسرين ، ولم يبق بمحفظ العلم وتدوينه إلا الأماجم ، وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم :

« لو تلقى العلم بأكتشاف السوء لئله قوم من أهل فارس » .

أما العرب الذين أدرخوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها من البداوة فشتاتهم الرئاسة في الدولة العباسية ، وما دفعوا إليه من القيام بالملك من القيام بالعلم ، فإنهم كانوا أهل الدولة ومحامها وأولى سياستها ، مع ما يلحقهم من الأئمة من



العلم حيفت بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء أبدا يستسكفون من الصنائع ،  
والهن وما يجرب إليها . وتركوا ذلك إلى من قام به من العجم والولدين ، وما زالوا  
يرون لهم حق التمام به فإنه دينهم وعلومهم ، ولا يحتقرون عنها كل الاحتقار ،  
حتى إذا خرج الأمر من الرب جملة وصار للمعجم ، صارت العلوم الشرعية غريبة-  
التعبية عند أهل الملك ، بما هم عليه من البعد عن نسبتها .

وأما العلوم العقلية فلم تظهر في الملة إلا بعد أن تميز جملة العلم ومؤلفوه ، واستقر  
العلم كله صناعة ، فاختصت بالمعجم ، وتركها العرب ، وانصرفوا عن أختصاصها .  
فلم يحملها إلا للمربون من العجم شأنها شأن الصنائع <sup>(١)</sup> .

فهو يرى أن جملة العلوم - إلا القليل النادر - من المعجم ، وبخاصة من  
الفرس ، وأن الربى منهم في نسبه أمجى في بيئته وتعلمه ومعرفته بلغة المعجم .  
وأخذ من علمهم .

وبمم حكه هذا على العلوم التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، ويمثل بالعلوم .  
الغريبة من تفسير وحديث وأصول ومفاهيم ، وبالعلوم الإنسانية من نحو وصرف ولغة  
وبالعلوم الكونية التي ازدهرت بعد ذلك ، ويمثل اختصاص المعجم بالعلوم وتعلم  
العرب عنهم بثلاثة أصناف .

١ - كان العرب أهل بدو في الوقت الذي كان فيه المعجم أهل حضارة ،  
والبدو لا تهتم بالعلوم ، وإنما تقتضيها الحضارة ، فلما دعت الحاجة إلى وضع  
التفاسير وتدوين الحديث واستنباط الأحكام من القرآن والسنة ووضع القواعد الشرعية  
تقدم المعجم العرب ، لأنهم أصحاب ملكات راسخة من قبل .

٢ - لما تحضر العرب شغلهم الملك والحكم والسياسة والرياسة عن الاشتغال  
بالعلوم فاشتغل بها المعجم .

٣ - استعكف العرب وهم أهل الرياسة من ممارسة العلوم ، لأنها من أرواح .

الحرف والصنائع ، وتركوها للأعاجم ، ولم يجدوا في ذلك حرجاً ولا بأساً لأن الدين لهم جيداً ، ولأن العلوم المحمّدية النسبة .

أما الذين وافقوا ابن خلدون على رأيه فكثير منهم يرون إذا يقول : لو أنك نزلت من العلوم العربية نصوب علماء الفرس فيها لثرت خير نصيب ، ومنهم من كرم إذ يقول : لقد وضع النحوي العربي أجانب من الآراميين والفرس ، لحاجتهم إلى تعلم العربية كتابة وقراءة . وينابول دى لاجارد في قوله إن المسلمين الذين برعوا في العلوم آربون كلهم وليس فيهم سامي واحد<sup>(١)</sup> .

#### مناقشة ابن خلدون ومؤيديه :

من التجنى على العرب وتخطم حزمهم أن يتناسى ابن خلدون والتأثرون به جهود العرب العظيمة في مجال العلم ، وأن يتدارك حكمه الجائر فيقول : إن المتفلسفين بالعلوم من العرب كانوا قلة نادرة ، وبهذا يمزو الفضل كله إلى المعجم .

### ( ١ )

وسيتبين لنا في غير تعصب أن العرب وضعوا بعض العلوم وألفوا فيها قبل أن يتصلوا بالمعجم ، وأنهم ساهموا بنصيب كبير في التأليف بعد انصالحهم بالآدم من فرس وغيرهم .

#### ١ — العلوم الشرعية :

إذا كان أبو حنيفة فارس الأصل فإن الأئمة الثلاثة الآخرين مالكا والشافعي وابن حنبل عرب خلص .

وحسبنا أن نلاحظ أن أبا حنيفة تلقى أكثر علمه على حماد بن أبي سلمان ، وحماد هذا ينسب بالولاء إلى قبيلة أشعر الجندية ، وقد تلقى حماد على عربيين يمينيين هما إبراهيم النخعي وعاصم الشامي ، وتلقى هذان من عرب هم شريح بن الحارث

(١) تراث فارس ٣٧٠ — ٣٧٣ ترجمة بطوب بكر . والحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها :

بالمؤثرات الأجنبية فوق كويمر ٩٠

المكدي ، وعلمته بن قيس النخعي والأسود بن يزيد النخعي ومروق بن الأجدع ؛  
الهمداني ، وهؤلاء الأربعة أخذوا من علي بن طالب . وعبد الله بن مسعود ، وهما  
من صفوة العرب .

ثم نتقل إلى ملاحظة ثانية هي

أن أشهر تلاميذ أبي حنيفة ثلاثة : أبو يوسف ويحيى وزفر . فأما أبو يوسف  
وزفر فهما مرييان ، وأما محمد بن الحسن الشيباني فهو من اللواتي ونسبته إلى  
شيبان بالولاء .

وخليق بنا ألا ننسى من علماء التشريع والقضاء هؤلاء العرب : ابن عباس  
وعلي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبا الهرداء والأوزاعي وعمر بن عبد العزيز  
وأمثالهم .

وإذا فقد استبان أن ثلاثة من أصحاب المذهب الأربعة عرب ، وأن اثنين من  
تلاميذ أبي حنيفة الثلاثة مرييان ، وأن أكثر من استقى منهم أبو حنيفة عرب ،  
وأن كثيراً من علماء التشريع والقضاء من العرب .

وليس من الانصاف أن ننسى أن أول من ألف في الفقه الإسلامي . رب هو  
مالك بن أنس .

وإذا كان من علماء الأصول مجمل ، فإن الذي وضع العلم ، وسبق إلى التأليف  
فيه عربي صريح هو الشافعي ، حتى يقال إن نسبته إليه كنسبة للنطق إلى أرسطو  
ونسبة المروض إلى الخليل

وإذا كان البخاري فارسيًا فإن مسلم بن الحجاج وابن كريمة مرييان .

## ٢ — المعلوم الثموية

واشتهر بها من أبناء الفرس سيبويه والكماني وأبي علي الفارسي والزيجاني  
والفراء وابن جني وابن فارس .

واشتهر بها من العرب الخليل بن أحمد والمازني وابن دُرَيْد والبرد والأزهري  
والنضر بن شميل والضيبي .

ومن الإنصاف أن نذكر سبق الخليل بن أحمد القراهدى ، ثم عمرو بن منيم ، وهو أول من دون كتاباً في النحو أملاه على تلميذه سيدييه وهو أول من استنبط أوزان الشعر العربي وحصرها في ستة عشر بحراً نقلاها الفرس إلى لنهم فيما بعد ، ونظموا عليها كما سنبين في الفصل الأخير .

### ٣ - الرواية والدراسة الأدبية :

إذا كان من أبناء الفرس من برع فيها مثل أبي عبيدة معمر بن النخعي وحماد وخلف الأحمر وأبي عمرو الشيباني والتعريزي والجرجاني فقد برع فيها من العرب كثير منهم قتادة بن ديمامة - من رواة المعسر الأموي قالوا عنه : لم يأتنا شيء من علم العرب أسح مما أتى به قتادة - وأبو عمرو بن الدلاء - أهل الناس بالعربية والقراءات وأيام العرب وأشعارها - والأصمعي وأبو زيد الأنصاري والفضل الضبي ومحمد بن سلام الجعفي والجاحظ وأبو حيان التوحيدي وأبو الفرج الأنصاري

### ٤ - علم الكلام والفلسفة :

إذا كان الذين يقضون بتخلف من المعجم في علم الكلام والفلسفة ، بضربون المثل بواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبي الهذيل الأنطوني والظالم الفارابي والرازي وابن سينا ، فإننا نضرب المثل من العرب ببشر ابن المتمر والجاحظ وديمامة بن الأندلس النعمرى ، وجعفر بن بشر الثقفي ، وجعفر بن حرب الهمداني والحسن البصري ، وأحمد بن أبي داود ، ثم بالكندى وأبي حيان التوحيدي .

### • - التاريخ :

نذكر من المؤرخين الفرس الطبري وابن مسكويه والبلاذري وابن خلكان ، لكننا لا ننسى أن كثيراً من المدونين الأوائل لحيرة النبوية حرب مثل أبان بن عثمان وعروة بن الزبير بن العوام ، وثور حبيب بن ساعد وعبد الله بن البكر بن حزم ، وعاصم ابن ممر بن قتادة ، وابن شهاب الأزهري .

ولا ننسى أن كثيراً من المدونين الأوائل للتاريخ الإسلامي عرب مثل أبي مخنف ط بن يحيى ، وسيف بن عمر ، وأثير بن بكار ، والميثم بن عدي الذي سبق الطبري

بترتيب الخواص حسب المنهج ، وقد اعتمد الطبري على كتب هؤلاء فيما اعتمد عليه  
من مراجع ومصادر .

كذلك اشتهر من مدوني الأنساب حرب مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه  
هشام وأبي اليقظان النسابية .

ولا يصح أن ننسى أمثال ابن هشام وانسمودي وأبي الفرج الأصفهاني .

## ( ٢ )

على أن ابن خلدون والتأريخ برأيه نسوا أو تناسوا أن العلماء المنسوبين إلى الفرس  
يرجع كثير منهم إلى أصل فارسي بعيد أو شبه بعيد ، لأن صلتهم بنسبهم تمتد على  
الجد أو ما بعده ، وبمضهم يمتد إلى الفرس من جهة أبيه وحده أو من جهة أمه  
وحدها ، فنصلهم الآخر عربي .

وهؤلاء وأولئك حرب في لغتهم وفي ثقافتهم ، وفي دينهم ، ومثاقون بالمجتمع  
العربي الإسلامي إلى حد بعيد ، ولولا الإسلام والحرية التي نموا بها والتشجيع الذي  
كلفه المسلمون لهم وحفزوا به عزائمهم لولا ذلك ما انتعجوا انتاجهم الذي رفع  
من أقدارهم .

ويكفي أن نضرب المثال بالايث بن سعد أحد أئمة الفقه في مصر ، فإن أصله  
البعيد من أصله فارسي ، وقد وفد أهله على مصر ، ثم ولد في فلفشنة سنة ٨٩٤ هـ .  
وتعلم على شيوخ مصر ، ثم رحل إلى الحجاز وسمع من شيوخه ، وشخص إلى العراق  
ودرس على علمائه ، ثم عاد إلى مصر واستقر بها ، فملأته بالفرس لا تتجاوز النسب  
لأن مولده ومنشأه وحياته كلها في بيئة عربية ، وثقافته عربية إسلامية .

وهذا شأن كثير من علماء المعجم في الإسلام

## ( ٣ )

ولسنا نوافق ابن خلدون على أن العربي من العلماء محمى ولنته ومرياه ومشيخته

لأنه تناسى أن البيئة لم تكن هربية خالصة ولا جمعية خالصة ، بل كانت مزيجاً من  
هنا وهناك في كثير من مظاهر الحياة .

ثم إن السوابب بجانبه في دعوته أن هؤلاء الملأ العرب كانوا جميعاً في لغتهم ، لأن  
أكثرهم لم يكن يعرف غير العربية ، على أنه يتناقض نفسه في قوله إن سيبويه والفارسي  
والزجاج جميع في أسابهم ، وإنما دبروا في اللسان العربي ، كما كتبوه بالعربي ومخالطة  
العرب ، وصبروه قوامين وفنانين بمدم .

فهو يرى البيئة هنا متأثرة بالعرب وبرأها من قبل جمعية القنة والمظاهر والأصانة

### ( ٤ )

وإذا كنا نوافق على بعض تلميذه لكثرة الملأ من الديجيم ، كما نختلفه في  
دعوته أن العرب امتوا - لأنهم سادة - من الاشتغال بالعلم ونحوها عنه للمعجم .  
فذلك أن العرب في تاريخ العلم عدا متألماً لا يخبو ، فقد حكموا على أن يتعلموا  
مفد شرح الله صدورهم للإسلام ، ووجدوا في طلب العلم عبادة واستجابة لدعوة  
دينهم ، وكانوا بطبيعتهم متأهبين للتحضر والترق ، فأقبلوا على مآهل العلم أقبالا ،  
ولهذا كانت ثقافتهم في العصر الأموي - من قبل أن ينقلوا عن الفرس واليونان  
والهند شيئا ذا قيمة - متعددة الألوان ، وكان علماءهم يملأون الانصار .

ولم يأنف العرب أن يتلقوا الثقافة على بعض الرأى واليهود والنصارى منذ  
العصر الأموي <sup>(١)</sup> .

وكان بعض الخلفاء الأمراء يباهون بعلومهم ، ويقربون إليهم الملأ في العصر  
الأموي والعباس ، حتى صار تقديرهم لملأ مثلاً رائداً في الشفيع بالمرقة وتشجيع  
الملأ .

فن أين تأ - لا بن خلدون أن العرب كانوا يأنفون من انتمثال العلم فتغلوا عنه  
المعجم ؟

(١) أدب السياسة في العصر الأموي للذولف .

وقد تزداد الحقيقة الكشف حينما تنهت إلى أن كثيرا من العلماء عرب خاص ،  
لكنهم ينسبون إلى بلدان أجنبية ، فيائبس نسبهم أو يخفى ، ويظن أنهم من المجمع .  
من هؤلاء : معلم الحجاج النيسابوري ، فهو عربي من قشبر ، لكن أهله كانوا يقيمون  
بنيسابور فنسب إليها ، ومنهم أبو الفرج الأصفهاني من بني أمية ، لكنه ولد  
في أصفهان فنسبوه إليها ، منهم أبو داود السجستاني ، مؤلف السنن فهو عربي من الأزدي .  
منسوب إلى سجستان .

### ( ٥ )

على أن أولئك العلماء من أبناء الفرس قد اصطنعوا العربية لغة علمية لهم ،  
والفوا في العلوم العربية نفسها وفي العلوم الدينية ، فهم إذا عرب ، عرب بانتمهم  
ومؤلفاتهم ، فن التمسب أن نمدم غير عرب ، وقد سبق اليونان إلى الحكم على كل  
من يتكلم اليونانية بأنه يوناني .

وإذا فقد أسنان أن ابن خلدون لم يكن دقيقا في حكمه ونميه ، ولا يمتينا  
الدافع إلى هذا الحكم أكان توجلا أم تأثرا برأى آخر أم تمصبا على العرب .  
وأما الحديث القى ذكره :

« لو تملق العلم بأكتاف السماء لثاله قوم من أهل فارس » فلبس من العسقة  
على شيء ، وقد سبق في دراسة الشموية أن هذا الحديث وأشباهه أحاديث  
مفتراة .

## الفصل السابع

### اثر الفرس في الأدب العربي

إقبال الفرس على اللغة والأدب :

منذ أواخر القرن الهجري الأول تساندت عدة عوامل على فصح المجال لأبناء الفرس والتأثرين بأدبهم ليظهر تأثيرهم في الأدب العربي شعره ونثره ، فلما استقام الملك لبنى العباس ، وتبوأ الفرس فيه مكانا عليا ، ازداد محال تأثيرهم الساعا ، وازدادت مظاهرهم في الأدب وضوحا .

ذلك أن كثيرا من كتاب الدولة كانوا فرسا ، فقد كتب عبد الحميد بن يحيى لبني أمية . وكان منصب الكاتب يقتضيه أن يكون واسع الثقافة ، متجعد المعرفة ، لأنه يمرض على الخليفة وإتوال ما يرسل إليه ، ويكتب عنه ما يرسل منه ، فلم يكن بد للكتاب من احاطة هم العربية ومعرفتهم بالأدب الفارسي ، لهذا ألوا بحكم العرب وحكم الفرس ، ووقفوا على تاريخ العرب وتاريخ الفرس ، وجمعوا بين حكم الخلفاء الراشدين وأكثم بن صيفي وحكم يزدجير وكسرى أنوشروان .

يدل على تنوع ثقافتهم قول الجاحظ في بيان عيوبهم : إن الواحد منهم يقوم إذا مرض جبهته وطول ذيله وعقص على خده سدفة ، أنه التبويع لا التبايع ، ثم إن الناس منهم إذا حفظ من العلم ماجة ، وروى لغزيرهم أمثاله ، ولأردشير عهده ، ولمبد الحميد رسائله ، ولابن المقفع أدبه ، وصير كتاب مزدك مددنا عليه . . . أنه الفاروق الأكبر في التدبير . . . فيكون أول طمعه على القرآن في تأليفه ، والقضاء عليه بتناقضه ، ثم يظهر ظرفه بتكذيب الأخبار ، وتمجيد من قتل الآثار . . . ثم يشيد بسهاسة أردشير بإبكان وتدبير أنوشروان واستقامة البلاد لآل ساسان ، فإن حذر الميون وتفقده المسلمون رجع بذكر السنن إلى المقول ، وعكس القرآن إلى ( ١٠ - أخبار المذنبية )



المنسوخ ، ونفى ما لا يدرك بالميان ، وشبهه بالشاهد الغائب<sup>(١)</sup> . ثم أنه كثر في العصر  
العباسي أبناء الفرس اللغاة بالعربية والفارسية ، وكان في العصر نفسه عرب يعرفون  
الفارسية ، وهؤلاء وأولئك كان لهم شعر وثرف فيه أمكار فارسية في قوالب عربية .

من الطائفة الأولى ابن المقفع وسهل بن هارون والفضل بن سهل وموسى بن سيار  
الأسواري ، يذكر الجاحظ<sup>(٢)</sup> أنه كان قصاصا من أمجيب الدنيا ، وكانت فصاحته  
بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية يجاس في جملة المشهور به فتقعد العرب من عينه  
والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسر لها بالعربية ، ثم يفسرها  
لفرس بالفارسية ، فلا يدري بأي لسان هو آيين .

وهناك كثير من أبناء الفرس كانوا أندبرهوا في الفنة العربية وأجادوا الأدب  
العربي ، فأوسم الخرساني كان يحفظ كثيرا من الشعر ، وأبو سلامة الخلال كان  
فصيحا عالما بالشعر والأخبار والجدل . وكان البرامكة ذوى بلاغة عربية مشهورة ،  
يقول سهل بن هارون في وصف يحيى بن خالد البرمكي وأبنة جعفر :

لو كان كلام يتصور درأ ، أو يحمله المنطق السرى جوهر السكان كلامهما ، والنتقى  
من لفظهما .

وقد مهد الرشيد إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكي أن يشاركه في التوقيعات ،  
فنهول التوقيع إلى منصب ، من توقيعات جعفر بن يحيى البرمكي لئلا يمل كثر  
التظلم منه :

( قد كثر شاكوك ، وقل شاكروك فاما اعتدات وأما اعتراضات ) .

ومن توقيعاته إلى طلب مستمنح وصله مرات من قبل .

دع القرب يدرك لغيرك كما در لك .

وقد ذاع عن البرامكة تشجيعهم للبلغاء وحبائهم للشعراء وتبجيلهم إلى بني

(١) ذم أخلاق الكتاب ٤٢ من ثلاث رسائل الجاحظ أقرها يوشع فنيشكيل .

(٢) البيان والتبيين ١ - ٤٦٨

جنسهم أن يتفوقوا في اللغة العربية ، ليعلمهم في الوظائف الكبار كما يتبين  
من أخبارهم في كتاب « الوزراء والكتاب » وغيره .

ومن الطائفة الثانية الشاعر المباسي كاثوم بن عمرو المشهور بالعتابي فهو عربي  
من قناب ، نهل من ثقافته الفرس ؛ واستهوته معانيهم فنقل بعض كتبهم إلى العربية  
ولما سئل عن حرصه على النقل قال :

« إن الماني في كتب النجم واللغة والبلاغة في العرب »



## ١ — مظاهر في الشر

١ — الفصل :

ترجم كثير من الفرس الذين حذقوا اللغة العربية كتباً شتى من الفارسية إلى العربية . يهمنها الآن كليلية ودمنة الذي ترجمه ابن المقفع ، وقصة دستم واسفندبار التي ترجمها جيلة بن سالم<sup>(١)</sup> ، وهزار أفسانه - ألف خرافة - وهو أصل من أصول ألف ايلة ويلة ، وكتاب خرافة وزهه ، وكتاب عمروود وغيرها .

أما كليلية ودمنة فإنه قد نقل في أيام كسرى أنوشروان من الهندية إلى الفهلوية وكان الباحثون في شك من ذلك ، حتى عد الأستاذ هرتل على بعض الأصول الهندية الأولى ، كما مر غيره على بعض أبواب من الكتاب مفرقة . ويرجعون أن باب ( بنه زردوية ) وباب « ملك الجردان » من زيادات الفرس ، وأن في الكتاب فصولاً زادها ابن المقفع<sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن كليلية ودمنة أول كتاب يقص على السنة الحيوان قصصاً مفصلة متداخلة وبورد على ألسنها حكاً وأمثالاً وعظات ، ثم ألفت كتب شتى على غرارها مثل ( السادح والباغم ) لابن الهبارية و ( سلوان الطامح ) لابن ظفر و ( فاكهة الخلفاء ومناظرة الظفراء ) لابن عربشاه ، وهي مطبوعة كلها .

ونظمه شعراً أبان اللاحق ، وابن الهبارية ، وإذا كان الأول لم يتبق منه إلا مقطوعات فإن الثاني بق وطبع . من نظم أبان للكتاب قوله :

هذا كتاب كذب ومعة	وهو الذي يدعى كليلية ودمنه
فيه دلالات وفيه رشد	وهو كتاب وضعت الهند
فوصفوا آداب كل علم	حكاية من ألسن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله	والسخفاء يشتمون هزله

(١) اقهرست ٣٠٥

(٢) خضر الإسلام ١ — ٢١٦

وهو على ذلك -سير الحفظ - لذه على اللسان عند اللفظ<sup>(١)</sup>

وأما ألف ليلة وليلة فقد ذكر المسعودى أنه فارسى كله ، ونبهه النديم<sup>(٢)</sup> . ثم تمددت الآراء فى أصل الكتاب ، فمن قائل إن أصله فارسى ، وقائل إن أصله هندى ، وذهب إلى أنه حكايات فارسية وهندية ، وهناك من رأى أنه كتب كله فى العصر المماليكى على أثر انتشار أخبار الفرس وأنصبتهم على السنة العامة ، ثم زبدت عليه قصص أخرى فى أما كن وأزمان مختلفة والمخ بعض الباحثين فنق من الكتاب أى أثر فارسى أو هندى - ثم أبد المسعودى فى روايته عالم اللانى مستشرق ، ولكن العالم الانجلىزى ( لين ) قرر أن الكتاب كله بقلم كاتب واحد عاش بين سنة ١٤٧٥ و ١٥٢٥ م وقسم العالم الألمانى ( رول ) الكتاب قسمين : قسم كتب فى مصر وقسم كتب فى بغداد ، وقسمه بعضهم ثلاثة أقسام : قسم نقل من الأصل الفارسى ( هزار أفمانه ) وقسم كتب فى بغداد وقسم ثالث كتب فى مصر . وعقب المستشرق الباجيكي ( شوفان ) بأن القصص التى كتبت فى مصر تولى كتابتها بعضها يهود وأغلب الظن أن أرجح هذه الأموال هو أن الأصل الأصيل للكتاب القصص الفارسية . وهى التى ترد فيها أسماء وأحداث فارسية مثل شهرزاد وشاه زمان ، وبه قصص هندية مثل قصة الفاجر المارق بلغة الحيوان .

وهذا القسم الفارسى المخاطب بدخيل من الهندى بصورة ميل الأمتين إلى تضخيم الخيال ، والاصديق بهجائب المخلوقات وغرائب الأحداث ، كالأممك الكبيرة الحجم المختلفة الشكل وطير الزح العظيم الحجم .

وقد ترجمت هذه القصص إلى العربية فى القرن الثالث الهجرى ثم زيد عليها بعد ذلك قصص فى بغداد وفى القاهرة .

وقد تأثر العرب بألف ليلة وليلة ، فآلفوا قصصاً على غرارها أضافوها إليه ، بعضها كتبوه فى بغداد وبعضها كتبوه فى القاهرة . ثم آلفوا قصصاً أخرى ، كما

(١) فى كتاب الأوزان قصوى مخطوط بدار الكتب ( ٩٥٤ تاريخ ) طائفة من نظم أبان الكتاب .

(٢) مروج الذهب والنهرست .

فل الجهم يارى إذ أنف كتابا فيه ألم سمر من أسفار العرب والمعجم - الفرس ..  
والزوم ، واجتمع له أربعمائة ليلة وثمانون ، كل ليلة سمر تام يحتوى على خمسين ورقة  
ولكن النية عاجته قبل إكماله . وقد رأى ابن النديم منها عدة أجزاء <sup>(١)</sup> .

وكذلك ألفوا قصصاً من أخبار العرب وحروبهم فى الجاهلية مثل قصة البراق  
وقصة عنزة . وسيف بن ذى بزن . ثم ألفوا قصصاً إسلامية مثل قصة مجنون بلبل  
والظاهر بيبرس .

## ٢ - الحكم والأخلاق :

ترجم كثير من الفرس الذين حدثوا اللغة العربية كتباً شتى من الفارسية إلى  
العربية ، فى الحكم والأخلاق والسلوك ، فترجم ابن المقفع كتاب ( الأدب الكبير )  
وكتاب ( الأدب الصغير ) وترجم غيره كتاب أردشير فى التدبير ، وتوقيعات  
كدرى ، وكتاب أدب الحرب

ومن هنا ترددت حكم الفرس وآراءهم السلوكية منسوبة إلى أردشير ويزدجرد  
وبهرام وسابور وأوشروان ويزدجهر وغيرهم ، وازدادت فى البيان والتبيين وعيون  
الأخبار والمقدّمات وما شاكلها من كتب الأدب العربى وهى حكم تلائم الطبع  
العربى الذى يميل إلى الإيجاز والتركيز ، وإن خالفته حيناً فى دلائلها على كد الفكر  
وطول التروى والتدبير والإعداد ، لأن هذا نمط مغاير لكلام العرب النابت من  
بدية وأرجال .

من الأفكار الجديدة التى تدل على التقاطع فى التفكير والتأثر بالعلوم العقلية قول  
ابن المقفع فى الأدب الكبير :

إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يفضيك ذلك ، فإنما هو أحد رجلين : إن كان  
رجلاً من إخوان الثقة فأنفع موطنه لك أمرها من عدوك ، أشربكفه عنك ،  
وعودة بسترها منك ، وغائبه يطاع عليها لك ، وأما عدوك فإنا أعناك أن يحضره

ذو فئتك وإن كان رجلاً من غير خاصة إخوانك فبأى حق تقطعه من الناس ،  
وتسكفه ألا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى ؟  
ومنها قوله :

إبذل لصديقك دمك ومالك ، ولعرفتك وفدك ومحضرك ، ولإمامة بشرك  
ومحنك ، وللدوك عدك ، واضيق بديك وعرضك عن كل أحد .

أخزن عقلك وكلامك إلا عند إسابة الموضع ، فإنه ليس في كل حين يحسن كل  
الصواب ، وإنما تمام إسابة الرأي والقول بإسابة الموضع ، فإن أخطأت ذلك ، أخطأت  
الحكمة على عدك حتى تأتي به - إن أيت به في غير موضعه - وهو لا يهبأ له  
ولا تلاوة له ، ليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرض منك على  
أن تقول .

تحفظ في كلامك وعملك من التطاول على الأصحاب ، وطب نقداً من كثير  
مما يمرض لك فيه صواب القول والرأي ، مداراة . لتلايظ أصحابك أن ما بك  
التطاول عليهم  
وكذلك قوله :

أعلم أن الملك ثلاثة : ملك دين ، وملك حزم ، وملك هوى ، وأما ملك الدين  
فإنه إذا أقم للرعية دينهم ، وكان دينهم هو الذي يطعمهم الذي لهم ، ولبحق  
بهم الذي عليهم ، أَرْضَاهُ ذلك ، وأزل السخط منهم منزلة الرضى في الإفراد  
والتسلم .

وأما ملك الحزم فإنه يقوم به الأمر ، ولا يسلم من الطمن والتسخط ، وإن بخر  
طمن الضعيف مع حزم القوى .

وأما ملك الهوى فليس ساعة ودمار دهر .

ومنها ما نقله الجاحظ :

فيل أبرز دهر القارصى : أى شئ . أستر لئى ؟

قل : عقل يحمله ، قالوا : فإن لم يكن له عقل ؟ قل : قال بستره .

قالوا : فإن لم يكن له مال ؟ قل : فإخوان يعبرون عنه . قالوا : فإن لم يكن له إخوان يعبرون عنه ؟ قل : فيسكون عبياً صامتاً . قالوا : فإن لم يكن ذا صمت ؟ قل : فموت وحي<sup>(١)</sup> ( مريع ) خير له من أن يكون في دار الحياة<sup>(٢)</sup> .

ومنها ما ذكره ابن قتيبة :

يروى عن بزرجهر قوله : إذا أفطت عليك الدنيا فأنفق ، فإنها لا تغنى ، وإذا أدبرت عنك فأنفق ، فإنها لا تبقى ، أخذه شاعر فقال :

فأنفق - إذا أنفقت - إن كنت مومرا      وأنفق - هل ما خفئت - حين تُعسرُ  
فلا الجرد يُغنى المال والجرد مقبل      ولا البخل يُبقي المال والجد مدبر<sup>(٣)</sup>

وقيل لابن المقفع : لم لا تطلب الأمور العظام ؟ فقال : رأيت المال مشوبة بالفساد ، فانتصرت على الحول ضناً بالمافية .

أخذه السائب فقال :

دمي تجنى ميتى مطمئنة      ولم أنحشم هول تلك الوارد  
فإن جسيات الأمور مشوبة      بمشودعات في بطون الأساود

وهذه فقرات من كتاب ( التاج في أخلاق الملوك ) المنسوب إلى الجاحظ<sup>(٤)</sup> يلين منها لون من النظم والأخلاق المنقولة عن الفرس :

( ١ ) ومن حق الملك ألا يتحدث على طامامه يتحدث جد ولا هزل ، وإن ابتدا يتحدث فليس من حقه أن يمرض بمثله ، وليس فيه أكثر من الاستماع لحديثه والأبصار خاشمة . واثني ما كانت ملوك ساسان إذا قدمت مواثيم زهزموا عليها ،

(١) البيان والنبين ١ - ٧ بزرجهر : حكيم فارس هو الذي قدس تاريخ نسخ كتاب كلبية ودمية وترجمته من كتب الهند .

(٢) عيون الأخبار ٣ - ١٧٩

(٣) ١٨ و ٤٧ و ٩٤ و ٩٥

فلم يتعلق ناطق بحرف حتى ترفع ، فإن اضطروا إلى كلام كان مكانه إشارة وإيماء يدل على الفرض الذى أرادوا والمضى الذى قصدوا .

(ب) فأما كل ما أمكن الملك أن يفرد به دون خاصته فمن أخلاقه ألا يشارك أحداً فيه ، كذا حكى عن انوشروان ومناوية بن أبى سفيان ، وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا .

ألا ترى أن الأنم الماضية من الملوك لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا شيئاً تستعز عنه الرعية ، أو تزيرا زى يبهون الرعية من مثله ؟ .

فمن ذلك أردشير بن بابك وكان أنبل ملوك بنى ساسان كان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحداً في المملكة على رأسه فضيب ربحان متشعباً به ، وكان إذا ركب في لبسة لم ير على أحد مثلها ، وإذا تخيم بخاتم حرام على أهل المملكة أن يتخذوها يمثل ذلك النفس وإن بعد في التشابه .

وهذا أبو أحيحة سعيد بن الناص كان إذا أتم بمكة لم يتم أحد بمكة ما وامت على رأسه .

وهذا المجاج بن يوسف كان إذا وضع على رأسه طويقة (القفوة عالية) لم يجترأ أحد من خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلاً .

وهذا عبد الملك بن مروان كان إذا لبس الخف الأصفر لم يلبس أحد من الخلق خفاً أصفر حتى ينزعه .

(ج) ومن حق الملك إذا عطس ألا يشمت ، وإذا دعا لم يؤمن على دعائه . وكانت ملوك الأعاجم تقول : حقيق على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة ، وليس بحقيق للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح ، لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاء الملك الصالح .

(د) ومن حق الملك أن يكتم أمراره من الأب والأم والأخ والزوجة والصديق ، فإن الملك بمقتضى كل منقوص ومأنوف<sup>(١)</sup> ، ولا يحتمل ثلاثة : صفة أحدهم أن يظن

(١) المأنوف : الرجل للكره .



و ملوكه ، وصفة الآخر أن يذبح أسرار ، وصفة الآخر أن يخونه في حرمه .  
فأما ما وراء ذلك فن أخلاق الملك أن تلبس خاصته ومن قرب منها على ما فيهم  
وأن تستقم منهم إذا سلخوا من هذه الصفات الثلاث .  
وكان كسرى أبرويز يقول : يجب على الملك السر . أن يجعل همه كله في امتحان  
هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه .

ثم ذكر في تفصيل طريقة كسرى أبرويز في امتحان رجاله في حفظ السر وفي  
مناظرة الحرم ، وفي الطمن في الملكة .  
وكتب ابن المقفع لأبي جعفر المنصور كتاباً الم فيه بما ينبغي على الخليفة أن  
يراعيه في سياسة الشعب <sup>(١)</sup> .

من هذا وصاته بجند خراسان . لأنهم جند لم يدرك منهم في الاسلام وفيهم  
منمة ، وهم أهل بصر بالطاعة وفضل عند الناس ، وعفاف نائوس وفروج ، وكف  
عن الفساد ، وفل لولاة ، ورأى ألا يولى أحد منهم شيئاً من الخراج ، فإن ولاية  
الخراج مفسدة المقاتلة ، وقل إن فيهم مجهولين أفضل من بعض قادتهم فلو قربوا  
وأحسنوا إليهم كانوا عدة وقوة .

ومنه إشارته على الخليفة أن يوقت للجند وقتاً يعرفونه في كل ثلاثة أشهر  
أو أربعة أو ما بدا له ، فينقطع الاحتياط والشكوى ، وأن تزداد أرزاقهم ، لأنهم  
يحفزون إلى كثرة المال لنلاء السر ، ورأى ألا يخفى على الخليفة أمر من أخبار الجند  
وأمرهم ، وأن يستعين الخليفة على تحقيق ذلك بالدفعة ولا يرضى بالمال ، ويستعين  
بالتقاة النصحاء من رجاله .

وأوصى الخليفة بالكوفة والبصرة ، لأنهم أقرب الناس إلى مشايخته ومعاونته ،  
وقال أن في أهل الدراق من الفقه والعفاف والعقل والفصاحة ما يندر أن يكون في  
غيرهم ، وما انقص من أمدارهم إلا الولاية الأشرار الذين تولوا عليهم .  
وبالتماساً لطيفاً لإبعاد كثير منهم عن شئون الحكم في مصر المباشرة بقوله :

(١) رسائل اللقاء ٤٩ ( نشره محمد د علي )

ثم كانت هذه الدولة ، فلم يتعلق من دونكم من الوزراء والمال الأب الأقرب فالأقرب ممن دما منهم ، فوقع رجال مواقع شائنة لجميع أهل الدراق حينما وقعوا من صحابة خليفة أو ولاية محل أو موضع أمانة أو موطن جهاد ، وكان من رأى أهل الفصل أن يقصدوا حتى يلتصقوا ، فأبطأ ذلك بهم أن يفرقوا أو ينفع بهم ، فزلزل الرجال من منازلها ، لأن الناس لا يافعون صاحب السلطان إلا متصفين بأحسن ما يقدرون عليه من الصمت والسكام . غير أن أهل النفس هم أسعد تصنعا ، وأحلى السنة ، وأرفق تعلقاً للوزراء ، أو تحملاً لأن ينهى عليهم من وراء وراء .

وهو في قوله : إن أهل النفس أشد تصنعا ، وأحلى السنة وأرفق تعلقاً في معاملة المحكام ، وأبرع تحميلاً على أن ينهى عليهم في غيائهم .

هو في قوله هذا يصور نفسية طائفة من الاشتهازين الذين يحسون بنقص كفايتهم فيتسلفون رقاب الأكفأ ثم أوصاء بأهل الشام ، وأن يختار منهم من يرجو عنده سلاحاً أو وفاء ، لأن تقريبه لهم بنسبهم تشبههم لبني أمية ، ورأى ألا يمامهم كما عاملوا هم أهل الدراق من قبل إذ حرّمهم فيهم ، ونحوهم عن المنابر والمجالس والأعمال واعتذر عنهم مما فرط من تأييدهم على دعوة بني المباس بأنه لم يخرج الملك من قوم إلا بقيت فيهم بقية يتوثقون بها .

وأوصاء بأصحابه الذين هم بهاء فئاته ، وزينة مجلسه ، والسنة رهيته ، وأهوانه على رأيه ، وموضع كرامته ، والحاسة من شعبه ، وحذره السفلة والاشتمازيين ( ممن لا ينتهي إلى أدب ذي نباهة ، ولا حسب معروف ، ثم هو مسخوط الرأي ، مشهور بالفجور في أهل مصره ، قد غير عامة دهره صامداً يعمل بيده ، فصار يؤذن له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ، وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل البيوتات من العرب ، ويمحى عليه من الرزق الضعف مما يجري على كثير من بني هاشم وغيرهم من مروات قريش ، ويخرج له من المدونة على نحو ذلك ، لم يضمه بهذا الوضع رعاية رحم ، ولا فقه دين ، ولا بلاء في مجاهدة عدو ، ولا فناء حديث ، ولا حاجة إليه في شئ من الأشياء . وليس بفارس ولا خطيب ولا ملامة ، إلا أنه

خدم كاتباً ، أو حاجباً فأخبر أن الدين يقوم إلا به ، حتى كتب كيف شاء ، ودخل حيث شاء .

لم يقتصر التأثير على الترجمة ، والوقوف عن المرفة ، بل تعدى ذلك إلى التدقيق والمحاسبة والانتقاس .

### ٣ - الكلف بالمحسنات .

أسطبلت الكتابة بمذهب الكلف بأغلى اللفظية والمندوبة حتى سارت في القرنين الثالث والرابع تكاد لا تخرج من هذا المذهب ولم يكن كتاب العرب يكافون بالصناعة هذا الكلف ، أو يقيمون فهم عليها وقد اشتهر بهذا المذهب كتّاب أكثرهم من الفرس ، وحاكام كتاب من العرب ، وزعيم هذا المذهب ابن العميد الفارسي ، وقد نشأ في بيئة فارسية ، وكان يجيد اللغة الفارسية ، ويجيد العربية ، وحاكاه صاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمي ، وبدیع الزمان الهمداني وغيرهم ، ثم جاء الخويزي فأمعن في الصناعة إمعاناً .

كذلك اتسمت الرسائل بالمقدمات والخوازم وتدويعها بحسب المقام وبالأكثر من القاب التظيم والتخيم .

وأول من استحدث ذلك هو الحميد بن يحيى في آخر الدولة الأموية ، ثم حاكاه كتاب العصر العباسي ، وأغرق بعضهم في الكلف بالمقدمات وألقاب التظيم .

## — مظاهر في الشعر —

عرف الشعر العربي في الماهلية شاعراً من الموالي هو سُحَيْمٌ عبد بنى الحبحاحس،  
لكنه لم يكن فارسياً .

ثم عرف الشعر العربي في العصر الأموي عدداً قليلاً من الموالي ، فلما كان العصر  
العباسي كثرت الشعراء من الموالي ، ولا سيما الفرس ، حتى زاحموا أبناء العرب  
وساوهم ، عرف من الفرس أبا نواس ومروان بن أبي حفصة ، وبشار بن برد ،  
وسأماً الحامري ومهيار الديلمي وعرف من النبط أبا المتاهية ومن الروم ابن الرومي .

وحسبنا أن زرد النظر في ( بنية الدهر للشمالي ) لتعرف عشرات من أبناء  
الفرس مهروا في قرض الشعر العربي ، نشأ بعضهم في ظلال الدولة البويهية في بغداد  
والعراق وأواسط فارس ، ونشأ بعضهم في ظلال لدولة الزيرية بطبرستان ، وعاش  
آخرون في رعاية الدولة السامانية بخوارزم وخراسان .

وليس يعني هنا من اشتهروا بالمغرب والاندلس ومصر ، فإن هذه مناطق  
بعيدة عن الملائق الفارسية العربية التي نتحدث عنها .  
ولقد أضاف هؤلاء الشعراء ومن تأثر بهم من العرب ألواناً جديدة في الشعر  
العربي .

### ١ — التوسع في النزل المكشوف

عرف الشعر العربي النزل المكشوف منذ العصر الجاهلي ، لكنه كان في نطاق  
ضيق ولم يشتهر به إلا قلة قليلة من الشعراء ، فصاحبه العصر العباسي اتسعت دائرته ،  
وكثر قائلوه وتخبروا للتعبير عن مشاعرهم كلمات هاربة والفاظاً نابية ، وجهرها بما  
لم يجهر به سابقونهم .

وقد كان بشار بن أول من فتح باب الخلاعة على مصراعيه ، فجهر بما لا يصح  
الجهر به ، وأقبل القبيان والفتيات على شعره إقبالاً أنذر بالشعر كقولہ :

فهل كان الغزل بالذكر محاكاة لتفزل الفرس بالذكر كما يتفزلون بالأنثى ؟ لقد شاع في الدراسات الأدبية أن العرب حاكوا الفرس في الغزل بالذكر حتى صارت الدعوى من كثرة ترددها أشبه بالحقيقة . ولكن الحقيقة ليست كذلك ، لأن اللغة الفارسية لا تفرق بين الذكر والمؤنث في الضمائر وأسماء الإشارة والصفات فالضمير (أو) هو أو هي و (تو) معناه أنت أو أنت ، واسم الإشارة (أين) معناه هنا أو هناك ، (وآن) معناه ذلك أو تلك ، وليس في الفارسية إلا اسم موصول واحد (كه) لجميع الحالات ، وإنما يمتنع المراد بالسياق . ولعلك توافقني إذا قلت إنه ليس في سياق الشعر العربي ما يرجح أن الشاعر يريد بفزله الذكر ، فليت شعري إلى أي شيء استند من قولوا إن الفرس مولعون بالغزل بالذكر <sup>(١)</sup> ؟

على أن الغزل بالذكر شاع في العصر العباسي قبل أن يستقيم الشعر الفارسي الجديد ، فكيف نأتى للعرب أن يحاكيوا شعرا لم يتجاوز عهد الطهولة ؟ ذلك أن أبا نواس وأضرابه من شعراء الغزل بالذكر ما روه قبل القرن الثالث ، وهو العصر الذي بدأ فيه الأدب الفارسي يبعث بمدرسة حويل ، ويستغل في مئنته هذه بالأدب العربي ويحاكيه أما الأدب الفهلوي فقد كان مجهولا للفرس في العصر العباسي ، ولم يعرف الدارسون منه إلى يومنا هذا إلا نفا وشذرات ، ليس فيها غزل بالذكر . الحق أن الغزل بالذكر بدعة ظهرت في العصر العباسي نتيجة لعوامل متعددة من زندقة وإباحية وانحلال ، وكثرة في الغلمان والمختلئين ، وولع أبناء الفرس بهم واستفاهم في التعبير عن ملاحظتهم المربضة ، ولا ننكر أن بعض العرب حاكوه في كلهم بالغلمان والتفزل بهم .

ومن هذا يتضح الفرق بين نشأة الغزل بالذكر في الشعر العربي محاكاة للشعر الفارسي ، وبين نشأته بتأثير أبناء الفرس الذين قرضوا الشعر العربي ، وكان كثير منهم لا يعرف الفارسية .

ومهما يكن من شيء فإننا نلح في بعض الشعر العربي الحديث وفي بعض الأغنيات الفصيحة والمسامية أنارة من مظهر الغزل بالذكر في الدلالة على الأتقي بعضهم الذكر في الخطاب والغياب .

### ٣ - التوسع في الخمرات :

كان العرب يعرفون الخمر في جاهليتهم ، وكانت تزه إلى بلادهم من جهات شتى ، وكثيراً ما وصفها بعض شعرائهم ، ووصفوا مجالسها وسقائها ، ومحمدوا عن النداء وعن القيان اللاتي كن يفتنن لهم في مجالس انشراح<sup>(١)</sup> .

فلما جاء الإسلام حرم الخمر تحريماً ، ووصفها بأنها رجس من عمل الشيطان ، فكف الشعراء عن وصفها .

ثم عاد بعض الشعراء إلى التفتي بها في العصر الأموي ، وكان زميهم في الجاهرة بشرها والإكثار من ذكرها الأخطل الشاعر التغلبي اللصماني ولم يكذب يستمل العصر العباسي بما صاحبه من حضارة وترف وراء وإطلاق للحريات الفردية وغالطة حقيقة لفرس وغيرهم ، وما نشأ من ذلك من زندقة ومجون ، حتى كثرت أنواع الشراب ، وتعددت مجالسها ، وأقبل ناس عليه في غير تخرج ، فلهج كثير من الشعراء بالخمرات ، وترمهم أبو نواس في ديوانه آلاف الأبيات والخمر ، آى فيها بكل جديد من الفسكرة وطريف من الخيال ، وهو الذى ابدع افتتاح كثير من قصائده بالخمر والدعوة إلى شربها ، واتهم بالذين يبدأون بالنزل ، وبكاء الأطلال كقوله :

صفة الطلول بلافة القدم فاجعل صفاتك لابقة الكرم<sup>(٢)</sup>  
ومن خبرياته قوله<sup>(٣)</sup>

أكل الدهر ما تجسم منها	وتبقى لبالحما الكنونا
تم شجيت فاستضحكت من لآل	لو نجممن في يد لاقتنونا
فإذا ما لستها فهباء	تمنع الكف ما تبيح الميونا
في كئوس كأنهن نجوم	جارت بروجها أبدينا
طالعات من السقا ملينا	فإذا ما غرين يترن فينا

(١) راجع الحياة العربية من الشعر الجاهلي للدولت . فصل الخمر .

(٢) القدم : بالفاء الثقيل والقدم : بالثاف الماضى

(٣) الديوان ٣٣٩ ( المطبعة الصومية ) .

٤ — الزندقة والإلحاد :

ومن هذه الألوان الزندقة والإلحاد ، وقد تقدم الحديث عنها في فصل خاص .

• — التزهيد والوعظ :

من الإنصاف أن نذكر أن من أبناء المعجم من قاوموا نزعة الإباحية والخلاعة ، كأي المعاهمة النبلى الأسلى .

والحق أنه لم يخترع الشعر الزهدى ، فقد عرفه الأدب العربى قبله ، لكنه زاه على ما سبق به ، وفصل تفصيلا ، وأكثر كثاراً ، والحق على الناس فى التنفير من الفلذة ، والترغيب فى الطاعة والاستقامة ، والتخويف من الموت والمذاب .

كقوله :

طلبتك يادنيا فامذرت فى انطلب      فأنلت إلا النعم والمهم والنصب  
فلما بدا لى أنى لست واسلا      إلى لقة إلا بأضامها تمب  
وأسمعت فى دبل ولم أفض بئى      هربت بدبل منك إن نفع الحرب  
وقد استنشد المأمون أبا المعاهمة أجود ما قل فى الموت فأنشده :

أنساك سحياك المانا      فطلبت فى الدنيا الثبانا  
أوثقت بالهنا وأن      ت رى جماعتها شقاتا ؟  
وعزمت منك على الحيا      وطولها عزما بئانا ؟  
يامن رأى أبوه فيه      من قد رأى كانا فانا  
هل فهمما لك مرة      أم خلت أن لك اتلانا ؟  
ومن الذى طلب العمل      ت من منيته فنانا ؟  
كل تصعبه النية      أو تبيته بيانا

٦ — معان وأخوة :

على أنهم زودوا الشعر العربى بمعان وأخوة جديدة كقول شار :

يا قوم أذن لبعض الحى طائفة      والأذن تمشق قبل العين أحيانا  
قاوا بمن لا ترى تهذى عقلت لهم      الأذن كالعين توفى انقلب ما كانا

وقول أبي نواس :

لست أدرى أطلال ليل أم لا      كيف يدرى بذلك من يتأمل ؟  
لو تفرفت لاستمالة ليل      ولعى النجوم كنت غلا  
وقوله في وصف الخمر :

وندمان صفيت الراح صرفا      وستر الليل منسدل المجوف  
صفت وشففت زجاجتها عليها      كمنى دق في ذهن لطيف  
وقوله :

قل زهير إذا حدا وشدا      أنلل أو أكثر فانت مهذار  
سختت من شدة البرودة حتى      صرت عندي كأمك النار  
لا يوجب السامون من صفى      كذلك الثلج بارد حار  
وهو بهذا يردد ما زعمه هفاه الهند أن الشيء إذا زادت برودته صار حاراً ،  
وقوله :

ومستطيل على الصهباء باكرها      في فنية بسطباح الراح حذاق  
فسكل شيء رآه ظنه قدحا      وكل شخص رآه قال ذا الساق  
ولقد كان الشاعر العربي النخعي المشهور بالمعاني ممجياً بما في كذب الفرس من  
أفكار ، وهذا هو السبب في عمق معانيه وجدة بعضها ، كقوله في الشكر :

فتر كان للشكر شخص بين      إذا ما تأمله الناظر  
لشامه لك حتى تراه      لتعلم أني أمرؤ شاكر  
وقوله في الاعتذار :

ردت إليك ندامتي أملى      وثني إليك عنائه شكرى  
وجعلت عتبك عتب موهبة      ورجاء عذوك منهي عذرى  
وقوله في مدح الرشيد :

ماذا عداى قاتل يثني عليك وقد      ناداك في الوحى قديس وتطهير  
خت الدامع إلا أن ألسنا      مستنطفات بما تحفى الغباير



وله في النثر قدم سبق . استدعاء المأمون وقال له :  
بلمنقى وفانك فسادتنى ، ثم بلمنقى وفانك فمستنى .  
فقال المتأبى :

يا أمير المؤمنين لو قسمت هذه السكاك على أهل الأرض لوسطهم ، وذلك  
لأنه لا دين إلا بك ، ولا دنيا إلا منك .

فقال المأمون : سلى .

فقال المتأبى :

بدك بالسطاء أطلق من لسانى .

ومن حكمه قوله : الأتلام مطايا الفطن . شريك من أحسن شركك . أهدى  
الناس إلى مودتك من أهدى بره إليك <sup>(١)</sup> .

## الفصل التاسع

### آثار العرب في الفرس

#### ١ - العقيدة

سار العرب إلى الحيرة وفارس حاملين العقيدة الإسلامية التي أُنم الله بها على البشر ، فلما دانت لهم فارس خيروا أهلها بين الإسلام والجزية كما كانوا يفعلون في البلاد التي فتحوها ، فهدى الله كثيراً من الفرس إلى الإسلام ، ثم شرح صدور أكثرهم فأسلخوا مختارين راضين ، وما هي إلا حقبة من الزمن حتى برح كثير منهم في العلوم الدينية ، وصاروا من أهلها ، كآبي حنيفة والبخاري .

وبهذا ارتفع الفرس من وحدة الوثنية وما يشبهها ممثلة في الزرادشتية والمناوية والزردكية إلى أوج التوحيد الخالص ، وتحروروا من النظم الاجتماعية الفاسدة إلى النظم الإسلامية السامية ، فقد كانوا يحلون بعض المحارم من قبل ، وإن ادعوا في القرون الوسطى أن عقائدهم الجوسية لم تكن تبيح لهم زواج المحارم<sup>(١)</sup> .

روى أن اسماعيل بن يسار - وكان شموياً - فخر على العرب بقوله :

إذ زبى بناتنا وتدسو ن سقاها بناتكم في القراب

وكان أشعب في الساميين فقال له : صدقت والله أراد العرب بناتهم لنير ما أردتموهن له . قال اسماعيل وماذا لك ؟ قال أشعب : دفن العرب بناتهم خوفاً من النار ، وريتموهن لتنكحوهن . فضحك الحاضرون وود اسماعيل لو غاص في الأرض<sup>(٢)</sup> .

ونجم من السمور في العقيدة والنظم الاجتماعية سمو في النظام السياسي ، إذ كان الفرس يدينون بحق الملوك الإلهي إلى حد لم يكن في أمة من الأمم ، كما قال براون

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية ٦٢ بارتولد

(٢) الأغاني ٤ - ١٢٠

ودوزى ومار<sup>(١)</sup> ، فصاروا بالإسلام أصحاب محمد وديفراطية .

وكان جميع آل البيت مضافا إلى عوامل أخرى باعنا لكثرتهم على التشيع والدفاع عن مذهبهم الشيعى بدعائهم وأدواهم<sup>(٢)</sup> على أن كثيراً من الفرس سميت نفوسهم ، وصفت أرواحهم ، وكثر فيهم الزهاد والعصوفة .

## ٢ — العلوم الدينية

سارع كثير من الفرس إلى اعتناق الإسلام منذ الفتح العربى ، وشرع كثير منهم بعملون اللغة العربية ، لأنها لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ولغة التالين ، فصححت اللغة العربية طريقها هناك ، وجمعت تصارح اللغة الفهلوية — لغة الفرس حينئذ ، وهى الرحلة الوسطى بين لغتهم القديمة قبل فتح الإسكندر لبلادهم وبين لغتهم الحديثة التى نشأت فى القرن الثالث الهجرى — حتى صارتها فى الإختاج العلمى والأدبى ، واستأثرت بالعلم والأدب أكثر من قرنين ، إلى أن نشأت اللغة الفارسية الحديثة ، فحلت اللغة العربية حينا ، ثم زاحمتها ، ثم استغلت ، لكنها فى استقلالها مصبوغة بألوان شتى من التبعية للغة العربية وأدبها .

وقد ترجم الفرس كثيراً من الكتب الدينية ، وألفوا كتباً أخرى ، معتمدين على المصادر العربية .

ذكر المؤرخ الفارسمى أبو جعفر نرشخى فى كتابه ( تاريخ بخارى ) أن أهلها كانوا فى أول العهد بالإسلام يقرأون القرآن الكريم فى ترجمته الفارسية<sup>(٣)</sup> ، ولا شك أن هذه الترجمة كانت تقتضى ترجمة ما يتصل بالنص القرآنى من تفسير وتفصيل وتاريخ ، لهذا ترجم النرس من عهد مبكر تفسير الطبرى ، ومن الأرجح أن ترجمة فارسية موجزة لتفسير الطبرى ظهرت فى القرن الرابع بأفلام فريق من علماء

(١) أدب السياسة فى العصر الأموى ٣٤

(٢) المرجع السابق ٣٣

(٣) الأدب المتأثر غنىمى ملال ٣٤٢

خراسان ، ثم كثرت الترجات لكتب الحديث وكتب الفقه ، وكثرت المؤلفات في العلوم الشرعية معتمدة على المصادر العربية الإسلامية .

### ٣ - المفردات اللغوية

كان الفرس يصطنعون لغة العربية في أول الأمر وسيلة للتأليف وبخاصة في العلوم الشرعية ، وكانت بلادهم موطناً من مواطن الأدب العربي منذ سادت العربية هناك إلى أن أغار التتار على بلادهم ، وكان الأدباء من الفرس يأثرون بالأدب العربي ، ويحاكونه وينقلون كثيراً من كلماته وهجاءاته ، ومازالوا يقرأونه ويتذوقونه إلى اليوم . لهذا نجد طريقهم في تربية المصنف الأدبية لاتتأثر بالطريقة التي نصح بها العرب ، يقول نظامي المروسي في كتابه ( جواهر مقالة<sup>(١)</sup> ) :

« لا يبالغ كلام الكتاب درجة عالية حتى يأخذ من كل علم نصيباً ، ومن كل أستاذ فكتة ، ويسمع من كل حكيم لطيفة ، ويقتبس من كل أدب طرفة ، فينبغي أن يمتد قراءة كلام رب العزة ، وأحاديث الصطفى ، وآثار الصحابة ، وأمثال العرب ، وكلمات المعجم ، ومقالة كتب السلف ، والنظر في صحف الخلف ، مثل ترسل صاحب والصابي وقبوس ، وإفاظ الحمادي وإمامي وقدامة بن جعفر ، ومقامات بديع الزمان والحريري وحيد ، وتوقيعات البامبي وأحمد بن الحسن ، ورسائل عبد الحميد . . . ومن دواوين العرب ديوان النابهي والأبيوردي والنزدي ، ومن شعر المعجم شعر الأزرق ومثنوي الفردوسي . . . الخ<sup>(٢)</sup> .

ومن هنا تدفقت الألفاظ العربية على الفرس ، وامتلأت بها لغتهم ، ولا سيما المؤلفات العلمية والأدبية .

واللاحظ أن الألفاظ العربية في اللغة العلمية أكثر من الألفاظ العربية في اللغة الأدبية ، وهي في النثر أكثر منها في الشعر ، لأن النثر العلمي قائم على المصطلحات العلمية . أما النثر الأدبي فوسط بين النثر العلمي والشعر ، لكن يبدو أن تتلاحق في الشعر ثلاثة أبيات ليس فيها ما لفظ عربي<sup>(٣)</sup> .

(١) المقالات الأربع .

(٢) لغة الأدب في العالم لأحمد أمين وزكي نجيب محمود .

(٣) لغة الأدب في العالم .

على أن الألفاظ الدرية بلغت في بعض الكتب الفارسية من خمسين إلى ثمانين في كل مائة ، حتى كادت الكلمات كلها تكون عربية مرتبة على قواعد النحو الفارسي .

وحق النحو الفارسي لم يعلم من التأثير العربي ، كحذف الفعل في بعض الجمل الفارسية أو تقديمه ، أو صياغة فعل بمعنى للمجهول على الطريقة العربية ، أو استعمال الحال كما في النحو العربي <sup>(١)</sup> .

لم يقتصر الفرس على اقتباس ألفاظ كثيرة من العربية ، بل اقتبسوا كثيراً من العبارات الكاملة ، سواء أكانت من القرآن الكريم والحديث الشريف أم من الحكم والأمثال العربية .

على أن العربية حينما تأثرت بالفارسية لم تنقل منها إلا مفردات كما قلنا في الباب الأول .

ومن هنا يتضح أن الكلمات الفارسية في العربية قليلة جداً بالمقاييس إلى الكلمات العربية في الفارسية ، وقليلة أيضاً بالنسبة إلى الكلمات العربية الأصيلة ، لأن الكلمات الفارسية التي تسربت إلى العربية في العصر الجاهلي قليلة ، ثم قوى تسربها في العصر العباسي بخاصة ، لكن العربية كانت أشد قدراً ونضجاً ، وصارت قادرة على التعبير عن مطالب الحياة ، فليست بحاجة إلى أن تقتبس من الفارسية إلا قليلاً من المفردات للدلالة على أشياء لا نظير لها عند العرب ، وقد نقل العرب عن الفرس كلمات لها نظائر في لغتهم وأن فمعنا ذلك أحياناً ، خلفه الكلمة الفارسية على ألسنتهم مثل وَرَدَ بدلاً من حَوَّجَمَ ، وتوت بدلاً من فِرْصاد ، ورمصاص بدلاً من صَرَقان ، أو ليدلوا على مفرقهم بالفارسية ، مثل بوصى ( ملاح ) وجردقة ( وظيف ) .

ثم أن العرب نقلوا من الفارسية أسماء ، ولم ينقلوا منها حروفاً ولا أفعالاً ، كما نجد في المعجم اللغوية ، وفي (شفاء الناييل) للشهاب الخفاجي ، على أنهم كانوا يهرفون في الأسماء الفارسية التي نقلوها ، فيخضعون نطقهم لأوزانهم ، ويشفقون منها أفعالاً وغير أفعال<sup>(١)</sup> ، كما سبق في التأثير اللغوي .

## ٤ - التاريخ

أعجب الفرس بكتاب الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لأنه فارسي الأصل ، ولأنه ثقة فيما سجله من تاريخهم القديم ، وحجة فيما سجل في تاريخ الإسلام ، فترجمه الوزير الساماني (باسمى) في القرن الثالث ، بعد أن حذف سلاسل السند والزوائد المزددة ، لكنه أضاف إليه حكايات دينية وخرافية لأن الفرس يحرسون على أن يكون التاريخ مجالاً للمزلة والإرشاد .

وقد عمد المؤرخون من العرب - بعد الطبري - إلى النثر المسجوع ، والتعبير الحافل بالخيال والصناعة والأمثال والشواهد الشعرية ، حتى إن النبي صرح في كتابه (تاريخ بين الدولة) الذي ألفه سنة ٤١٢ هـ بأنه سلك مسلك الشعراء في تسجيل مآثر السلطان محمود الغزنوي .

وإذ كان الفرس يفتنون آثار العرب ، حاكي مؤرخوهم هذا العرب من التعبير ، فترجم الجرباذقاني كتاب بين الدولة من العربية إلى الفارسية ؛ حريصاً على نقل الخصائص الفنية إلى لغة الفرس ، وصارت هذه الخصائص منهجاً بسلوكه كثير من مؤرخيهم ؛ كما نجد في كتاب التاريخ الذي ألفه شرف الدين وصاف في القرن الثامن الهجري .

(١) اشتقوا من ديوان دون وتدوين ومدون ، ومن لجام ألجم ومن كهرياء كهريب ومن منطاطيس منطس . الخ .

## هـ - النشر الفني

كان الفرس يحدون في الأدب العربي مثامهم الذي يحتفون به ، ومنهمم الذي ينهلون منه ؛ فحاكوا الأسلوب المصنوع المزخرف في تدوين التاريخ كما فعل بعض مؤرخي العرب ؛ ونقلوا من العربية كثيرا من الكتب وكثيراً من رسائل الهلناء ؛ ونصحوها بتدقيقها واحتفاظها ؛ وإذا كان ابن المقفع قد ترجم من الفارسية أكثر ما في ( كلبلة ودمية ) فإن الأصل الذي نقل عنه كان مفقوداً ؛ فترجم الفرس هذا الكتاب من العربية إلى الفارسية ؛ ترجمه نثرا أبوالمعالى نصر الله في القرن السادس ؛ وترجمه الرومكى شمرأ . وهذه لحة إلى تأثر النشر الفارسي بالعربي .

### ١ - الرسائل الفنية :

أنجب كتاب الفرس بما كتبه البارزون من كتاب العرب ؛ فتأثروا بهم ، وحاكوا في افتتاحهم وإن تأثرهم هذا يستعمل في رسائل الدبوانية والخاصة التي كتبوها عما كين رسائل عبد الحميد بن يحيى ومن اتبعوه في الإطناب والتقديم والختام والاحتفال بالصياغة الفنية وغير هذا من خصائص كتابته ، كما نجد في كتاب ( التوسل إلى التوسل ) الذي ألفه وجمعه بهاء الدين محمد البغدادي في القرن السادس الهجري .

### ٢ - المقامات :

كذلك حاكي الفرس العرب في فن المقامة<sup>(١)</sup> . والمقامة فن عربي النشأة مازال يتدرج ويرق حتى اكتمل على قلم الحريري .

وقد ذهب بعض الباحثين<sup>(٢)</sup> إلى أن كتاب العرب نقلوا فن المقامات من الفرس ،

---

(١) المقامة في الأصل وضع القيام وقد استعملت للدلالة على المجلس استعمال الأضداد ، ثم أطلقت على الحديث يقال في مجلس واحد ، ثم قصرت على نوع من الأدب معلوم .  
(٢) الدكتور أحمد ضيف في كتابه العصر العباسي .

مستدلين بأن بديع الزمان الممزأى كان يجيد الفارسية ، وكانت حياته في بيئة فارسية ، في وقت كانت اللغة الفارسية فيه قد نهضت ، وكانت الدول الفارسية — السامانية في خراسان وتركستان والبوسنية بفارس والعراق ، والغزنوية في أفغانستان — تتنافس في إنهاض الأدب الفارسي ونشجيمه ، ومن هنا استطاع بديع الزمان أن يكتب مقاماته في نيسابور .

لكن هذا الرأي يمارضه أن ابن دريد الأزدى قد سبق بديع الزمان فابتكر نوعاً من الأدب اشتقه من الحياة الفارسية ، إذاً له عاش هناك مدة وكان غرضه من الأربعين حديثاً التي ابتكرها أن يمارض بها أدب الفرس ، فهو يخترع المقامات باللغة العربية ، وإن كانت موضوعاتها من البيئة الفارسية ، وكان بتأثير لغويته أميل إلى القريب<sup>(١)</sup> .

ثم عارضه أبو الحسن أحمد بن فارس اللامعة اللغوي<sup>(٢)</sup> ، إذ وضع مقامات حاكماً بعض الأدباء ، وقد اشتهر من بينهم تلميذه بديع الزمان الممزداني المتوفى سنة ٢٩٨ هـ .

عاش ابن فارس وبديع في بيئة فارسية كما عاش ابن دريد من قبل ، ثم مارس هذا الفن كثير من الكتاب حتى جاء الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ فأنشأ مقاماته الخسنة التي عارض فيها البديع ، وتفوق عليه وحاول كثير من الذين جاءوا بعد الحريري أن يقتفوا أثره فلم يلق به أحد .

والذي نستخلصه من هذه اللحات أن المقامات فن عربي النشأة ، وإن كان السابقون إلى اختراعه قد عاشوا في بيئة فارسية ، لأن الفرس لم يكن نهرم قد استقام في ذلك الوقت ، ولم تعرف لهم قصص أو مقامات من هذا الطراز ليعاكيها العرب .

ولقد تأثر الأدب الفارسي بالمقامات العربية ، فإن حميد الدين الباكخي المتوفى سنة

(١) زهر الآداب للحصري ١ — ٢٣٥ تحقيق ركن مبارك

(٢) في معجم البلدان ٤ — ٨٠ أنه توفي سنة ٣٦٩ وف ٩٣ — أنه توفي سنة ٣٩٥ هـ وهذا

يتفق مع ما في ألباء الرواة صفحة ٩٥ .



٥٥٩ هـ يسير في مقاماته الفارسية على نهج بديع الزمان والحريري ، وهو نفسه يقر بهذا في مقاماته ، وإن خالفهما في عدة أمور ، منها أنه لا يروى عن شخص معين كما يروى بديع الزمان عن عيسى بن هشام . وكما يروى الحريري عن الحارث ابن همام ، وإن مقاماته لا تدور حول يطل معين كما دارت مقامات البديع على أبي الفتح الاسكندري ، ومقامات الحريري على أبي زيد السروجي ، بل تحمل شخصية المؤلف المسكن الأول ، ويروى الأحداث عن كثير من أصدقائه لم يذكر أسماءهم ، ويتمدد الأبطال في مقاماته<sup>(١)</sup> .

## ٦ - الشعر

لم يرد شيء من شعر الفرس القدماء في إنهم الهلونية أو الفارسية القديمة ، ومن المرجح أن كان لهم شعر ولكنه توارى في غياهب الزمان .

وفقدان الشعر الفارسي القديم هو الذي زين للداريين من العرب والفرس أن يمتقدوا بأن الفرس القدماء لم يكن لهم شعر .

قال ابن قتيبة : ( ولعرب شعر لا بشر كما فيه أحد من أمم الأعاجم على الأوزان والأعاريض والقوافي والنشيبه ووصف الديار والآثار والجبال والرمال والفلوات وسرى الليل والنجوم . وإنما كانت أشعار النجم وأغانيهم في مطلق من القول ، ثم سمع بعد قوم منهم أشعار العرب ، وفهموا الوزن والنروض ، فتكافوا مثل ذلك في الفارسية وشبهوه بالربية ) .

وقدم بنا في الباب الأول من الكتاب أن محمد عوفى ذكر في كتابه ( لباب الآلباب ) - أول كتاب في تاريخ الأدب الفارسي - أن بهرام جور أول من نظم شعرا بالفارسية ، وأنه نظم الشعر من العرب الذين نشأ بينهم في الحيرة ، وأن هذا المؤلف قرأ ديوانه في مكتبة بخارى . . . . . حتى سطعت شمس الإسلام على ديار النجم ، واختلط الفرس بالعرب ، وحفظوا أشعارهم ، وعرّفوا نظام

بحورهم وأوزانهم وقوافيهم ، وشعرهم ينسجون على منوالهم لطائف من نتاج طباعهم . . . )

وقد ظهر هذا واضحاً منذ القرن الثالث الهجرى .

وما من شك فى أن الفرس كانوا شديدي الإعجاب بالشعر العربى ، وكانوا يتوخون محاكاة حتى فى شعرهم القدى نظموه بالفارسية فيما بعد ، حتى إنهم نظموا ما يسمى بالملحّ ، وهو القصيدة التى يعمد فيها الشاعر إلى نظم بيت بالعربية يليه بيت بالفارسية ، أو بفعل عكس هذا ، مراحياً فى الحالين أن تبنى الأفسكار مترابطة مسلسلة كأنها بلغة واحدة .

أما الموضوعات التى طرقتها شعراء الفرس فإن بعضها متابقة الموضوعات التى طرقتها العرب كالحج والفتنر والمجاء والنزل والثناء والوصف والحكمة .

وقد تفوق العرب فى موضوعات الحماسة والبطولة والنبوة والحرية والكرم والمخاطرة وأشباهها ، كما فاقوا فى تصوير أحوال المجتمع والأسرة ومظاهر الحضارة ، وفى الإكثار من النزل بالمرأة وإمرازها وحمايتها والشوق إليها ، والعفة التى نصون الحب المذمى من حاجات الجسد .

وتفوق الفرس فى عدة موضوعات ، كالقصص والشعر الصوفى .  
وفى الامعات الآتية يتبين تأثر الشعر الفارسى بالعربى .

#### ١ - الشعر الطلى :

أكثر شعراء العرب منذ الجاهلية من الوقوف على الأطلال فى التقديم لهمض قصائد وتبهم فى ذلك شعراء المصور اللاحقة<sup>(١)</sup> .

وقد ألقى شعراء الفرس آثار الدرب فى بعض قصائدهم ، كما نجد فى قصيدة الشاعر الفارسى (منوچهرى) التى فى أوائل القرن الخامس الهجرى يمدح بها عطيا من عظماء عصره ، فقد بكى الطلل الذى وقف عليه ، وعبر من برمه بهجر حبيبته ، وتسل بالرحلة على ناقته ، ثم قال إنه اتى ركب المحبوبة وصواحبها ، فرحب بهن ،

(١) راجع (النزل فى الشعر الجاهلى) المؤلف .

وعقر لمن ناقته ، ثم ركب مع محبوبته في هودج واحد ، فشر إن مركبه الثريا والسماك لا تنجيه من الابل ، ونخاص من هذا كله إلى الدح . وهذا هو النطق الذى كان متبعا في كثير من قصائد الدح العربية .

كذلك حاكى الفرس العرب في بكائهم الآثار ، فلشاعر الفارسي ( خالافى ) التوفى في القرن الخامس الهجرى قصيدة وقف فيها بایوان كسرى ، واستلمه الحكمة والوعظة ، وبكى بعد الفرس الدار ، كما فعل البعترى من قبله . وشبهه بهذا بكاء البلدان التى خربتها الحروب ، كما نجد القاضى حيد الدين بلخى التوفى في القرن السادس الهجرى <sup>(١)</sup> يبكى مدينة ( باخ ) وبذرف الدمع على خرائبها وعلى أسدقائه فيها ومواطنيه بمد أن خربها ( التز ) سنة ٥٤٨ هـ ، وهو يحاكي هنا بنته على لسان صديقه ما فعله الحريرى من قبله ، إذ بكى على لسان أبى زيد السروجى ببلته ( سروج ) التى ضربها الصليبيون سنة ٤٩٤ هـ ، وإن كان الحريرى قد بكى شعراء في مقامه الثلاثين .

## ٢ — للدح :

أكثر شعراء الفرس من اللدح ، وأكثروا من البالغة في الاشادة بمدوحهم ووصفهم بالفضائل ، من سخاء وشجاعة وبراعة في تدبير شئون الحكم .

وم في هذا يشبهون معاصريهم من شعراء العربية ، لأنهم كانوا مثل الشعراء العرب ، على صلة بأهراء الدويلات وولائها ، وكان هؤلاء الأسراء يتنافسون في تقريب الشعراء والأدباء ، ويحزون لهم المطايا والفتح لبشيدوا بذكرهم ، ويرفعوا من قدرهم ، ويسجلوا ما لهم ، فبذبحه الشيوخ أبو زراعة الجرجاني بأن المطايا هى التى تاهم المدح الزائع ، إذ ساء أمير حراكان : انتظم شعرا مثل شعر الزودكى ؟ فأجاب : إن حسن نظمى يفوق حسن شعره ، ولكن من الواجب أن تصل الشاعر بأحسانك ، وتقدم بهذائلك ، حتى يصبح مرضيا عنه من معاصريه ، فإن الشاعر لا يظهر أمره إلا حين يصله مدحه بغيره ، وينظر إليه بين رضاء . ثم أئند أبياتا

في هذا المني ختمها بقوله : أعطني واحداً من الف مما نال من عطايا الملوك يا ثني شمر  
مثل شمرة الف مرة .

ومن مدائحهم قول أبي منصور حمارة الروزي في مدح السلطان محمود  
الفرزوي :

إن النور البادي على جبين الشمس منبت من الملك ، وأن كرمه أظهر على كركب  
السعد على جبين ، ولو ذكر أحد اسمه على شواطئ دجلة لصار مأزحاً مغللاً مصق ،  
ولا استحالة طينه عمل ورد<sup>(١)</sup> .

### ٣ - النزل

أما شعراء النزل فقد اختلفوا في وصف المحبوب وأكثروا من التشبيهات  
والبالغات ، وكان كفهم شديداً بوصف الطرة والشعر المجعد ، فشبهوا الطرة بالثياب  
وبمحروف المجاء المقوسة وهي الجيم والدين والنون .

كذلك أكثروا من الثياب وتصوير حال الماشق وما يمانه من أمي وحزن  
إذا هجره ممشوقه .

من النزل قول أبي شكور البلخي : نظرت من بُمُر لأراك ، فجرحتُ وجنتك  
المشرقة بالحسن والملاحة ، فلما نظرت إلى بعينك العاهلة جرحت قاي ، وهذا قصاص  
عاد ، لأن الجرح بالجرح .

وقد سبق في دراسة تأثير الفرس في الأدب العربي أن الآلة الفارسية لا تنزق بين  
المذكر والمؤنث في الضمائر وأسماء الإشارة ، وإنما يتضح المراد بالصاق ، وأن بعض  
الدراسين ذهبوا إلى أن العرب نقلوا النزل بالذكر عن الفرس .

وتلنا إن الصواب أن النزل بالذكر نشأ نتيجة لمؤثرات اجتماعية ، كان لأبناء  
الفرس فيها التصيب الأكبر ، فهو لم ينشأ محاكاة لأدب فارسي ، وإنما نشأ بتأثير  
هذه العوامل ، وتأثير الفرس القمين عاشوا في المجتمع العربي ، وقرضوا الشعر العربي .

(١) قصة الأدب الفارسي .

#### ٤ - المحرمات :

أكثر شعراء الفرس من وصف الخمر ، وآثارها في النفس ، وجاء في وصفهم كثير من التشبيهات الطريفة والمعاني الجديدة ، والنثر والإفراق في البائنة ، فهم متأثرون بالعرب ونقله عنهم ، لكنهم زادوا على ما نقلوا وأضافوا جديدا .

من الأمثلة على هذا قول أبي شكور :

إن الخمر حين يبعصرها البستاني سائل مشرق أو روح مشرفة ، وإن الأمل  
لو رأى قطرة منها لقال : هذه هي . ولو رآها الميت لقال : هذه روحي . ولأنها  
حين تصب من القنينة في الكأس تشبه الهلال ، وحين تحتقر في الكأس  
تشبه البدر .

ومنها قول الرودكي :

إن تأثير الخمر يبالغ على الخيل أن تذوق ، وأنها لو سقطت قطرة منها في نهر  
الليل لظلل المساح ظلا من راحتها مائة عام ، وإن النزال لو شرب قطرة منها لصار  
أسدا هريدا لا يكثر بالفهد .

ويبدو أن ولهم بالخمر راجع إلى غنى ييتمهم بالبسانين الفيجاء ، والحدائق الحافلة  
بالفواكه والأزهار والثمار التي تمتص منها الخمر .

على أن بعضهم كان يرمز بالخمر إلى المحبة الإلهية ، وهم المنصوفة من الشعراء<sup>(١)</sup>

#### ٥ - الشعر القصصى :

تفوق الفرس في القصص ، ونجلى نفوذهم على العرب في شعرهم القصصى فطالت  
بعض قصصهم ، وتداخل بعضها في بعض ، وتولد بعضها من بعض . من قصصهم  
التاريخية الشاهنامة التي نظمها الفردوسي في نحو خمسة وخمسين ألف بيت من البحر  
المتقارب ، والثقافية المزودة في تاريخ الفرس القدماء وأساطيرهم حتى نهاية الدولة  
الساسانية والفتح العربي .

ومن قصصهم الفرامية يوسف وزليخا للفردوسي ، ويوسف وزليخا للجاي خسرو وشيرين ( صكسري ابرويز وحظيته شيرين ) وليلي والمجنون للشاعر نظامي الخ .

### ٦ - التصوف :

كذلك تفوقوا في شعر التصوف ، فاكثروا في الحديث عن معرفة الخالق ومحبه ومن الفناء المؤدى إلى وحدة الوجود ، وهم باجأون إلى ألوان من التصوير ، وضروب من الحقيقة والمجاز والتصریح والسكناية والوضوح والخفاء ، كقول الطاهر : « المشق نار والمقل دخان ، فاذا جاء المشق ولي العقل هارباً » وقول جلال الدين الرومي : « المشق أن تنظر إلى السموات ، وتمزق كل لحظة مائة حجاب ، وأول خطواته أن تهجر الحياة » وقول حافظ : « كم في الطريق إلى منزل ليلي من أهوال وأخطار ، وضرب أول خطوة أن تسكون المجنون » وقول أبي سعيد : جسمي كله ألم ، وهبني كلها دمع من أجلك ، وإنما بماش بنير جسم في مشققك ، لم يبق من أثر ، فاهذا المشق ؟ صوت كل معشوقاً ، فن الماشق لك (١) ؟

### ٧ - الأوزان والقوافي :

كذلك نشأ العروض الفارسي معتمداً على العروض العربي في دوائره وبحوره ، واسطلاحاته - إلا أن الفرس آثروا بعض الأوزان العربية لأنها أكثر طواعية لآذانهم ، وأقرب إلى طباعهم وزادوا على بعضها الآخر ، ونقصوا منه ، لكن بعض النابرة في بعض الأوزان لا ينفى أن الشعر الفارسي يعتمد على الأوزان العربية ، وهذا هو السبب في أن مؤلف ( كتاب المعجم ) ألّفه في العروضين مما وكتبه بالعربية ، واختار أمثله من العربية والفارسية ، ثم لاه بعض أدباء الفرس فنقسم كتابه تسمين . العرب في مماير أشعار العرب ، والمعجم في مماير أشعار المعجم . لكنه بعد هذا التقسيم اضطر وهو يتكلم في العروض الفارسي أن يستند إلى شرح العروض العربي لأن صناعة الشعر - كما قال المؤلف نفسه - من اختراع العرب ، والمعجم في كل

(١) قصة الأدب الفارسي

الأبواب تابعون لا واضعون ؛ وناقلون لا مستقلون . . . ونسعى أن نلخص التمديل الذى أدخله الفرس على الأوزان العربية فى عدة أمور :

١ - أضافوا إلى البحور الستة عشر المعروفة فى الشعر العربى ثلاثة أبحر سموها القريب والقريب والمشاكل .

٢ - أطالوا بعض الأوزان ، فاجازوا فى بحر الزمل - وهو فى العروض العربى ستة أجزاء أو أقل - أن يكون من ثمانية أجزاء .

٣ - تصرفوا فى بعض الرخانات والليل تصرفا أدى إلى توليد أغرب مستقلة من الأوزان العربية كما نجد فى الرابى .

٤ - لم ينظفوا فى البحور العربية التى أكثر منها العرب كالطويل والمديد والبسيط إلا قليلا ، وأكثروا من النظم فى البحور التى قل منها العرب كالبحر والضارع والمقتضب . وهناك بحر أكثر منها انفرس والعرب على الدوام كالمزج والزمل والحفيف والمقارب .

أما القافية فقد حاكوا العرب فيها ، وقللوا منهم مصطاحاتها ، إلا أنهم أكثروا من القافية المزدوجة وسموها التتوى<sup>(١)</sup> وأكثروا من الدوييت أى الرباعى<sup>(٢)</sup> ، وخالفوا نظام الموشحات العربية وسموها غد<sup>(٣)</sup> .

## ٧ - البلاغة

قلنا أن الأدب الفارسى اعتمد فى نشأته على الأدب العربى ، واستفاد بقله ، وحاكاه فترة من الزمن طويلا ، فن الطبيعى أن يكون قد حاكاه فى ضروب بلاغته .

(١) نسبة إلى متى . أى ينفق كل شطرنج فى الروى كما نجد فى الشهامة .

(٢) من أربعة أسطر تنفق فى الروى فى الأول والثانى والاربع ، وينفرد الثالث غالبا وهو الذى انتقل إلى العربية باسم دوييت .

(٣) منظومة مقسمة إلى أقسام لكل قسم أبيات متخفة و الروى تختم بيت مستقل ، يكرر بعد كل قسم ، فسمى انظم ترجيما أو يكرر رويه فقط فيسمى النظم تركيا ، وهو مذهب الموشح العربى .

- ١ - صارت التشبيهات والاستعارات والمجازات الفارسية مثل العربية .
- ٢ - أكثر أدباء الفرس من الحلى الانطية والمنوبة الى أواع بها العرب منذ القرن الثالث الهجرى ، من سجع وطباق وجناس الخ .
- ٣ - نقل الفرس قواعد البلاغة العربية ومصطاحاتها العربية ، فكانت مؤلفاتهم فيها لا تنابر المؤلفات العربية إلا فى قليل ، وطبق المؤلفون قواعد البلاغة الى أدب الفرس وأدب العرب ، كما فعل رشيد الدين الوطواط الممرى فى كتابه ( حدائق السحر فى دقائق الشعر ) .

## ٨ - الحروف الهجائية

- على أن الفرس كتبوا لفتحهم - وما زالوا يكتبونها الى اليوم - بالحروف الهجائية العربية ، كما فعل الأتراك الى عهد جديد قريب .



## خاتمة المطاف

( ١ )

تبين من هذه الدراسة أن العرب والفرس كانوا على سلات في الجاهلية ، وأن سلامتهم كانت في الإسلام أكثر وسائل وأمن آتاراً .

وتبين أن العرب تأثروا بالفرس في العصر الجاهلي ، وأنهم أثروا فيهم ، لكن هذا كان في نطاق ضيق محدود .

فلما اتصلوا في الإسلام كان تبادل التأثير والتأثر أوسع نطاقاً ، وأبعد فورا ، وأوضح معالم ومظاهر .

واستبان أن العرب أخذوا من الفرس كثيراً ، وأعطوا كثيراً ، بل أنهم أعطوا أكثر مما أخذوا وأنفع مما نقلوا .

وليس يصيب العرب أنهم نقلوا من الفرس ، ولا ينتقص الفرس أنهم أخذوا من العرب .

وما يحق للعرب أن يمنوا على الفرس بما أعطوا ، ولا للفرس أن يمتنوا على العرب بما أولوا .

فإن الأمم كانت وما زالت تتبادل النظم والثقافات كما تتبادل السلع والخبرات . بل إن العرفة والثقافة تنتقل بحملاتها القاذية من صنع إلى صنع ، ومن شعب إلى شعب ، كما تنتقل المعائب والرياح ، لا تصدها هوائن ، ولا تردها حواجز .

وإذا كانت النظم والأفكار والثقافات المنقولة أو المتبعة تنطوي على خير وعلى شر ، وعلى نافع وعلى ضار ، تبين من آثار الفرس في العرب ، فإن الاتصال الوثيق الطويل الأجل ليس من شأنه أن يكفل الخير الخالص والنفع الممن في مثل تلك الأحوال .

( ٢ )

وإذاً فقد كانت صلات العرب بالفرس وسيلة لتأثر الأدب العربي شعره ونثره بالفرس ، لكننا لا نستطيع أن نصف هذا التأثر بأنه تطور أو تنوير في الجوهر ، لأن الفرس لم يضيفوا إلى أبواب الشعر العربي جديداً ، سوى التوسم في النزل المكشوف وابتداع النزل بالذكر ، وما يتصل بالزندقة والإلحاد ، ولا نمد هذه أنواعاً جديدة في الشعر لأن الشعر العربي بقي غنائياً كما كان .

وهم اقتفوا آثار العرب ، فنظروا على أوزانهم ، واتزموا القافية ، وهددوا موضوعات القصيدة . ولم يخرجوا على نظام القصيدة المؤلف . حتى أبو نواس الذي كان يسخر من مفتتحون قصائدهم بالنزل والوقوف على الأطلال لم يستطع أن يتحرر من النزل في مطالع قصائده كلها . فإن له قصائد مهدوءة بالنزل وبكاء الأطلال .

كذلك لم يستطع الكتاب من أبناء الفرس أن يصيغوا النثر العربي بصيغ فارسي ولم يستطيعوا أن يخرجوا به عن نسقه الأصيل ، على أنهم نقلوا إليه ما لم يكن فيه ، نقلوا إليه القصة والتاريخ وبعض الحكم ، وهذا إزاء له ولا شك ، ثم أضافوا إليه بعض مظاهر شكلية كالإكثار من الحلى اللفظية والمنوية وهذه قيود تقلل الحربة وتضيق الفن .

ولقد دلت في كتاب آخر على أن التوقيعات أصيلة في الأدب العربي ، وأن النثر الذي نشأ نشأة عربية ، أقبل أن يتصل العرب بالفرس اتصالاً ثقافياً وأدبياً .

( ٣ )

كذلك كانت صلات الفرس بالعرب وسائط لتأثرهم بالعرب ، فاعتنقوا الإسلام ، وتزودوا بما يحمل من خيرات إلى القلوب والقول ، وبما يكفل من سمو في نظم الاجتماع .

وكانوا أيما كان بالتأليف في العلوم الدينية والفنية والأدبية بالغة العربية أول الأمر ، ثم يلبسهم الفارسية بعد ذلك .

وقتلوا كلمات كثيرة جداً من العربية إلى الفارسية ، وزودوا الفارسية بمجمل  
وعبارات كاملة .

وانتخبوا من الشعر العربي أوزانه وقوافيه مصطلحات مروضة ، ونهجوا نهج  
العرب في أكثر موضوعات الشعر .

وظهر تأثير نثرهم القوي بالعرب فيما كتبوه في التاريخ والرسائل الفنية والمقامات .  
وكان من أثر هذا كله أن سارت البلاغة تابعة لبلاغة العربية ، ومحاكية لها في  
كثير من مصلحاتها .

فلا يجب في أن تغلبت اللفظة العربية على اللفظة الفارسية وصرعتهما إلى القرن الرابع ،  
فلما جد الفرس في بحث لغتهم منذ القرن الثالث لم يستطعوا أن يبدئوها صافية من  
آلاف الكلمات العربية ، ولا من ألوان البلاغة العربية ، ولم يستطعوا أن يجردها  
من التقاليد الأدبية العربية .

على أنهم كتبوا لغتهم الفارسية وما زالوا يكتبونها بالحروف العربية .

مذاهب و شخصیات

تقدم

أبو حامد الغزالي  
المفكر الشائر

بقلم  
محمد صادق عمرهون

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبید - روض الفرج

تليفون : ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥